المفاهيم القرآنية

رسالة في تفسير مفاهيم
القرآن الكريم

تأليف
أ. أحمد عبد الرزاق مربوش

التعريف بالمؤلف/

المحامي / احمد عبد الرزاق مربوش سلام العامري

تاريخ ومحل الميلاد / من مواليد ١٩٧٣م بمنطقة حرف الاعمور اعرواق حيفان محافظه تعز اليمن وبها درس الا بتدائيه بمدرسه الشهيد عبد الرحمن مهيوب انعم بالعرين اعرواق ثم درس فى مدينه القاعده مديريه ذى سفال ثم بمعهد مصعب بن عمير بالحديدة ثم درس بمعهد المعلمين العام(مدرسه سباء بمدينة القاعده) ثم التحق بكلية الشريعه والقانون وعمل فى مجال المحاماه

الاقامه / ذى سفال اب الجمهوريه اليمنيه

العمل الحالى / محام مهتم بالفكر الاسلامى ودراسه القران الكريم وعلومه

المؤهل / ليسانس شريعه وقانون

الحاله الاجتماعيه متزوج من ثلاث نساء وله سبعه اولاد ثلاثه ذكور واربع بنات

بسم الله الرحمن الرحيم
الاهداء :إلى الأجيال الصاعدة

إلى شباب الإسلام وأطفاله، أمل المستقبل وقادة الغد،
إلى من سيحملون راية هذا الدين غداً،
إلى من سيبنيون حضارة الإسلام من جديد،
إلى من سيكونون القدوة للعالمين.

إليكم أيها الشباب أهدي هذا الكتاب،

فأنتم كنز الأمة، وذخرها، وعينها التي تنظر بها إلى المستقبل.
بكم تشرق شمس النهضة، وبكم تنهض أمتنا من كبوتها، وبكم يُستأنف مسير التمكين في الأرض.

إليكم،
يا من تعيشون في زخم الفتن، وكثرة المشتتات، وسيل الإغراءات،
يا من تخاطبكم وسائل الإعلام بألف لسان، وتريد أن تصرفكم عن دينكم ووطنكم وأمتكم،
يا من تواجهون حملات تشويه للإسلام، ومحاولات لسلخ هويتكم، وطمس عقيدتكم،

أهديكم سورة الأحقاف،
علكم تجدون فيها:

· عزتكم في قوله:} تنزِيلُ الكِتَابِ مِنَ اللهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ{
· مرجعيتكم في قوله:} إِنَّمَا العِلْمُ عِنْدَ اللهِ{
· طريقكم في قوله:} يَهْدِي إِلَى الحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ{
· نموذجكم في قصة إيمان الجن حين سمعوا القرآن فقالوا:} أَنصِتُوا{
· قدوتكم في هود عليه السلام حين صبر على أذى قومه
· جزاءكم في وعد الله للمستقيمين:} أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا{

تعلموا أيها الشباب من هذه السورة:

1.أن العزة ليست بالمال والجاه، بل بالتقوى والتمسك بكتاب الله.
2.أن الصبر مفتاح النصر، وأن طريق الأنبياء هو طريق الصبر والثبات.
3.أن الاستماع للقرآن بقلوب واعية هو الطريق إلى الهداية.
4.أن بر الوالدين واجب، والعقوق من كبائر الذنوب.
5.أن الدنيا قصيرة، وأن الآخرة هي دار القرار.
6.أن الجحود بعد المعرفة هو أعظم أنواع الكفر والخسران.
7.أن الله على كل شيء قدير، فلا تخافوا من قوى الباطل مهما عظمت.

يا شباب الإسلام،
أنتم الذين ستغيرون وجه الأمة،
بكم ستبنى الحضارة الإسلامية من جديد،
أنتم صانعو التغيير، وقادة المستقبل، وأمل الأمة.

لا تنتظروا الغد، فالغد يبدأ اليوم،
لا تنتظروا النصر، فالنصر يبدأ بالصبر،
لا تنتظروا التمكين، فالتمكين يبدأ بالإيمان والعمل.

إليكم،
يا شباب السوريين الفلسطينيين العراقيين اليمنيين المصريين،
يا شباب كل أرض ينزل فيها البلاء،
يا شباب كل بيت يسمع فيه صوت الجهاد،
يا شباب كل مدرسة وكل جامعة وكل مسجد.

اصبروا، ثابروا، ورباطوا، واتقوا الله لعلكم تفلحون.

واختموا حياتكم بما ختم الله به سورة الأحقاف:

{فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ بَلَاغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ}

كونوا أنتم البلاغ،
كونوا أنتم الصابرين،
كونوا أنتم أولي العزم،
كونوا أنتم من يغيرون واقع الأمة،
كونوا أنتم من يحملون راية الإسلام إلى العالمين.

اللهم بارك في شباب الإسلام، واهدهم، وقوهم، وثبتهم، واجعلهم من الفائزين في الدنيا والآخرة.

اللهم اجعلهم من المجيبين لداعي الله، ومن الصابرين في سبيل الله، ومن القادة المصلحين، ومن الذين تقبل عنهم أحسن ما عملوا وتجاوز عن سيئاتهم.

اللهم اجعلهم من أصحاب الجنة خالدين فيها، ومن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا.

اللهم أصلح شبابنا، واجعلهم أئمة للهدى، وقادة للخير، وحماة للدين، وبنة للحضارة الإسلامية.

اللهم أمين.
المحامي أحمد عبد الرزاق مربوش العامري

بسم الله الرحمن الرحيم
مذكرة تعريفية بكتاب "المفاهيم القرآنية من سورة الأحقاف"

أولا ً: التعريف بالكتاب

عنوان الكتاب: المفاهيم القرآنية من سورة الأحقاف

الموضوع: دراسة تفسيرية تحليلية متعمقة لسورة الأحقاف، تركز على استخراج المفاهيم القرآنية، وتحويلها إلى طاقة بناء للإنسان والمجتمع والحضارة الإسلامية.

طبيعة الكتاب: كتاب تفسيري تربوي حضاري، يجمع بين التأصيل العلمي والتطبيق العملي، ويمزج بين التحليل اللغوي والبلاغي والنفسي والتربوي.
تاليف :احمد عبد الرزاق مربوش العامري
مراجعه وتدقيق الاستاذ منير عبده عثمان الصلوى

ثانياً: منهجية الكتاب

يعتمد الكتاب منهجية متكاملة ومتنوعة، تتلخص في:

1. المنهج التكاملي: يجمع بين التفسير الموضوعي والتحليل الجزئي، ويربط الآيات ببعضها البعض لفهم السياق القرآني المتكامل.
2. المنهج الوجودي التفاعلي: يخاطب القارئ بشكل مباشر، ويجعله محوراً للخطاب القرآني، وكأن الآ يات تنزل عليه في لحظته الراهنة.
3. المنهج التحليلي المتعدد الأبعاد: يتناول كل آية من عدة زوايا:
- التفسير البياني والمعنى العام
- التحليل التفصيلي للمفردات والتراكيب
- الدروس المستفادة) النفسية، الفكرية، التربوية(
- التطبيق العملي في واقع الحياة المعاصرة
4. المنهج البنائي الحضاري: لا يقف عند التفسير النظري، بل يسعى لتحويل المفاهيم القرآنية إلى طاقة بناء للأفراد والمجتمعات والأمة والحضارة.
5. المنهج المقارن التاريخي: يربط بين قصص الأمم السابقة وواقع الأمة المعاصر، مستخلصاً السنن الإ لهية الثابتة.

ثالثاً: أبرز ما يميز هذا الكتاب

1. الرؤية الحضارية الشاملة: لا يقتصر الكتاب على التفسير التقليدي، بل يقدم رؤية متكاملة لبناء الإ نسان والمجتمع والحضارة من خلال الآيات القرآنية.
2. التطبيق العملي المباشر: يخصص لكل آية محوراً عملياً بعنوان "كيف نقرأ الآية ونحولها إلى واقع حياة"، مما يجعله كتاباً للإنسان المعاصر.
3. التكامل بين العقل والقلب: يخاطب الكتاب العقل بالتحليل المنطقي، والقلب بالتأمل الوجداني، و الروح بالإيمان واليقين.
4. معالجة القضايا المعاصرة: يعالج الكتاب قضايا العصر كالعولمة، التحديات الفكرية، الصراع الحضاري، الإعلام، التبعية الثقافية، وغيرها.
5. التركيز على البعد النفسي: يقدم تحليلا ً نفسياً عميقاً للآيات، ويربطها بالصحة النفسية والطمأنينة الداخلية.
6. اللغة الأدبية المؤثرة: يجمع بين الدقة العلمية والجمال الأدبي، مما يجعل القراءة ممتعة ومؤثرة في الوجدان.

رابعاً: لمحة عن محتوى الكتاب

يقسم الكتاب سورة الأحقاف إلى مقاطع قرآنية، ويعالج كل مقطع من خلال محاور متعددة، ويتضمن ما يلي:

المبحث الأول: آيات التأسيس1) - (2"حم .تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم"

· تحليل دلالة الحروف المقطعة
· شرح اسمي الله "العزيز الحكيم" ودورهما في بناء الشخصية المؤمنة
· مفهوم "تنزيل الكتاب" وأثره في التعامل مع القرآن

المبحث الثاني: آيات الاستدلال الكوني(3 - (4"ما خلقنا السماوات والأرض إلا بالحق..."

· البرهان الكوني على وجود الله ووحدانيته
· الحجة العقلية على البعث والنشور
· تحدّي المشركين بعجز آلهتهم عن الخلق

المبحث الثالث: آيات الحوار مع المشركين(5 -(10

· نقض عقيدة الشفاعة الباطلة
· بيان عجز المعبودات من دون الله
· إقامة الحجة على المكذبين

المبحث الرابع: قصة عاد ونبيها هود(21 -(28

· مشهد النذارة والشفقة النبوية
· رد المشركين واستهزائهم
· نزول العذاب واستدراج الله للكافرين

المبحث الخامس: قصة إيمان الجن(29 -(32

· أدب الاستماع للقرآن
· سرعة الاستجابة وهمة الدعوة
· نموذج الداعية المخلص

المبحث السادس: آيات البر بالوالدين(15 -(18

· وصية الله بالإحسان إلى الوالدين
· معاناة الأم في الحمل والوضع والإرضاع
· مشهد الأربعين ودعاء البار
· مشهد العاق وتوبيخه

المبحث السابع: آيات الجزاء(19 - (20"ولكل درجات مما عملوا"

· مبدأ العدالة الإلهية في الجزاء
· تفاوت الدرجات بحسب الأعمال
· مشهد العرض على النار وتوبيخ الكفار

المبحث الثامن: آيات التمكين والجحود (26) "ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه"

· أسباب انهيار الحضارات المادية
· دور السمع والبصر والفؤاد في الهداية
· تحذير من الجحود بعد المعرفة

المبحث التاسع: خاتمة السورة (35) "فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل"

· وصية الله لنبيه بالصبر
· التأسي بأولي العزم من الرسل
· النهي عن استعجال العذاب
· حقيقة الدنيا وقصرها
· سنة الله في هلاك الفاسقين

خامساً: أبرز المحاور والقضايا التي يعالجها الكتاب

1. مشكلة المعرفة ومصادرها: يقدم الكتاب رؤية قرآنية لمصادر المعرفة) الوحي، العقل، الكون(، ويرفض الفصل بينها.
2. قضية المرجعية: يعالج الكتاب أزمة المرجعية في الفكر الإسلامي المعاصر، ويؤكد على مركزية القرآن والسنة.
3. الصراع بين الحق والباطل: يقدم الكتاب نموذجاً قرآنياً لفهم الصراع الحضاري بين الإيمان والكفر، ويسلط الضوء على أساليب الباطل وتشويهه للحق.
4. قضية التمكين الحضاري: يحلل أسباب نهوض الأمم وسقوطها، ويقدم رؤية قرآنية لبناء الحضارة ا لإسلامية المنشودة.
5. مشكلة النفس البشرية: يعالج الكتاب القلق الوجودي، والخوف، والحزن، والكبر، والعقوق، ويقدم حلولا ً قرآنية لها.
6. قضية الدعوة والتبليغ: يقدم نموذجاً للداعية المسلم في أسلوبه، وصبره، وشفقته، وأدبه في الحوار.
7. العلاقة بين الإيمان والعمل: يؤكد الكتاب على أن الإيمان ليس مجرد تصديق قلبي، بل عمل صالح وسلوك مستقيم.
8. قضية القدوة والتأسي: يدعو الكتاب إلى التأسي بأولي العزم من الرسل في الصبر والثبات.

سادساً: المفاهيم الأساسية في الكتاب

1. التوحيد: إفراد الله بالعبادة والربوبية والألوهية.
2. التنزيل: القرآن كتاب منزل من الله، له قدسية ومرجعية مطلقة.
3. العزة: القوة المستمدة من الله، والاستعلاء بالحق.
4. الحكمة: وضع الأمور في مواضعها، وإتقان العمل.
5. الاستقامة: الثبات على دين الله ظاهراً وباطناً.
6. الاستبصار: رؤية الحق بوضوح، والبصيرة النافذة.
7. الجحود: إنكار الحق بعد معرفته.
8. الاستدراج: إمهال الله للكافرين بالنعم ثم أخذهم فجأة.
9. أولو العزم: الأنبياء الذين صبروا على أذى أقوامهم.
10. الإجابة: الاستجابة لداعي الله بالإيمان والعمل الصالح.
11. السنن الإلهية: القوانين الثابتة التي تحكم التاريخ والمجتمع.
12. البعث: إحياء الله للموتى للحساب والجزاء.
13. الدرجات: تفاوت منازل الناس في الجنة والنار بحسب أعمالهم.
14. البلاغ: تبليغ رسالة الله إلى الناس، وهو واجب الأنبياء والدعاة.

سابعاً: أسلوب الكاتب

يتميز أسلوب الكاتب في هذا الكتاب بالخصائص التالية:

1. الأسلوب الخطابي المباشر: يخاطب القارئ بأسلوب شخصي مؤثر، وكأنه يتحدث إليه مباشرة.
2. البلاغة الأدبية: يجمع بين الدقة العلمية والجمال الأدبي، مع استخدام الصور البلاغية المؤثرة.
3. التدرج المنطقي: ينتقل من التفسير إلى التحليل إلى الدروس إلى التطبيق في تسلسل منطقي.
4. التكامل بين العاطفة والعقل: يخاطب العقل بالحجج والبراهين، والقلب بالمشاعر والوجدان.
5. الوضوح والبساطة: يقدم الأفكار المعقدة بأسلوب سهل ومباشر، مع العمق العلمي.
6. الحماسة والدعوة: يتميز الأسلوب بالحماسة الإيمانية والدعوة إلى العمل والتغيير.
7. الاستشهاد بالواقع: يربط النصوص القرآنية بواقع الأمة المعاصر وتحدياتها.

ثامناً: ما الذي يمتاز به هذا الكتاب

.1شمولية الرؤية: يغطي الكتاب مختلف الجوانب) العقدية، النفسية، التربوية، الاجتماعية، الحضارية.(
.2التجديد المنهجي: يقدم منهجاً جديداً في تفسير القرآن، يركز على التحويل والتطبيق أكثر من الشرح النظري.
.3معالجة الإشكاليات المعاصرة: يربط النصوص القرآنية بقضايا العصر كالعولمة، الهوية، التحديات الفكرية، وغيرها.
.4التوازن بين الأصالة والمعاصرة: يجمع بين التأصيل الشرعي والمواكبة العصرية.
.5العمق النفسي والتربوي: يقدم تحليلا ً نفسياً وتربوياً للآيات، مما يجعله كتاباً للتنمية البشرية.
.6البنائية الحضارية: لا يقف عند النقد والتحليل، بل يقدم مشروعاً بناءً لنهضة الأمة.
.7الوضوح والترتيب: يتميز الكتاب بالتنظيم المنهجي الدقيق، مما يسهل على القارئ متابعته واستيعابه.

تاسعاً: دور الكتاب في خدمة الأمة الإسلامية

.1تأصيل الفكر الإسلامي: يقدم الكتاب تأصيلا ً قرآنياً للفكر الإسلامي المعاصر في مختلف المجالات.
.2بناء الشخصية المسلمة: يساهم الكتاب في بناء شخصية المسلم المتكاملة) العقدية، النفسية، الأخلا قية، الفكرية.(
.3معالجة التحديات المعاصرة: يقدم الكتاب حلولا ً قرآنية للتحديات الفكرية والثقافية والحضارية التي تواجه الأمة.
.4ترسيخ الهوية الإسلامية: يعزز الكتاب الانتماء للهوية الإسلامية، ويربط المسلم بكتابه وتاريخه وأمته.
.5إعداد الدعاة والمصلحين: يقدم الكتاب نموذجاً للداعية والمصلح في منهجه، وصبره، وأدبه، وشفقته.
.6رؤية حضارية للنهضة: يقدم الكتاب مشروعاً قرآنياً لنهضة الأمة، يقوم على الإيمان والعلم والعمل و الإتقان.
.7توحيد الأمة على المرجعية القرآنية: يدعو الكتاب إلى توحيد الأمة حول مرجعيتها القرآنية، بعيداً عن التفرق والتمزق.
.8التحصين الفكري: يحصن الكتاب العقول من الأفكار الدخيلة والمنحرفة، ويقدم المناعة الفكرية للأ مة.

عاشراً: الجمهور المستهدف

يناسب الكتاب الفئات التالية:

.1طلاب العلم الشرعي: يقدم الكتاب منهجاً متكاملا ً في التفسير الموضوعي والتحليلي.
.2الدعاة والمصلحون: يزودهم الكتاب بأدوات دعوية وفكرية لمواجهة التحديات.
.3المربون والمعلمون: يقدم الكتاب مضامين تربوية وأساليب تعليمية قرآنية.
.4المفكرون والباحثون: يثري الكتاب الفكر الإسلامي بتحليلات معمقة ورؤى حضارية.
.5المهتمون بالتنمية البشرية: يقدم الكتاب برنامجاً قرآنياً لتنمية الذات وبناء الشخصية.
.6عموم المسلمين: بأسلوبه السهل الممتنع، يناسب الكتاب مختلف فئات المجتمع.
.7الشباب المسلم: يخاطب الكتاب هموم الشباب وتحدياتهم، ويقدم لهم نموذجاً قرآنياً للحياة.

حادي عشر: مخرجات هذا الكتاب) ما يتركه في القارئ(

.1اليقين العقلي والإيماني: يزرع الكتاب في القارئ يقيناً راسخاً باللّٰه وكتابه ووعده.
.2الشخصية المتزنة: يبني الكتاب شخصية متوازنة تجمع بين القوة واللين، والعزة والتواضع.
.3العقلية الناقدة: يطور الكتاب مهارات التفكير النقدي والتحليلي لدى القارئ.
.4الصبر والثبات: يزرع الكتاب روح الصبر والثبات على الحق في وجه التحديات.
.5الهمة الحضارية: يطلق الكتاب همة القارئ للعمل على نهضة الأمة وبناء الحضارة الإسلامية.
.6التعلق بالقرآن: يزيد الكتاب حب القارئ للقرآن وتعلقه به، ويعلمه كيفية التعامل معه.

.7التوازن النفسي: يقدم الكتاب علاجاً للقلق والخوف والحزن، ويمنح القارئ الطمأنينة والسكينة.
.8الاستعداد للدعوة: يعد الكتاب القارئ ليكون داعية إلى الله، في أسرته ومجتمعه وأمته.
.9البصيرة النافذة: يمنح الكتاب القارئ بصيرة نافذة يرى بها الحق من الباطل، والخير من الشر.
.10الإيجابية والتفاؤل: يزرع الكتاب روح الأمل والرجاء في الله، والإيجابية في التعامل مع الحياة.

ثاني عشر: الخلاصة

"المفاهيم القرآنية من سورة الأحقاف" كتاب متميز يجمع بين التفسير العميق والتحليل الشامل و التطبيق العملي، ويقدم رؤية قرآنية متكاملة لبناء الإنسان والمجتمع والحضارة الإسلامية.

يتميز الكتاب بمنهجيته التكاملية التي تجمع بين العقل والقلب، والأصالة والمعاصرة، والنظرية و التطبيق، بأسلوب أدبي مؤثر يخاطب مختلف شرائح المجتمع.

يساهم الكتاب في خدمة الأمة الإسلامية من خلال تأصيل الفكر الإسلامي، وبناء الشخصية المسلمة، ومعالجة التحديات المعاصرة، وترسيخ الهوية الإسلامية، وإعداد الدعاة والمصلحين، وتقديم رؤية حضارية للنهضة.

إن هذا الكتاب ليس مجرد كتاب يقرأ، بل هو برنامج حياة يُعاش، ودستور نهضة يُعمل به، ومنهج بناء يُطبق في واقع الأمة.
احمد عبد الرزاق مربوش العامري

بسم الله الرحمن الرحيم
مذكرة تعريفية بسورة الأحقاف

أولا ً: عدد آيات السورة

عدد آيات سورة الأحقاف: 35 آية.

ثانياً: مكان نزول السورة

سورة الأحقاف مكية بإجماع المفسرين، نزلت على النبي ﷺ في مكة المكرمة قبل الهجرة، في الفترة المكية المتأخرة.

ثالثاً: ترتيب السورة

· الترتيب في المصحف المرتل: السورة رقم 46 في ترتيب المصاحف.
· الترتيب من حيث النزول: نزلت بعد سورة الجاثية، وهي من السور المكية التي نزلت في أواخر العهد المكي.

رابعاً: أسماء السورة وسبب التسمية

الاسم المشهور

سُميت سورة الأحقاف، والأحقاف جمع "حِقف"، وهو الكثيب العظيم من الرمل المعوج .وقد ورد ذكرها في قوله تعالى:} وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ] {الأحقاف:. [21

سبب التسمية

سميت بذلك لأنها ذكرت قصة نبي الله هود عليه السلام وقومه عاد، الذين كانوا يسكنون في منطقة "الأحقاف" - وهي رمال معوجة في جنوب الجزيرة العربية.

أسماء أخرى للسورة

ليس لها أسماء أخرى مشهورة، وتُعرف بهذا الاسم فقط.

خامساً: أسباب النزول

أسباب النزول العامة للسورة:

.1نزولها في سياق التثبيت: نزلت سورة الأحقاف في وقت كان المسلمون في مكة يعانون أشد البلاء من المشركين، وتثبيتاً للنبي ﷺ والمؤمنين على ما هم عليه من إيمان.
.2الرد على المشركين: نزلت للرد على شبهات المشركين الذين أنكروا البعث والنشور، واستهزؤوا بـ القرآن، وقالوا إنه سحر أو افتراء.
.3قصة إيمان الجن: نزلت لتحكي قصة نفر من الجن استمعوا للقرآن وآمنوا به، وذلك تثبيتاً للنبي ﷺ وتقريعاً لقريش.
.4الوصية بالوالدين: نزلت آيات الوصية بالوالدين لترسيخ بر الوالدين، وبيان عاقبة العقوق.

سادساً: أهداف وأغراض السورة

.1تقرير التوحيد وإثبات وحدانية الله.
.2إثبات البعث والنشور بالبراهين الكونية والعقلية.
.3الرد على شبهات المشركين وبيان زيف حججهم.
.4تثبيت النبي ﷺ والمؤمنين على ما هم عليه من إيمان وصبر.
.5بيان سنة الله في الأمم السابقة كقصة عاد وقصة إيمان الجن.
.6ترسيخ مفهوم العزة بالله وعدم الخوف من قوى الباطل.
.7الحث على بر الوالدين وبيان عاقبة العقوق.

سابعاً: خصائص السورة

.1خاصة في الافتتاح والختام: افتتحت بـ"حم .تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم" وختمت بـ "فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ..."، مما يعطيها طابعاً خاصاً من العزة والحكمة والصبر.
.2الجمع بين القصص والأحكام والمواعظ: اشتملت على قصص) قصة عاد، وقصة الجن(، وأحكام)الوصية بالوالدين(، ومواعظ وعبر.
.3التدرج المنطقي في الاستدلال: تنتقل من تقرير مصدر القرآن إلى الأدلة الكونية، إلى التحدي، إلى القصص، إلى الحجج العقلية، إلى الخاتمة.
.4التركيز على السنن الإلهية: اهتمت ببيان السنن الربانية في الأمم السابقة.
.5خاصية إيمان الجن: انفردت السورة بذكر قصة إيمان نفر من الجن بالتفصيل.

ثامناً: ما انفردت به السورة

.1تفصيل قصة إيمان الجن: ذكرت السورة قصة نفر من الجن استمعوا للقرآن وآمنوا به، ودعوا قومهم إلى الإيمان.
.2تفصيل معاناة الأم: ذكرت السورة تفصيلا ً دقيقاً لمعاناة الأم في الحمل والوضع والإرضاع) آيات 15-16(.
.3تحدي المشركين بالعذاب: ورد فيها تحدٍّ للمشركين وتوبيخ لهم بقوله:} فَذُوقُوا العَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ.{
.4وصف عذاب عاد: ورد فيها وصف مفصل لعذاب قوم عاد بالريح المدمرة} تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا.{

تاسعاً: الأجواء التي نزلت فيها السورة

نزلت في الفترة المكية المتأخرة، وكانت الأجواء كالتالي:

.1شدة البلاء على المسلمين: كان المسلمون في مكة يعانون من التعذيب والاضطهاد على أيدي المشركين.
.2استهزاء المشركين بالقرآن: كان المشركون يقولون عن القرآن إنه سحر أو شعر أو كهانة أو أساطير الأولين.
.3إنكار البعث: كان المشركون ينكرون البعث والنشور، ويستهزئون بوعد الله.
.4قوة المشركين: كانت قريش في ذروة قوتها المادية، وكان المستكبرون يسخرون من ضعف المؤمنين.
.5الحملات الإعلامية الضد الإسلام: كان المشركون يشنون حملات إعلامية ضد النبي ﷺ والقرآن، يصفونه بالسحر والجنون والافتراء.

عاشراً: المواضيع والقضايا التي تعالجها السورة وارتباطها بالأجواء

أ .قضية التوحيد

عالجت السورة قضية التوحيد، وبيّنت أن الله هو الخالق المدبر، وأن ما يعبده المشركون من دون الله لا يملك ضراً ولا نفعاً . ارتباطها بالأجواء: جاءت لترد على الشرك الذي كان سائداً في مكة.

ب .قضية البعث والنشور

أقامت السورة البراهين العقلية والكونية على البعث، مستدلة بخلق السماوات والأرض، وبيان قدرة الله على إحياء الموتى . ارتباطها بالأجواء: جاءت لترد على إنكار المشركين للبعث.

ج .قضية الصراع مع المستكبرين

بيّنت السورة طبيعة الصراع بين الحق والباطل، وقصت قصة عاد كمثال على هلاك المستكبرين . ارتباطها بالأجواء: جاءت لتثبيت المؤمنين أمام عناد المشركين واستكبارهم.

د .قضية القدوة الحسنة

قدمت السورة نموذجاً في الصبر والثبات من خلال قصة هود عليه السلام، ونموذجاً للاستجابة من خ

لال قصة إيمان الجن . ارتباطها بالأجواء: جاءت لتسلية النبي ﷺ والمؤمنين وتثبيتهم.

ه- .قضية بر الوالدين

أكدت السورة على بر الوالدين، وبينت عاقبة العقوق، وألزمت الأبناء بشكر آبائهم وأمهاتهم . ارتباطها با لأجواء: جاءت لمعالجة مشكلة العقوق التي كانت متفشية في بعض المجتمعات.

حادي عشر: توجيهات السورة

.1توجيه نحو التوحيد:} أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ] {الأحقاف:. [21
.2توجيه نحو الصبر والثبات:} فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ] {الأحقاف:. [35
.3توجيه نحو التوكل على الله والثقة به:} إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ] {الأحقاف:. [23
.4توجيه نحو بر الوالدين:} وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا] {الأحقاف:. [15
.5توجيه نحو الاستبصار والتدبر:} أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى] {الأحقاف:. [33
.6توجيه نحو الالتزام بالمرجعية القرآنية:} تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ] {الأحقاف:. [2
.7توجيه نحو اليقين بالبعث والجزاء:} وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ] {الأحقاف: .[34

ثاني عشر: مقاصد السورة

.1إثبات التوحيد: تقرير وحدانية الله في الخلق والعبادة.
.2إثبات البعث والنشور: بالبراهين العقلية والكونية.
.3الرد على شبهات المشركين: وتفنيد حججهم الباطلة.
.4تثبيت النبي والمؤمنين: بالصبر والتوكل والثقة بوعد الله.
.5بيان سنة الله في الأمم: من خلال قصة عاد وإيمان الجن.
.6الحث على بر الوالدين: وبيان عاقبة العقوق.
.7التربية على العزة والحكمة: الاستمداد من الله وليس من قوى الدنيا.
.8تحقيق الطمأنينة النفسية: بنفي الخوف والحزن عن المؤمنين.
.9الدعوة إلى الاستبصار: رؤية الحق بوضوح والتسليم له.
.10التحذير من الجحود بعد المعرفة: وهو أعظم أنواع الكفر.

الخلاصة

سورة الأحقاف سورة مكية، عدد آياتها 35 آية، نزلت في أواخر العهد المكي لتثبيت النبي ﷺ و المؤمنين، وترد على شبهات المشركين المنكرين للبعث والنشور .سميت بذلك لذكرها قصة نبي الله هود وقومه عاد الذين سكنوا في منطقة "الأحقاف".

تناولت السورة قضايا محورية: التوحيد، البعث، الرد على المشركين، قصة عاد، قصة إيمان الجن، الوصية بالوالدين، وسنة الله في الأمم .وتميزت بخصائص عدة منها: الافتتاح ب-"حم .تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم"، والاختتام بوصية الصبر والتأسي بأولي العزم من الرسل.

انفردت السورة بتفصيل قصة إيمان نفر من الجن، وتفصيل معاناة الأم، ووصف دقيق لعذاب قوم عاد بالريح المدمرة .وقدمت توجيهات مهمة نحو التوحيد، والصبر، والتوكل، وبر الوالدين، واليقين بالبعث، والالتزام بالمرجعية القرآنية.

مقاصد السورة تتلخص في: إثبات التوحيد، وإثبات البعث، والرد على المشركين، وتثبيت المؤمنين، وبيان سنة الله، والتربية على العزة والحكمة، والوصية بالوالدين، وتحقيق الطمأنينة النفسية، والتحذير من الجحود بعد المعرفة.

بسم الله الرحمن الرحيم
مقدمه تمهيديه
التناسب بين ما اختتمت به سورة الجاثية وما افتتحت به سورة الاحقاف
تُعد سورة "الجاثية" وسورة "الأحقاف" جزءاً من منظومة "الحواميم" (السور التي تبدأ بـ حم)، وهي سورة مكية بامتياز تتسم بضبط الإيقاع الإيماني والرد على شبهات المشركين حول البعث والوحي. ويظهر بينهما تناسب دقيق ومحكم:
أولا ً: التناسب بين خاتمة الجاثية وافتتاحية الأحقاف
* **خاتمة الجاثية:** انتهت بتقرير كبرياء الله وعظمته وتفرده بالحمد، وإثبات أن الملك له وحده، قال تعالى: **{فَلِلَّهِ الحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الأَرْضِ رَبِّ العَالَمِينَ * وَلَهُ الكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ}**. (الآيتان 36-37).
* **افتتاحية الأحقاف:** بدأت بتقرير حكمة تنزيل الكتاب من لدن هذا الإله العزيز الحكيم، قال تعالى: **{حم * تنزيلُ الكِتَابِ مِنَ اللهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ}**.
وجه التناسب:
الجاثية ختمت بصفات الجلال (العزة والحكمة والحمد)، فجاءت الأحقاف لتؤكد أن هذا "الكتاب" الذي بين أيدينا هو تجل لهذه الصفات؛ فبما أن الله هو "العزيز الحكيم" الذي له الكبرياء في السماوات والأرض، فمن مقتضى كبريائه وعزته أن يُنزل وحياً يهدي الناس، وهذا الوحي صادر عن تلك الذات التي عُظّمت في ختام السورة السابقة.
ثانياً: التناسب الموضوعي بين سورة الجاثية وسورة الأحقاف
تنتظم السورتان في سياق "إثبات الحقائق الكبرى" (التوحيد، البعث، صدق الوحي)، ويمكن رصد التناسب الموضوعي في الآتي:
1. وحدة الرد على "الاستكبار"
* **في الجاثية:** وُصف المشركون بالاستكبار والإعراض عن آيات الله: {وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا}.
* **في الأحقاف:** تكرر نفس المشهد في التكذيب بالحق والاستكبار عليه: {وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا}.
* **الرابط:** السورتان تعاملتا مع داء "الاستعلاء النفسي" لدى الكفار، وهو الذي يمنعهم من التسليم للوحي.
2. البرهنة على "البعث" عبر "خلق السماوات والأرض"
* **في الجاثية:** استدلت السورة بخلق السماوات والأرض على البعث: {إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ}.
* **في الأحقاف:** أكدت السورة أن من خلق السماوات والأرض قادر على إحياء الموتى: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ}.
* **الرابط:** كلاهما يربط بين "القدرة الكونية" وبين "الجزاء الأخروي".
3. موقف "الجن" من الوحي (رابط خفي)
* من اللطائف الموضوعية أن الجاثية ذكرت طغيان المشركين وعنادهم، بينما الأحقاف قدمت نموذجاً معاكساً تماماً في سياق "الجن": {وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ...}.
* **الرابط:** بينما يصرُّ المشركون من الإنس على "الاستكبار"، نجد الجن يستمعون للقرآن في "الأحقاف" ويؤمنون به، في إشارة إلى أن الوحي هو الحقيقة التي لا ينكرها إلا المستكبر المعاند من الإنس.
4. تدرج الخطاب في السورتين
* **الجاثية:** تركز على **"العدل الإلهي"** في يوم الحشر (جثو الأمم، كتاب الأعمال).
* **الأحقاف:** تركز على **"الإنذار والتذكير"** (قصة هود، عاد، استماع الجن).
* كأن الجاثية وضعت "دستور العدل والحساب"، والأحقاف جاءت لتجسيد هذا الدستور من خلال قصص التاريخ والأمم السابقة.
خلاصة الرابط:
الجاثية تبني "اليقين العقلي" بالحساب والجزاء، والأحقاف تحوّل هذا اليقين إلى "عظة وتاريخ" يُستدل به على أن عاقبة المستكبرين الذين كذبوا بالوحي هي الهلاك، وعاقبة المؤمنين هي النجاة، وذلك كله تحت مظلة "العزة والحكمة" التي فُتحت بها سورة الأحقاف.
ثانيا
فائده التتابع الموضوعى بين سورة الجاثية وسورة الاحقاف ودوره في بناء ذاكره تاريخيه للامه المسلمه لمواجهه تحدياتها المعاصره
إنّ التتابع الموضوعي في القرآن الكريم ليس مجرد ترتيبٍ عشوائي أو سردي، بل هو** "هندسة معرفية" **تهدف إلى صياغة عقلية الأمة، وتكوين "ذاكرة تاريخية" لا تتأثر بضغط اللحظة أو تهافت ا لأحداث.

بالنظر إلى السور التي تدارسناها) الجاثية، الأحقاف، الجن، المزمل، المدثر(، يظهر دور التتابع الموضوعي في بناء هذه الذاكرة من خلال المحاور التالية:

1. الذاكرة كـ "ميزان للسنة الإلهية") مواجهة صدمة الواقع(

التتابع في سور الحواميم) الجاثية والأحقاف (ينقل الأمة من "الحدث الفردي" إلى "السنة الكلية".

** * الفائدة: **عندما يقرأ الداعية أو الباحث عن هلاك الأمم السابقة) كعاد في الأحقاف (ثم يربطها بـ "العدل الإلهي") في الجاثية(، تتكون لديه** ذاكرة تاريخية **محصنة ضد اليأس .فهو يدرك أن "الاستكبار" الذي يراه اليوم في قوى الباطل هو تكرارٌ لنفس النموذج التاريخي الذي حسمت نتيجته مسبقاً في "سنة الله".**

** * الدور في التحديات: **هذا يمنح الأمة "نفساً طويلا " في مواجهة التحديات، لأنها لا تقيس قوتها مقابل قوة الباطل، بل تقيس وضعها مقابل "السنة الإلهية" التي لا تحابي أحداً.

2. الذاكرة كـ "جسر بين الغيب والشهادة") تجاوز الضعف المادي(

التتابع من سورة الجن) إيمان الغيب بالوحي (إلى المدثر) الجهر بالدعوة (يُرسخ في ذاكرة الأمة أن القوة لا تكمن في الماديات فقط.

** * الفائدة: **الذاكرة التاريخية للأمة المسلمة قامت على أن "المدد" يأتي من خارج نطاق التقديرات المادية) كما في قصة استماع الجن للقرآن.(

** * الدور في التحديات: **في ظل هيمنة "القوة المادية" على العالم المعاصر، تذكرنا هذه الذاكرة بأن للحق أنصاراً ومسارات لا تراها الأبصار، مما يحرر الأمة من** "عقدة الدونية المادية" **أمام الحضارات الأخرى.

3. التتابع كـ "منهج تراكمي للبناء") مواجهة التشتت(

لقد رأينا كيف أن السور) المزمل، المدثر (تبني الداعية لبنةً لبنة .هذا التتابع الموضوعي يعلم الأمة أن "التغيير" ليس طفرة، بل هو تراكم.

** * الفائدة: **الذاكرة التاريخية التي يبنيها هذا التتابع تعيد للأمة الاعتبار لـ** "مرحلة الاستضعاف والبناء".**

** * الدور في التحديات: **نحن اليوم نعاني من "استعجال النتائج" .التتابع القرآني يذكرنا بأن نبينا ﷺ لم يقم بالإنذار العلني إلا بعد "تأسيس روحي") مزمل .(هذا يعيد ترتيب أولويات الأمة؛ فنحن بحاجة إلى "بناء الإنسان" قبل "تصدر الميدان".

4. التحرر من "مركزية الذات" إلى "مركزية الرسالة"

السور المكية في تتابعها الموضوعي تنقل الأمة من انشغالها بـ "ألمها الخاص" إلى "رسالتها العالمية".

** * الفائدة: **الذاكرة التاريخية التي يشكلها القرآن تربط الأمة بمسيرة الرسل جميعاً) هود، نوح، غيرهم(، مما يخرج الأمة من "الانكفاء على الذات" إلى "الإحساس بالمسؤولية الكونية".

** * الدور في التحديات: **مواجهة التحديات المعاصرة) كالعولمة، تفتت الهوية (تتطلب رؤية عالمية، وهو ما يوفره التتابع الموضوعي الذي يربط "الداعية المسلم" بسياق تاريخي وكوني يتجاوز الحدود الجغرافية.

كيف يواجه هذا الذاكرةُ التاريخيةُ التحدياتِ المعاصرة؟

** 1. في مواجهة التشكيك: **الذاكرة التاريخية المرتكزة على السنن) كما في الجاثية والأحقاف (تجعل الأمة صلبة أمام موجات الإلحاد أو التشكيك في ثوابت الوحي.

** 2. في مواجهة الاحتراب الداخلي: **الذاكرة التي تربط الأمة بمشروع "البناء") المزمل، المدثر (تحول الطاقة من الصراعات الهامشية إلى "تكامل الأدوار" في مشروع الإصلاح.

** 3. في مواجهة التمييع الثقافي: **هذا التتابع يحفظ هوية الأمة من خلال ربطها بـ "القول الثقيل") القرآن (كمرجعية عليا ووحيدة، مهما تغيرت المعايير الاجتماعية أو السياسية.

ثالثا

رساله سورة الاحقاف

تُعد سورة "الأحقاف" سورة** "التثبيت والإنذار"**، ورسالتها المركزية تدور حول** إثبات صدق الوحي في مواجهة استكبار المعاندين، وبيان أنّ السنن الإلهية في إهلاك المكذبين وتأييد المؤمنين هي سنة مطردة لا تتغير.**

يمكن تلخيص رسالة السورة في أربعة محاور أساسية تشكل "رسالتها الكلية":

1. إقامة الحجة بالخلق والبعث

تفتتح السورة برسالة قوية: أنّ هذا الكتاب ليس من صنع البشر، بل هو تنزيل من "العزيز الحكيم" . ثم تنتقل إلى البرهان الكوني، فتؤكد أن من خلق السماوات والأرض ولم يعيَ) يصعب عليه (بخلقهن، قادر قطعاً على إحياء الموتى.

** * الرسالة: **لا عذر لمن ينكر البعث بعد رؤية عظمة الخلق؛ فالتكذيب بالآخرة هو "انتحار عقلي" وليس مجرد وجهة نظر.

2. المواجهة الصريحة مع "الاستكبار"

السورة تكشف القناع عن داء "الاستعلاء" .المشركون قالوا:} لَوْ كانَ خَيْرًا مّا سَبَقُونا إلَيْهِ{، ظانين أنّ

"سبقهم الزمني" أو "مكانتهم الاجتماعية" تمنحهم الحق في تقييم الحق.
** * الرسالة: **إنّ قبول الحق لا علاقة له بالوجاهة الاجتماعية أو الأسبقية الزمنية، بل هو عطاء إلهي يمنح لمن يتواضع للوحي، وليس لمن يستكبر عليه.
.3 ربط مصير "الأفراد" بـ "السنن التاريخية"
تستعرض السورة نموذجاً تاريخياً وهو "قوم عاد") سكان الأحقاف(، الذين كانوا أقوى من قريش ومع ذلك أهلكهم الله بكفرهم واستكبارهم.
** * الرسالة: **التاريخ ليس مجرد قصص، بل هو "معمل للسنن" .السورة تحذر الأمة) من خلال خطاب النبي ﷺ (من أنّ الإصرار على التكذيب يؤدي حتماً إلى مصير مماثل، مهما بلغت قوة المستكبرين ومناعتهم.
.4 الرهان على "الاستجابة النوعية") نموذج الجن والمؤمنين(
بينما يعرض كفار قريش عن القرآن، تقدم السورة نموذجاً نقيضاً: "نفر من الجن" استمعوا للقرآن فآمنوا به وعادوا إلى قومهم منذرين.
** * الرسالة: **الحق لا يحتاج إلى "كثافة عددية" من المستكبرين ليثبت صدقه، بل يحتاج إلى "قلوب تستجيب" .إيمان الجن هنا يمثل صدمةً لغرور الإنس، وفضحاً لعنادهم؛ فالخلق غير المكلفين استجابوا، فكيف يرفض المكلفون؟
الخلاصة) رسالة السورة في كلمة واحدة(:** "الاستبصار"**
رسالة سورة الأحقاف هي دعوة لكل مستكبر ليتحرر من "حجابه النفسي") الاستعلاء والتقاليد الموروثة (ويتحول إلى "الاستبصار") رؤية الحق بوضوح(، من خلال النظر في ملكوت الله، والاعتبار بمصارع الأمم، والسمع الواعي للوحي**.

المقطع الاول
أما بعد، أيها القارئ الكريم، أيها السامع المنصت بقلبك قبل أذنك، دعني آخذ بيدك في رحلة لا تشبه أي رحلة أخرى .رحلة لن ننتقل فيها من مكان إلى مكان، بل من عمق النفس إلى آفاق السماء، ومن قيود المادة إلى حرية اليقين .نحن اليوم على موعد مع آيتين من كتاب الله، ليستا مجرد كلمات تُتلى، بل هما مفتاح لفهم الحياة، وشيفرة لإعادة برمجة الروح، وبوصلة لا تخطئ في زمن كثرت فيه المسارات وتشعبت فيه الدروب.

توقف معي قليلا ً .أغمض عينيك، وتنفس بعمق، واستشعر للحظة أنك تستعد لاستقبال رسالة .ليست رسالة من صديق، ولا تعميماً من جهة عمل، بل رسالة خاصة جداً، موقعة بختم الملكوت، قادمة من مقام العزة والحكمة .هل تشعر بهذا الرجيف الخفيف في قلبك؟ هذا هو صوت الفطرة التي تتعرف على خالقها .هذا هو الاستعداد لتلقي "تنزيل الكتاب" .انطلق معي الآن، ولنغص معاً في أعماق هذه الآ يات، محاورين العقل، مناجين القلب، وبانين معاً صورة متكاملة لحياة تليق بمن يحمل هذا الكتاب.

المقدمة

لماذا نقف اليوم عند سورة الأحقاف تحديداً؟ لأنها سورة مكية نزلت في زمن اشتدت فيه وطأة الباطل على الحق، زمن كان فيه القلة المؤمنة تُسام ألوان العذاب، وتُحاصر بالتكذيب والاستهزاء .وفي خضم هذا الظلام الدامس، ينزل هذا الاستهلال القرآني المعجز كالشمس الساطعة:} حم (1) تنزِيلُ الكِتَابِ مِنَ اللهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ.{(2)
إنها ليست مجرد بداية لسورة، بل هي إعلان سيادي، ومنهج تأسيسي، وشحنة نفسية هائلة تهدف إلى بناء الإنسان من الداخل قبل أن تغير واقعه من الخارج .هذا النص القصير في مبناه، العميق في معناه، هو دستور "المرجعية" الذي سيبني عقلك، ويصوغ وجدانك، ويرسم ملامح شخصيتك الحضارية.

بيان تفسير الآية والمعنى العام لها أولا ً

قبل أن نخوض في أغوار التحليل، دعنا نضع أقدامنا على أرض صلبة من المعنى الإجمالي .يفتتح الله تعالى هذه السورة بحرفين من حروف المعجم: "حم" .هذا النداء الحرفي ليس عبثاً، بل هو تنبيه للغافل، وإيقاظ للقلب، وتحدٍ للعرب الفصحاء .ثم يأتي البيان الصارم القاطع مباشرة بعدها: هذا القرآن الذي تتساءلون عنه وتختلفون في مصدره ليس شعراً ولا كهانة ولا أساطير الأولين، بل هو "تنزيل"، أي أنه نزل من علو مطلق، منجماً ومفرقاً بحكمة، تدريجياً ليمس شغاف القلوب ويعالج واقع الحياة .
ومصدر هذا التنزيل هو "الله" وحده، المتصف بصفات الكمال والجلال .وهو "العزيز" الذي لا يُغلب ولا يُقهر، القوي الذي يحمي كتابه ومن يتبعه .وهو "الحكيم" الذي يضع كل شيء في موضعه الأتقن، فلا يأمر إلا بما يصلح، ولا ينهى إلا عما يفسد .هذا هو المعنى العام: كتاب سماوي المصدر، إلهي الضمان،

قوي الحماية، حكيم التوجيه.

أولا ً: تحليل الآيتين

الأمر الأول: تحليل الآية الأولى} حم{

دعنا نقف لحظة عند هذين الحرفين .حرفان فقط، لكنهما يفتحان أمامنا عالماً من المعاني .كيف يمكن لحرفين أن يفعلا بنا كل هذا؟ تعالَ معي لنحلل معاً.

المحور الأول: تحليل} حم{

س1: ما هو معنى) حم (في بداية السورة؟

أنت الآن تقرأ حرفين: الحاء والميم .وبين يديك كتاب الله .فماذا يعنيان؟ لقد تعددت آراء العلماء، وكلها تنبئك أنك تقف أمام سر عظيم، وهذا التنوع يثري فهمك ولا يشتته:

.1اسم من أسماء الله: تخيل أن هذه الحروف هي اسم من أسماء ربك، كأنها شيفرة تدلك عليه، قيل إنها اسم الله الأعظم، أو أن "الحاء" إشارة إلى "الرحمن" و"الميم" إشارة إلى "الرحيم" .هذا الرأي يملأ قلبك هيبة، فأنت تفتتح القراءة باسم من أسمائه الحسنى.
.2اسم للسورة: انظر إليها كعنوان مميز لهذه السورة، علامة فارقة تجعلك تتعرف عليها فوراً، وكأنها بوابة الدخول إلى عالم خاص من المعاني.
.3سر استأثر الله بعلمه: وهذا هو الرأي الذي يهز الوجدان بعنف .هل تتخيل أن الله يخاطبك بكلمات لا يعلم معناها إلا هو؟ هذا يغرس فيك أعظم درس: التواضع المعرفي .أنت هنا أمام علامة تقول لك "قف"، فهناك أمور في ملكوت الله لا يحيط بها عقلك .هذا ليس إحباطاً لك، بل هو تحرير من وهم المعرفة المطلقة، واعتراف بأن فوق كل ذي علم عليم .ألا تشعر الآن بقشعريرة تسري في جسدك؟ إنه الشعور بالعبودية الحقة للعليم الخبير.

س2: لماذا بدأت السورة بهذه الحروف؟

والآن، لماذا هذا البدء؟ ما الحكمة من أن يُصدم سمعك بهذين الحرفين غير المألوفين؟

· قرع العصا) التنبيه(: العرب أهل فصاحة وبيان، ضجيج الشعر والنثر يملأ أسواقهم .فجأة، وفي وسط هذا الضجيج، يخرج صوت يتلو: "حم" .حرفان لا يشكلان كلمة، لا معنى لهما في العادة .ماذا حدث؟ توقف الجميع .انقطع الضجيج .توجهت الأسماع .لقد نجح "التنبيه الإلهي" .وهنا يأتيك الدرس ا لأول في حياتك: لكي تسمع كلمة الحق في عالم مليء بالضوضاء، لا تحتاج للصراخ، بل تحتاج إلى "الفرادة" التي تخرق المألوف وتجذب الانتباه.
· التحدي والإعجاز: وهنا يأتي التحدي الأعظم .وكأن الله يقول للعرب: "حم، هذه حروف تنطقونها كل يوم، هي ذاتها المادة الخام التي يتكون منها كلامكم .وهذا الكتاب الذي تتلونه مؤلف من جنس هذه الحروف: "حم .تنزِيلُ الكِتَابِ" .إن كان هذا الكلام من عند بشر كما تزعمون، فأتوا بمثله!" .إنه تحدٍّ يهدم أساس الشبهة .أنت يا من تقرأ القرآن، ألا تشعر أن كل حرف فيه هو معجزة قائمة؟ أن الفرق بين كلام الخالق وكلام المخلوق ليس في مادة البناء، بل في عظمة الصانع.

س3: ما هي الرسالة حول طبيعة الكتاب؟

انظر كيف توصل هذان الحرفان رسالة حاسمة حول طبيعة هذا الكتاب الذي بين يديك:

· وحدة المصدر وعظمة الصياغة: هي تؤكد لك أن القرآن ليس رموزاً سحرية أو طلاسم غامضة، بل هو بلسان عربي مبين تفهمه وتعييه .ومع هذا الوضوح، تعجز أنت وكل البشر عن الإتيان بآية من مثله .لماذا؟ لأن السحر ليس في "الطين" بل في "نفخة الروح" .الخالق وحده هو الذي ينفخ في الحروف من روح المعنى، فيحولها إلى كلام يحيي القلوب ويهدي العقول.

س4: كيف تعمل هذه الحروف على تعزيز هيبة القرآن في النفس؟

هل تذكر وأنت طفل كيف كنت ترتعد حين تسمع صوت الرعد قبل المطر؟ هذا بالضبط ما تفعله بك هذه الحروف .إنها تمهد قلبك لاستقبال الوحي:

· إلقاء المهابة: البدء بما لا يحيط به العقل يورث في نفسك حالة من الخشوع والاعتراف بقصورك . أنت الآن لا تقرأ جريدة أو رواية، أنت تستمع إلى مرسل من عالم الغيب .هذا الشعور يجعلك تخلع نعلي عقلك المتكبر، وتدخل إلى رحاب النص بعقلية "المستكشف المتأمل" لا "الناقد المتعالي".
· استثارة الشوق للتدبر: عندما تقرأ "حم" ثم تليها "تنزِيلُ الكِتَابِ"، فكأن ظلاماً قد انقشع عن نور . تشعر أن وراء هذا الرمز كنزاً عظيماً، وأن كل حرف وضع بميزان دقيق .هذا الشوق هو ما يدفعك للإ نصات التام، امتثالا ً لأمر الله: "وَإِذَا قُرِئَ القُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا" .ألا تشعر الآن أن قلبك قد فُتح وأن أذنك قد صُفيت لاستقبال ما يأتي؟

المحور الثاني: الرسائل النفسية والتربوية والعقلية من} حم{

دعني أخاطب وجدانك مباشرة .ماذا تريد هذه الحروف أن تفعل بك؟ إنها تعيد برمجة عقلك وروحك من خلال ثلاث رسائل محكمة:

· الرسالة النفسية) التواضع والسكون(: إنها تقول لك: "أيها الإنسان، مهما بلغ علمك، أنت واقف على عتبات أسرار الله .توقف عن الغرور، واطلب العلم بتواضع .هذا الاعتراف بالعجز هو أول درجة في سلم المعرفة الحقة" .هذا الشعور هو الذي يقتلع من نفسك "عقدة الكمال" التي تدمر علاقاتك وحياتك.
· الرسالة التربوية) الإنصات وتأجيل الحكم(: إنها تدربك على أدب الاستماع .فلا تتسرع في الحكم على الأمور التي لا تفهمها .كما تقف متأملا ً أمام "حم" دون أن تعرف معناها على وجه اليقين، تعلم أن تنصت جيداً قبل أن تتكلم، وأن تتفهم وجهات النظر قبل أن تصدر أحكامك.
· الرسالة العقلية) قبول حدود العقل(: العقل أداة عظيمة، لكنه ليس إلهاً .هذه الحروف ترسم حدوده، وتخبره أن هناك عالماً ما وراء المادة، وأن الوحي هو النور الذي يهدي العقل في المناطق التي يعجز عن إدراكها بنفسه .إنها دعوة للتحرر من "الدوغمائية العقلية" التي ترفض كل ما لا تدركه، والانتقال إلى "العقلانية المؤمنة" التي تسلم للخالق في ما هو فوق طاقتها.

الأمر الثاني: تحليل} تنزِيلُ الكِتَابِ مِنَ اللهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ{

المحور الأول: تحليل عبارة} تنزِيلُ الكِتَابِ مِنَ اللهِ{

انتقل بقلبك الآن .بعد أن صمتّ وأنصتّ لـ "حم"، جاءك البيان .انظر كيف بدأت الآية، وكأنها جواز سفر مختوم من السماء، يمنحك الثقة المطلقة في كل حرف ستقرأه بعد اليوم.

س1: ما معنى كلمة) تنزيل (والفرق بينها وبين) إنزال(؟

اختيار لفظ "تنزيل" هنا ليس صدفة، إنه دقة الوحي .الفرق بين "الإنزال" و"التنزيل" هو الفرق بين الصورة الثابتة والفيلم المتحرك.

· الإنزال: يدل على النزول جملة واحدة .كما أنزلت الكتب السماوية السابقة جملة واحدة.
· التنزيل: بصيغة التفعيل، وهو يفيد التدريج والتنجيم .وهذا هو سر عظمة هذا القرآن .إنه نزل على قلب النبي ﷺ مفرقاً، آية بعد آية، وسورة بعد سورة، بحسب الوقائع والحاجات .ألا تشعر معي أن هذا هو سر قوته في مخاطبة النفس البشرية؟ كأنه وحي "مباشر" و"حي" يعالج مشكلاتك أولا ً بأول .إنه ينزل على قلبك أنت اليوم كمثل ما كان ينزل على قلب النبي ﷺ بالأمس.

س2: ما هي الرسالة النفسية والإيمانية والتربوية ودلالة الإيجاز؟

دقق النظر في قوله "تنزيلٌ" .التقدير النحوي هو "هذا تنزيلٌ"، لكن المبتدأ "هذا" حُذف .لماذا كل هذا ا لإيجاز؟ إنها بلاغة تريد أن تحصر ذهنك في حدث واحد فقط: فعل التنزيل .لا تنظر إلى الكتاب كغلا ف وورق، بل انظر إلى "الحدث العظيم" الذي جعله بين يديك .انظر إلى كلمة "تنزيل" التي توحي بـ "العلو المطلق" .هذا الكتاب ليس نتاجاً أرضياً صعد إلى السماء، بل هو نور سماوي تنزل إلى الأرض ليمنحك شرف الاتصال بخالقك .ألا يجعلك هذا تشعر أنك تحمل قطعة من الجنة بين يديك؟ هذا هو التشريف بعينه.

س3: ما هي دلالة الإضافة) من الله (والرسائل التربوية؟

والآن، ما مصدر هذا التنزيل؟ إنه "مِنَ اللهِ" .هنا تصل الرسالة إلى ذروتها .إنها ليست إضافة لأي جهة،

بل إضافة إلى لفظ الجلالة "الله" .هذه هي "إضافة التشريف" التي ترفع قدر هذا الكلام إلى مقام القداسة.

· الرسالة التربوية والفكرية: هذا يعني شيئاً واحداً لا يقبل الجدل: هذا الكتاب هو "المرجعية النهائية" في حياتك .لأنه من الله، فهو منزه عن النقص والخطأ والهوى والتحيز .أنت عندما تقرؤه، يجب ألا تكون كمن يقرأ مقالة صحفية، بل كالتلميذ الذي يتلقى العلم من معلمه، بل أعظم، كالمريض الذي يتلقى الوصفة العلاجية من الطبيب الذي يعلم ما يضره وما ينفعه .تربوياً ونفسياً، هذا يجعلك تتلقى النص بامتثال مطلق وتسليم واع، لأن الآمر هو الخالق العليم.

س4: كيف تغرس الآية هيبة القرآن وثبات المصدر؟

قف واسأل نفسك بصدق: هل تعامل القرآن على أنه حقاً "من الله"؟ هذا السؤال هو الذي سيغير حياتك.

· ترسيخ الهيبة: إذا كان هذا الكلام من الله، فوراء كل آية قدرته وعلمه المطلقان .الفرق بينه وبين ك لام البشر هو الفرق بين الخالق والمخلوق .كلام البشر يعتريه الضعف والنسيان والهوى، بينما كلام الله يتسم بالشمول والخلود والصدق المطلق .تخيل أنك تقرأ كلاماً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .هذا هو اليقين الذي يبدد الشك ويجعلك تقف على أرض صلبة من الثقة.

س5: كيف يغير التنزيل علاقتك بالنص؟) رسالة مباشرة(

دع كلمة "تنزيل" تغير شعورك جذرياً .هذا الكتاب ليس "أنزل" في زمن بعيد وانتهى، بل هو "تنزيل" متجدد الهداية .إنه يعني أن الله "خاطبك" أنت بهذا الكلام .إنه لم يتركك سدى، بل "أنزل" إليك دليلا ً ونوراً .هذا الشعور يحول قراءتك من مجرد "تلاوة تعبدية" تؤجر عليها، إلى "استقبال رسالة ملكية" تتطلب رداً وتطبيقاً .عندما تعي هذا، يتحول كل نهي في القرآن من "قيد" إلى "صلة بالله"، وكل أمر من "تكليف" إلى "تشريف" .إنه يغير نكهة الطاعة في قلبك تماماً.

س6: أهمية التفكير في "فعل" التنزيل

عبقرية التعبير بكلمة "تنزيل" بدلا ً من "هذا الكتاب" أنها تضيف بُعداً حركياً .إنها تذكرك بالرحمة الإ لهية في أبهى صورها .الله، في علوه، لم ينسك .لقد "تنزل" إليك بكلامه، رحمة منه بك .وهنا يأتي التطبيق العملي: إذا كان الله قد "أنزل" هذا الكلام إليك، فهل يليق بك أن تتركه في الرفوف العالية؟ حاشا لله! إن التنزيل يقتضي منك "التفعيل" .أنزل القرآن إلى واقعك المعاش، إلى بيتك، عملك، علا قاتك، وقراراتك .حوله إلى سلوك وفكر ومنهج حياة .هذا هو الرد العملي على فعل التنزيل الإلهي.

المحور الثاني: ماهى دلالة تذييل الآية بصفتي} العزيز الحكيم {؟

هنا ينكشف لك سر الجمال القرآني .لم يقل الله فقط "من الله"، بل أردفها باسمين عظيمين من أسمائه الحسنى: "العزيز الحكيم" .هذا التذييل هو ختم القوة والرحمة، الجلال والجمال، الحماية و الهداية.

س1: ماذا تعني صفة "العزيز" وما هي الرسالة لك؟

"العزيز" هو القوي، العزيز الذي لا يُقهر، المنيع الذي لا يُغلب ولا يضام .لماذا ختمت الآية بهذا الاسم هنا؟

· الدلالة في السياق: إنها تدل على أن هذا القرآن الكريم محميٌ بعزة الله .لن يستطيع باطل أن يغلبه ، ولن يقدر مخلوق أن يأتي بمثله، ولن تنجح قوى الشر في طمسه أو تحريفه على مر الدهور.
· الرسالة الربانية لك أنت: اسمعها جيداً واحفظها في قلبك: من أراد العزة الحقيقية فعليه بالتمسك بهذا الكتاب؛ لأن العزة كل العزة مستمدة من "العزيز" .أنت لست ضعيفاً وأنت تحمل هذا الكتاب .أنت تستند إلى ركن شديد .انبذ من نفسك الوهم بأنك وحيد، أو أنك مهزوم أمام قوى الباطل .أنت تتبع منهجاً لا يُهزم، وعد الله نافذ: "وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ" .هذه الآية تطرد الخوف من قلبك، وتزرع بدلا ً منه القوة.

س2: ماذا تعني صفة "الحكيم" وما هي الرسالة الربانية لك؟

"الحكيم" هو الذي يضع الأشياء في مواضعها الصحيحة، ويفعل الأمور وفق غايات محمودة، فلا يخلق عبثاً، ولا يشرع باطلا ً.

· الدلالة في السياق: هذا يعني أن كل آية في هذا الكتاب، وكل أمر، وكل نهي، وكل قصة، قد وضعت بتقدير دقيق ومحكم يتناسب مع فطرتك ويحقق مصلحتك في الدنيا والآخرة.
· الرسالة الربانية لك: هذا القرآن ليس مجرد كلمات بارعة، بل هو "خريطة طريق محكمة" لحياتك لا خلل فيها .إذا صعبت عليك حكمة أمر ما، أو خفي عنك سر ابتلاء، تذكر أن المصدر هو "الحكيم" .ثق تمام الثقة أن هناك حكمة بالغة، قد تدركها الآن، وقد لا تدركها أبداً، لكنها موجودة يقيناً .هذه الثقة هي التي تمنحك السكينة والرضا، وتنفي عن حياتك العبثية والقلق الوجودي.

س3: ما هي أغراض الجمع بين) العزيز والحكيم(؟

الجمع بين هذين الاسمين في ختام الآية ليس مصادفة، إنه التوازن الذي يبني شخصيتك:

.1هيبة وثقة: "العزة" تمنحك الهيبة والقوة والثقة في المنهج، و"الحكمة" تمنحك الاطمئنان والسكينة و الثقة في التدبير .أنت تتبع ديناً قوياً وعادلا ً في آن واحد .ديناً لا يظلم لأنه عزيز، ولا يضعف لأنه حكيم.
.2علاج ضياع الإنسان المعاصر: في زمن تحول فيه الإنسان إلى ترس في آلة، وفقد روحه وكرامته، يأتي هذا الجمع ليعيد للإنسان إنسانيته ."العزيز" يحررك من العبودية لغير الله، من الخضوع لشهواتك، ومن الذل للبشر، فأنت تستعيد كرامتك المفقودة .و"الحكيم" ينظم حياتك وفق ميزان دقيق يمنع التخبط والعبث، فأنت تستعيد رشدك وسكينتك .بهذين الجناحين، تحلق بجناح العزة وترتفع بجناح الحكمة.

الخلاصة:) العزيز (يضمن لك النصر والمَنَعة، و)الحكيم (يضمن لك الرشاد والسداد .ومن جمع الله له بين القوة والرشد، فقد امتلك أسباب السعادة في الدنيا والآخرة.

ثانياً: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل والمفاهيم من الآية

والآن، وقد تشبع عقلك بالتحليل وامتلأ وجدانك بالمعاني، آن الأوان أن ننزل من سماء التأمل إلى أرض التطبيق .كيف نجعل هذه الآية تنبض في شرايين حياتنا اليومية؟

المحور الأول: كيف نقرأ الآية القراءة الواعية ونحولها إلى واقع حياة؟

القراءة الواعية هي التي تنتقل بك من "تحسين الصوت" إلى "تحسين السلوك"، ومن "مخارج الحروف" إلى "منطلقات العمل" .كيف تفعل ذلك عملياً؟

أولا ً: التدبر الشعوري) مع حم(

هذان الحرفان ليسا مجرد بداية، بل هما برنامج تدريبي على أدب الاستماع والتواضع.

· الإنصات الواعي: عندما تقرأ وتقف عند "حم"، توقف للحظة .استشعر أنك تقف أمام "شفرة ربانية" . في حياتك اليومية، تدرب من خلال هذين الحرفين على أدب الاستماع .قبل أن تقاطع محدثك، قبل أن تستعجل في إصدار الأحكام على الأمور التي لا تفهمها، تذكر وقفتك أمام "حم" .تذكر أن هناك دائماً ما لا تعرفه، وأن الصمت والتأمل هو أول العلم .هذا هو التواضع المعرفي في أعلى صوره.

ثانياً: التدبر العملي) مع تنزيل الكتاب من الله(

هذا الجزء هو دستور "المرجعية" في حياتك.

· فلترة القرارات: في كل قراراتك، كبيرها وصغيرها، في بيتك، عملك، مع أصدقائك، لا تتحرك قبل أن تسأل نفسك: "هل هذا يتماشى مع هذا التنزيل؟" .اجعل القرآن هو "المصفاة" التي تمرر عليها كل فكرة قبل أن تتحول إلى فعل .إنه مرجعيتك التي لا تخطئ.

ثالثاً: التدبر السلوكي) مع العزيز الحكيم(

هنا تطبق الأسماء الحسنى في مواجهة الحياة.

· واقعية "العزيز" عند التحديات: عندما تشعر بضعف، أو تواجه ظلماً، أو يضغط عليك أحدهم لتتنازل عن مبدئك .في تلك اللحظة، قل لنفسك بكل ثقة: "أنا لا أنكسر، أنا أعتصم بكتاب العزيز" .استمدد العزة من الله، فمن اعتز به لم يذل.
· واقعية "الحكيم" عند الابتلاء: عندما تجري رياح الأقدار بما لا تشتهيه سفنك .بدلا ً من أن تسأل: "لماذا أنا؟"، استبدلها بيقين: "آمنت أن ربي حكيم" .هذا التسليم الواعي يزيل السموم النفسية من قلبك ، ويحول البلاء إلى اختبار يرقيك درجات عند الله.

رابعاً: ميزان "الجسد والروح"

لكي لا تتحول إلى "جسد بلا روح" كما هو حال ضحايا الحضارة المادية، لا بد أن تعيد التوازن:

· تغذية الروح: خصص وقتاً يومياً للقرآن لا لختم السور، بل لختم معنى في قلبك .آية واحدة بتدبر أفضل من ألف آية بلا وعي.
· تطبيق الحكمة: ابحث عن الحكمة في كل أمر إلهي .إذا أمرك الله بالصدق، فابحث عن وجه الحكمة فيه: تماسك المجتمع وحفظ الحقوق .بهذا ترى القرآن عقلا ً يدير حياتك، لا مجرد بركة تحمي بيتك.

المحور الثاني: ما هي المفاهيم وكيف يمكن تحويلها إلى واقع حياة؟

لنستخلص معاً المفاهيم المركزية من الآية، ونجعلها وقوداً لحياتنا:

.1اليقين بمرجعية القرآن الكريم) تنزيل الكتاب(

· المفهوم: القرآن ليس كتاب عبادات فقط، بل هو منهج حياة شامل منزل من الله، يحمل الحلول لجميع قضايا الإنسان الاقتصادية، السياسية، الاجتماعية، والثقافية .يحكم الفرد والمجتمع والدولة.
· في حياتنا العملية:
· الاحتكام إليه: آمن بأن روح العقيدة الإسلامية هي أن يكون للقرآن دور وتأثير في الحياة .لقد هاجر النبي ﷺ ليؤسس دولة الإسلام التي يحكمها القرآن .هذا يعني أننا يجب أن نعمل على تطبيق أحكامه في واقعنا، كلٌ بحسب استطاعته وموقعه .ارفض أن يبقى القرآن حبيس المصاحف والصدور، بل أنزله إلى ميدان العمل.
· التدبر والتعليم: خصص وقتاً يومياً لتفهم معاني القرآن وتوجيهاته، واسعَ لتعليمها لأهلك وأبنائك، ليكون هو الموجّه الفعلي لحياتكم.

.2الثقة في حكمة الله وقدرته) العزيز الحكيم(

· المفهوم: مصدر الكتاب هو الله العزيز القوي، الحكيم الذي يضع الأمور في نصابها الصحيح.
· في حياتنا العملية:
· الرضا والتسليم: عند وقوع الأقدار، لا تسخط، بل سلم تسليم الواثق بالله .قل: "ما أصابني لم يكن ليخطئني، وما أخطأني لم يكن ليصيبني" .هذه الثقة تمنحك سكينة وطمأنينة.
· الثقة في التشريع: التزم بأوامر الله ونواهيه، حتى وإن لم تفهم الحكمة منها فوراً، إيماناً منك بأن الله هو العليم الحكيم الذي يعلم ما ينفعك ويصلح حالك.

.3تعزيز القوة بالله) العزيز(

· المفهوم: استمداد القوة والهيبة من الله وحده، لا من أي مصدر مادي أو بشري.
· في حياتنا العملية:
· رفض الذل: لا تخف في الله لومة لائم، ولا تبيع دينك ومبادئك من أجل منصب أو مال أو إرضاء أحد .من أرضى الله بسخط الناس، كفاه الله مؤونة الناس.
· الثبات على المبدأ: تمسك بقيمك وأخلاقك الإسلامية حتى لو كنت وحيداً .تذكر أن الله "العزيز" معك، والقوة ليست في الكثرة، بل في مصدر العزة.

.4إتقان العمل والسعي في الحياة) الحكيم(

· المفهوم: الله حكيم في خلقه وشرعه، وأفعاله متقنة غاية الإتقان .والمؤمن مأمور بالتخلق بأخلاق الله.
· في حياتنا العملية:
· الجودة والإتقان: كن أنموذجاً في إتقان عملك، مهما كان صغيراً .فالإتقان هو جوهر الحكمة.
· التخطيط الواعي: لا تترك حياتك للعشوائية .خطط لمستقبلك، ونظم وقتك، وضع الأمور في مواضعها الصحيحة .هذا هو التطبيق العملي لصفة "الحكيم".

.5العزم على التغيير الإيجابي

· المفهوم: هذا التنزيل يهدف إلى هدايتك وتقويم سلوكك.
· في حياتنا العملية:
· المبادرة بالتوبة والتصحيح: إذا علمت يقيناً أن القرآن من الله، فعليك أن تبادر بتصحيح أخطائك وتحسين أخلاقك استجابة لهذه الرسالة الإلهية فوراً .لا تسوّف، ولا تقل غداً، فالرسالة قد وصلت إليك الآن.

المحور الثالث: أهم الدروس من الآية في حياتنا العملية

دعنا نوجز الدروس العملية التي تصوغ شخصيتك الإيمانية:

.1سيادة المرجعية: لا تجعل هواك أو ضغط المجتمع هو محرك قراراتك، بل حكم الله.
.2استمداد العزة: لا تبحث عن عزتك في المال أو الجاه، بل في القرب من "العزيز".
.3التسليم الواعي: استبدل السخط على الأقدار باليقين بحكمة الله، لتنال الصلابة النفسية.
.4إتقان العمل: إتقانك لعملك هو ترجمة عملية لإيمانك بالله "الحكيم".
.5التواضع المعرفي: اعترف بأن علمك محدود، وكن دائم الشغف بالتعلم والتدبر.
.6تحويل القرآن لرسالة شخصية: اقرأ القرآن وكأن كل آية فيه تنزل عليك الآن لتعالج مشكلة حياتك.

المحور الرابع: ما الذي يريده الله منا في هذه الآية؟

هذه الآية ليست للإخبار فقط، بل هي خارطة طريق .ماذا يريد الله لك أنت تحديداً؟

.1صياغة عقلية المرجعية: يريدك أن تخرج من التبعية العمياء إلى الانقياد الواعي للقرآن.
.2صياغة النفسية المؤمنة: يريدك أن تبني جدار حماية نفسياً بـ"العزة" فلا تنبهر بقوى الباطل، وبـ "الحكمة" فتسكن وتطمئن لتدبيره.
.3صياغة السلوك المتقن: يريدك أن تتحول إلى إنسان مستقيم في سلوكه، متقن في عمله، قوي في حقه، متواضع في علمه.
خلاصة ما يريده منك: أن تكون "إنساناً قرآنياً" عقله بالوحي، وقلبه بالعزة والحكمة، وجوارحه بالاستقامة على الحق.

المحور الخامس: ما الذي تدعونا إليه الآية في حياتنا العملية؟

الآية ترسم لك فلسفة حياة متكاملة، وتدعوك إلى:

.1بناء الصلابة النفسية: أبِ حياتك على أساس "تنزيل من الله" لتكون صلباً لا يتزعزع.
.2التحول من العشوائية إلى التخطيط: تدعوك لأن تكون "حكيماً" في إدارتك لوقتك ومالك وعلاقاتك.
.3الاستعلاء بالحق: لا تكن إمعة تابعاً، بل كن صاحب مبدأ لا ينكسر.
.4الإيجابية والإنتاج: تحويل إيمانك إلى طاقة عمل وإعمار للأرض وفق المنهج الإلهي.

المحور السادس: ما الذي نتعلمه من الآية في ضوء سياقها التاريخي؟

تأمل معي في أن هذه السورة نزلت والمسلمون في مكة يعانون أشد البلاء .فكيف كانت هذه الآية بلسمًا لهم، وكيف تكون بلسمًا لنا اليوم؟

.1الثبات في زمن الاستضعاف: تذكر أن الغلبة ليست بالعدد والعدة فقط، بل بتأييد "العزيز" .لا تستسلم لليأس، فالعاقبة للمتقين ولو بعد حين.
.2الرد بالهدوء الواثق: علمتنا الآية أن الحكمة تقتضي ألا نقابل صراخ الباطل بالصراخ، بل نقابل التكذيب بالثبات، والشبهات بالحقائق.
.3الأمل في الفرج: كلمة "تنزيل" توحي بأن الرحمة قادمة .ثق بأن من أنزل الكتاب سينزل النصر و الفرج.
.4القرآن هو مأوى الروح: في أوقات الأزمات، ليس هناك ملاذ آمن يمدك بالطاقة مثل القرآن .هو الذي يثبت الأقدام ويشحن القلوب.

المحور السابع: أهم المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية وتحويلها إلى طاقة بناء حضاري

كيف تتحول هذه المعاني التي غرستها في نفسك إلى طاقة تبني مجتمعاً وحضارة؟ هذا هو سر القوة التحويلية للقرآن.

· المفاهيم النفسية وتحويلها لطاقة:
· الأمن النفسي) الحكيم(: قضاؤك على القلق الوجودي يمنحك "مرونة نفسية" تمكنك من النهوض بعد كل فشل، وبالتالي الاستمرار في البناء الحضاري.
· الاستعلاء النفسي) العزيز(: تحريرك من الخوف والتبعية يجعلك صانعاً للحضارة لا مجرد مستهلك لها.
· المفاهيم الفكرية وتحويلها لطاقة:
· وحدة المرجعية) تنزيل الكتاب(: تحمي عقلك من التشتت الفكري وتمنحه "مناعة" ضد الأفكار الهدامة، فينتج فكراً متماسكاً.
· العقلانية المؤمنة) العزيز الحكيم(: إنتاج فكر متوازن يجمع بين القوة والتعقل، فيبني "العدل الحضاري".
· المفاهيم التربوية وتحويلها لطاقة:
· التربية على الإتقان: غرس قيمة الجودة كأصل ديني يحول المجتمع من مجتمع استهلاكي عشوائي إلى مجتمع متقن منتج.
· التربية على العزة والمسؤولية: ينشئ جيلا ً قياديا يهتم بمعالي الأمور، ويشعر بمسؤوليته تجاه أمته والإنسانية.

الختام: رسالة إلى قلبك

والآن، وقد طفنا معاً في رحاب هذه الآيتين العظيمتين، وشرّحنا عقولنا بالتحليل، وأشبعنا قلوبنا بـ المعاني، اسمح لي أن أهمس في أذن قلبك همسة الختام.
أيها القارئ الحبيب، لا تجعل هذه الكلمات تمر عليك كنظرية عابرة أو تحليل بليغ فحسب .إن ما قرأته ليس مجرد شرح لآيتين، بل هو مفتاح شخصي سُلم إليك مباشرة من السماء .إنها رسالة خاصة من "العزيز الحكيم" إلى "أنت" بالذات.
في كل مرة تضيق بك الحياة، وتشعر أنك وحيد في مواجهة العالم، تذكر أن الذي أنزل إليك هذا الكتاب هو "العزيز" .قوته تحيط بك، وعزته تحميك .أنت لست ضعيفاً، أنت ابن "العزيز"، وحامل رسالته.
وفي كل مرة تحتار فيها، وتقف على مفترق طرق لا تدري أين تذهب، وتتساءل بمرارة: لماذا يحدث لي هذا؟ تذكر أن المصدر هو "الحكيم" .ثق بتدبيره، واستسلم لحكمته بوعي ورضا، تجد السكينة تغمر قلبك، والرشاد ينير دربك.
اجعل من "حم" وقفة يومية تتذكر فيها حدودك فتتواضع، ومن "تنزيل الكتاب" بوصلة لا تحيد عنها فتهتدي، ومن "العزيز" سوراً منيعاً لا يُخترق فتقوى، ومن "الحكيم" يقيناً مطلقاً لا يتزعزع فتطمئن.
اخرج إلى دنياك وأنت شخص آخر .شخص يدرك أن كرامته مرهونة بعزة ربه، وأن سكينته كامنة في حكمة خالقه، وأن طريقه الوحيد مرسوم في تنزيله .كن "إنساناً قرآنياً" يمشي على الأرض، فيصبح بنفسه رسالة حية، ونوراً يضيء الطريق للحائرين، ولبنة ذهبية في صرح الحضارة الإسلامية التي ط الما حلمنا بها .وفقك الله وإيانا لما يحب ويرضى.

المبحث الثاني

، بعد أن ذقنا معاً حلاوة اليقين في الآيتين الأوليين، وارتوت أرواحنا من نبع "حم. تنزِيلُ الكِتَابِ مِنَ

اللهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ". كنا قد وقفنا على عتبة الملكوت، واستلمنا الرسالة مختومة بختم العزة والحكمة. والآن، وقد امتلأ صدرك بالثقة في المصدر، آن الأوان أن نقلب الصفحة، لا لنتحرك إلى مكان آخر، بل لنغوص في عمق هذه الحقيقة التي تسلمتها.

اسمع. إن الشعور الذي ينتابك الآن – ذلك المزيج من الهيبة والطمأنينة – هو بالضبط التربة الخصبة التي ستُزرع فيها بذور الآية الثالثة. فبعد أن عرّفك الله بنفسه (العزيز الحكيم) وعرّفك بطبيعة الرسالة (تنزيل الكتاب)، يأخذك الآن في جولة كونية مذهلة، يريك فيها إبداعه، ويثبت أمام عينيك الحقيقة التي بنى عليها هذا الوجود كله. الآية الثالثة ليست مجرد خبر، إنها إعلان كوني عظيم، إنها الدرس الأعظم في فلسفة الغاية من وجودك. استعد، وافتح عقلك وقلبك، ولنعش معاً قول الله الحق: {مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ} (3).

المقدمة: الجسر بين اليقين والغاية

لماذا نتوقف اليوم عند هذه الآية تحديداً في سورة الأحقاف؟ لأنها الجسر المنطقي والقلبي الذي يربط بين "العقيدة" و"الرؤية الكونية". بعد أن صُدمت نفسك بالإعلان السيادي: هذا الكتاب من الله العزيز الحكيم، يأتيك السؤال الذي ربما دار في خلدك: "ولماذا هذا الكتاب أصلاً ؟ ما الغاية من هذا كله؟". هنا، في هذه الآية، يرفع الله الستار عن مسرح الوجود. إنه يريك الخلفية الكبرى التي تتحرك عليها كل الأحداث، يرسم الإطار الفلسفي الذي يمنح حياتك معنى. هذا الإعلان القرآني ليس مجرد تفسير لنشأة الكون، بل هو تصحيح جذري لمسار نظرتك للحياة. إنه ينتزعك من مستنقع العبثية، ويزرعك في بستان الغاية والهدف. إنها الآية التي ستُشعرك أن حياتك ليست عشوائية، بل هي مشهد بالغ الأهمية في فيلم كوني عملاق، كتبه وأخرجه (العزيز الحكيم).

بيان تفسير الآية والمعنى العام لها أولا ً

دعنا يا صديقي نقف على أرض صلبة من المعنى قبل أن ثقلع في سماوات التدبر. يقول الله تعالى، مخاطباً عقلك ووجدانك: {مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ}. ما معنى هذا؟ إنه نفي قاطع للعبث عن الفعل الإلهي. الله يخبرنا أنه لم يخلق هذا الكون الشاسع، بما فيه من سماوات بأفلا كها ونجومها، وأرض بجبالها وبحارها، وما بينهما من مخلوقات وأسرار، إلا خلقاً ملتبساً ب- "الحق". و الحق هنا كلمة جامعة مانعة، تعني ضده الباطل، وتعني العدل والحكمة، وتعني الغاية الصحيحة. فالله لم يخلق الكون لأجل اللهو أو الباطل، بل لأجل غاية حقة، وهي عبادة الله ومعرفته، وإقامة العدل، وابتلاء الإنسان ليكون الخلق آية على الخالق. ثم يأتي التكميل العجيب: {وَأَجَلٍ مُسَمًّى}، أي أن هذا الخلق لم يُخلد، بل له عمر محدد وميقات معلوم في علم الله، ينتهي عنده هذا العالم ليقوم بعده ع الم الحساب والجزاء. ثم ينتقل السياق في شطره الثاني ليرسم مشهداً مؤلماً، وهو رد فعل الفريق الضال: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ}. بعد كل هذا البيان الكوني، وبعد أن أنذروا بالكتاب المنزل من الله ويوم القيامة، هم مع ذلك معرضون. إنه تصوير لحالة نفسية خطيرة هي "الإعراض عن الحق بعد معرفته".

أولا ً: تحليل الآية الكريمة

الأمر الأول: تحليل الشطر الأول {مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى}

تعال معي نغص في هذا المحيط من الحكمة. كل كلمة في هذا الشطر هي بمثابة مرساة تثبت سفينة وجودك من أن تتقاذفها أمواج العبث. إنه يبني فيك "فقه الغاية".

المحور الأول: معنى الخلق {بِالْحَقِّ}

س1: ماذا تعني كلمة "بالحق" في هذا السياق الكوني؟

أنت تنظر الآن من نافذة غرفتك، ترى السماء والأرض، تغرب الشمس وتشرق. هل فكرت يوماً لماذا؟ ا لآية تجيبك بكل وضوح: بالحق. وهذه الكلمة تحمل في طياتها ثلاثة معانٍ مترابطة، لتؤسس لعقلك

فلسفة متكاملة:

.1ضد الباطل والعبث: أي أن الخلق لم يتم لعباً أو عبثاً، بل لأمر حقيقي .الله منزه عن أن يلعب، فكل أفعاله جادة وحكيمة.
.2ضد الظلم والجور: أي أن الخلق قام على العدل والقسط .الله لم يظلم أحداً بخلقه، بل خلق الكون ليكون مسرحاً للعدالة الإلهية.
.3الغاية الصحيحة: أي أن الخلق له هدف أسمى وحكمة بالغة، وهي أن يُعرف الله ويُعبد.

س2: لماذا بدأ الله بالإخبار عن خلق السموات والأرض في هذا الموضع؟

انظر إلى عظمه نظم السياق القرآني. بعد أن قال "تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم"، يأتي السؤال: ومن هو هذا العزيز الحكيم؟ وما هي آثاره في الكون؟ هنا يأتي الجواب: إنه الذي "خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ". هذا ربط عبقري بين مصدر الكتاب ومصدر الكون. فخالق الكون هو منزل الكتاب. وهذا الربط يمنحك طمأنينة عظيمة: فالذي أبدع هذا الكون بهذا الإتقان، قادر على أن يجعل كتابه منهجاً كاملا ً لإصلاح حياتك. ألا تشعر كيف أن الإيمان بالخالق يتحول من مجرد فكرة نظرية إلى حقيقة تلمسها في كل ذرة من حولك؟

س3: ما هي الرسالة الفكرية والنفسية من الإخبار بأن الخلق "بالحق"؟

هذه الكلمة القصيرة "بالحق" هي القنبلة التي تنسف أسس الفلسفات العبثية التي قد تتبناها لا شعورياً. ما هي رسالتها لك؟

· الرسالة الفكرية: حياتك ليست صدفة .أنت لم توجد عبثاً .كل ما تراه حولك، من مجرات إلى نملة صغيرة، خُلق لهدف .هذا الهدف هو عبادة الله .هذا الإدراك يمنح حياتك معنىً يفوق كل ما يمكن للمال أو الجاه أن يمنحه إياك.
· الرسالة النفسية: القضاء على "القلق الوجودي" .إذا أيقنت أن الله لم يخلقك عبثاً، وأنه خلقك بالحق لحق، فإن الفراغ الداخلي الذي يلتهم روحك سيُمحى .أنت جزء من خطة إلهية عظيمة، لك دور محدد، فلمَ اليأس؟!

المحور الثاني: معنى {وَأَجَلٍ مُسَمًّى}

س1: ما هو "الأجل المسمى" وما علاقته بالحق؟

بعد أن أخبرك أنه خلق الكون بالحق، أضاف قيداً مهماً: "وأَجَلٍ مُسَمًّى". هذا الأجل هو يوم القيامة، الوقت المعلوم لانتهاء هذا العالم. لماذا هذا الربط؟ لأنه لولا هذا الأجل لما كان للحق معنى كامل. تخيل لو أن الحياة الدنيا هي كل شيء، وأن الظالم يفلت بظلمه والمظلوم يموت بلا إنصاف، فأين "الحق" الذي قام عليه الخلق؟ هنا يأتي "الأجل المسمى" ليتمم معنى الحق. إنه الوعد بأن هناك محطة نهائية، حساباً وجزاء، تتحقق فيه العدالة المطلقة التي قام عليها الخلق. هذا يمنحك أملا ً لا ينقطع، ويجعلك تصبر على مرارة الدنيا، مدركاً أن المسرحية لم تنته بعد، وأن الفصل الأخير هو الفصل العادل.

س2: كيف يؤثر الإيمان بـ "الأجل المسمى" في سلوكك اليومي؟

هذا ليس مجرد خبر غيبي، إنه محرك عملي للسلوك. الإيمان بالأجل المسمى له تطبيقان فوريان في حياتك:

· ضبط إيقاع الحياة: الوعي بأن لكل شيء أجلا ً – لعمرك، لرزقك، لابتلائك – يمنحك سكينة عجيبة .أنت تسعى، ولكنك لا تقلق على النتائج، لأنها مرتبطة بمواقيت لا يعلمها إلا الحكيم.
· محاربة التسويف: الإحساس باقتراب الأجل، وأن الدنيا دار عمل والآخرة دار جزاء، يدفعك لاستغلال كل لحظة في طاعة الله وعمل الخير .لا تؤجل توبتك، ولا تؤخر عملا ً صالحاً، فالأجل المسمى آتٍ لا محالة، وحينها ينقطع العمل.

الأمر الثاني: تحليل الشطر الثاني {وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ}

والآن، وقد امتلأ قلبك بجلال الحق ويقين الأجل، تأتي الصدمة. هذا المشهد المهيب: فريق من البشر واجه كل هذه الحقائق بالإعراض! لماذا هذا التحول المفاجئ في الآية؟ إنه درس بليغ في علم النفس الإنساني، وفي طبيعة المعركة بين الحق والباطل.

المحور الأول: تحليل "عَمَّآ أُنذِرُوا"

س1: ما هو الشيء الذي أنذروا به وأعرضوا عنه؟

العبارة عامة جامعة لتشمل كل ما أنذرهم الله به في هذا الكتاب، وتدخل فيه عدة أمور من أبرزها:

.1الكتاب نفسه: لقد أنذروا بالقرآن، هذا التنزيل من العزيز الحكيم، ومع ذلك أعرضوا عنه، لم يتدبروه ، ولم يعملوا به.
.2الحقيقة الكونية: لقد أنذروا بحقيقة أن خلق السموات والأرض بالحق، وأن هناك أجلا ً مسمى، ومع ذلك استمروا في عبثهم وكأنهم خُلدوا.
.3يوم القيامة: لقد أنذروا بيوم الحساب الذي تتحقق فيه العدالة، ومع ذلك عاشوا حياة الغفلة والإعراض.

س2: ما دلالة بناء الفعل "أُنذروا" للمجهول؟

إنه تعظيم للمنذر به وتهويل للإنذار. وكأنما الذي وقع في نفوسهم هو إنذار عظيم الشأن، مهول الوقع، جاءهم من جهة عليا. إنها إشارة إلى أن هذا الإنذار إلهيّ المصدر بالدرجة الأولى، وكل إنذار الرسول ﷺ هو تبليغ عنه. فإعراضهم ليس عن كلام بشر، بل عن إنذار سماوي.

المحور الثاني: تحليل "مُعۡرِضُونَ"

س1: ما هي صورة الإعراض التي ترسمها الكلمة؟

كلمة "مُعۡرِضُونَ" بصيغة اسم الفاعل، ترسم صورة نفسية متحجرة ومستمرة. إنها ليست مجرد غفلة عابرة، بل حالة متأصلة من الصدود والانصراف بالقلب والعقل والجوارح عن كل ما أنذروا به. إنه إعراض لا يصاحبه مجرد تجاهل، بل هو إعراض قد يصاحبه استكبار وسخرية.

س2: ما هو الفرق بين الغفلة والإعراض؟

هذا السؤال يجعلك تغوص في أعماق نفسك وتحاسبها بدقة:

· الغافل: هو من لم يعلم بالحق، أو علم به ولكن لم يخطر بباله أنه معني به .قد يكون معذوراً بجهله.
· المُعرض: هو من وصلته الحجة، وبلغه الإنذار، وقامت عليه الأدلة، ثم أدار ظهره مختاراً، مستكبراً أو لاهياً .هذا هو الموقف الذي تصوره الآية .إنه يريك شناعة أن تصل إليك آيات الله وتفهمها، ثم تعيش كأنك لم تسمعها .ألا تشعر بالخوف على نفسك من هذه الآفة؟ ألا تسأل نفسك الآن: هل أنا غافل فأتعلم، أم مُعرض فأتوب؟

ثانياً: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل والمفاهيم من الآية

المحور الأول: كيف نقرأ الآية القراءة الواعية ونحولها إلى واقع حياة؟

أولا ً: التدبر الشعوري والتأمل الكوني.

الآية تدعوك إلى تغيير "نوعية نظرتك" للعالم من حولك.

· التأمل الواعي: لا تمر على السماء والأرض مرور الكرام .انظر إليها بعين "إلا بالحق" .انظر إلى النظام البديع، إلى الإتقان المذهل، واسأل نفسك: أيمكن أن يكون كل هذا عبثاً؟ استمع إلى صوت الحق الذي تنطق به كل ذرة في الكون .هذا التأمل اليومي يحول مشيك في الأرض إلى عبادة، ويملأ قلبك

بخشية الخالق.

ثانياً: التدبر العملي من "الأجل المسمى".

· إدارة الوقت كرأس مال: الأجل المسمى يعني أن زمنك محدود .تعامل مع وقتك على أنه أغلى ما تملك، لأن كل دقيقة تقربك من أجلك .خطط ليومك، أسبوعك، وحياتك .ولا تؤجل عمل الخير.
· التسليم عند المصائب: عندما تفقد عزيزاً، أو تفوتك فرصة، تذكر أن لكل شيء أجلا ً مسمى .هذا اليقين يخفف وطأة الحزن ويجعلك تقول بصدق: "إنا لله وإنا إليه راجعون"، مسلماً لحكمة الحكيم.

ثالثاً: التدبر السلوكي: من الإعراض إلى الإقبال.

الآية تعرض لك نموذج "الذين كفروا معرضون" لتكرهه في نفسك، وتسعى إلى ضده.

· مراقبة القلب: افتش في قلبك يومياً .هل تجد ميلا ً للإعراض عن آية؟ هل تشعر بثقل عند سماع الأمر والنهي؟ هذه علامة خطر .جاهد نفسك أن تكون "مقبلا ً" لا "معرضاً".
· سرعة الاستجابة: إذا بلغتك آية، أو سمعت موعظة، بادر بتطبيقها فوراً .لا تكن ممن سمعوا النداء ثم انصرفوا .كن أول المستجيبين.

المحور الثاني: المفاهيم وكيفية تحويلها إلى واقع حياة

.1فلسفة الحق والغاية

· المفهوم: حياتك ووجودك ليسا عبثاً، بل مبنيان على الحق ولهما غاية حقة.
· في حياتنا العملية: ارفض أن تعيش بلا هدف .حدد أهدافك في كل مجالات حياتك) روحية، أسرية، مهنية (واربطها بهدفك الأسمى: مرضاة الله .اجعل عبادتك، عملك، وحتى استجمامك بالنيات مقصوداً به وجه الله، فيتحول كل فعلك إلى عبادة.

.2تحويل القلق إلى سكينة بوعي الأجل

· المفهوم: كل شيء بقدر بميعاد محدد في علم الله.
· في حياتنا العملية:
· في النجاح: لا تتكبر، واعلم أن ما وصلت إليه هو في أجله المسمى، وهو فضل من الله.
· في الفشل: لا تنكسر، واعلم أن ما فاتك لم يكن ليصيبك .انهض مجدداً، فما زال في الأجل المسمى متسع للعمل.
· في القلق على الرزق: اعمل بجد، وتوكل على الله، وكن على يقين أن رزقك سيأتيك في أجله تماماً كما يأتي المطر في موسمه.

.3رفض الإعراض وتربية الإقبال

· المفهوم: الإعراض عن الحق بعد معرفته داء مهلك.
· في حياتنا العملية: مارس "رياضة الإقبال" .عندما تسمع النداء للصلاة، اترك كل شيء وأقبل .عندما تدعوك نفسك للأهواء، استحضر مشهد المعرضين في الآية، وأقبل على ما ينفعك .كن إنساناً "مُقبِلا ً" على ربه، كتابه، ودينه بكل جوارحك.

المحور الثالث: الدروس العملية لتأسيس الشخصية الإيمانية

.1درس الغائية: ابحث دائماً عن "الحكمة" وراء ما تفعل، لتعيش حياة ذات معنى.
.2درس السكينة: ثق بأن للكون إلهاً حكيماً، وبأن لكل شيء قدراً، لتنال أعظم درجات الطمأنينة.
.3درس العدالة: الإيمان بأن الخلق بالحق ويوم القيامة هو الأجل، يجعلك لا تقلق من ظلم الظالمين، فحسابهم آتٍ.
.4درس المسؤولية: الوعي ب-"الأجل المسمى" يجعلك تعيش كل يوم كأنه آخر يوم، فتتقي الله وتعمل الصالحات.
.5درس التوازن: الجمع بين السعي في الدنيا) عمارة الأرض (والاستعداد للآخرة) عبادة الله(، فلا رهبانية ولا مادية طاغية.

المحور الرابع: ما الذي يريده الله منا في هذه الآية؟

يريد الله منك من خلال هذه الآية أن تبني نظرتك للوجود على أساس صحيح:

.1إعادة برمجة النظرة للكون: يريدك أن تنظر للكون لا كمجرد مادة، بل كآية على الخالق، ومسرح للحق، وليس للعبث.
.2تثبيت عقيدة البعث والجزاء في قلبك: من خلال "الأجل المسمى"، يريدك أن تعيش بيقين أن الدنيا ليست دار قرار، لتنضبط تصرفاتك.
.3التحذير من النموذج الخطير: يريدك أن تنظر في نموذج "المعرضين" لتشمئز منه نفسك، وتبني لنفسك النموذج المضاد وهو "المقبل".
.4غرس الشعور بالاتزان: يريد لك أن تجمع بين الرهبة والرغبة، بين الخوف من سوء الخاتمة) ك المعرضين(، والرجاء في رحمة القادر العليم.

المحور الخامس: ما الذي تدعونا إليه الآية في حياتنا العملية؟

تدعوك الآية إلى تغيير جذري في علاقتك بالحياة والكون والناس:

.1دعوة للتفكر: أن تجعل التفكر في خلق السموات والأرض عبادة يومية، لا أن تمر الأيام وأنت غافل عن هذه المكتبة الإلهية المفتوحة.
.2دعوة للتخطيط الاستراتيجي لحياتك: لأن لعمرك أجلا ً مسمى، فلا بد أن تخطط كيف تقضي هذا الأجل فيما يرضي الله، وكأنه مشروع حياتك الأكبر.
.3دعوة للحذر من الغفلة والإعراض: أن تجعل محاسبة نفسك على التقصير عادة، وأن تسارع للتوبة والتصحيح قبل أن يدركك الأجل المسمى وأنت في غفلتك.
.4دعوة لتكون صاحب رسالة: إذا كان الخلق إنما هو بالحق، فأنت جزء من هذا الحق، وعليك مسؤولية حمله وتبليغه للناس، لا أن تكون ممن أعرضوا عنه.

المحور السادس: ما الذي نتعلمه من الآية في ضوء سياقها التاريخي؟

نزلت الآية في مكة على قلب النبي ﷺ والمسلمون محاصرون بالكفر والإعراض.

.1التثبيت في وجه الإعراض: كان إعراض كفار مكة عن القرآن مؤلماً للنبي ﷺ .فجاءت الآية لتقول له: هؤلاء ليسوا بدعاً في التاريخ، ولكن انظر إلى الخلفية الكبرى، خلفية الحق والأجل المسمى، وامض في طريقك.
.2التعليل الفلسفي للابتلاء: الآية تشرح للمؤمنين لماذا يحدث هذا الصراع بين الحق والباطل .إنه جزء من "الحق" الذي خلق الله الكون لأجله، وهو الابتلاء ليتميز الخبيث من الطيب استعداداً "للأجل المسمى".
.3تعزيز الأمل: الإيمان بأن الخلق "بالحق" وله "أجل مسمى" يزرع في نفسك أملا ً ثابتاً بأن للباطل صولة ثم جولة ثم يزول، وأن دولة العدل الإلهي قادمة لا محالة.

المحور السابع: تحويل المفاهيم إلى طاقة بناء حضاري

كيف تتحول هذه الحقائق الكونية إلى طاقة محركة للحضارة؟

· من "الغاية" إلى "الإتقان": إذا أيقنت أن الله خلق الكون بالحق، فأنت كخليفته في الأرض عليك أن تبني حضارتك بالحق .الحق يقتضي الإتقان، العدل، الإنصاف، والصدق .هكذا نبني اقتصاداً قوياً، ونظاماً سياسياً عادلا ً.
· من "الأجل" إلى "الاستثمار الأمثل للموارد": الوعي بأن الموارد والأعمار لها آجال يمنع التبذير والإ سراف، ويدفع للاستثمار الأمثل للزمن والمواد الخام والبشر، وهذا هو أساس النهضة الحضارية.
· من "رذيلة الإعراض" إلى "ثقافة الإقبال": المجتمع الذي يربي أفراده على نبذ الإعراض عن المشكلات ، وعلى سرعة الإقبال على حلها بمنهجية وعلم ونية صالحة، هو مجتمع حي حضاري .أما مجتمع الإ عراض عن أوامر الله وعن قضايا الأمة فهو مجتمع ميت مهما بلغ من تقدم مادي.

الختام: رسالة إلى أعماقك

أيها العقل المتأمل، أيها القلب الحي، لقد قطعنا معاً رحلة في أعماق آية واحدة، لكنها بحجم الكون. خرجنا من ضيق الذات إلى سعة الأكوان، ومن وحل العبثية إلى أنوار الغاية. هذه الآية لم تتركك في حيرة، بل وضعت أمامك خارطة الوجود كاملة. لقد أخبرتك أنك لست ابن صدفة، بل أنت ابن "الحق". وأن قصتك ليست فصولاً مبعثرة، بل هي حبكة محكمة تتجه نحو "أجل مسمى".
فهل بعد هذا البيان من عذر؟ هل ستعود إلى غفلتك وإعراضك بعد أن أنذرك الله بهذا البيان القرآني المتصل بالواقع الكوني؟ أرجوك، لا تكن من "الذين كفروا عما أنذروا معرضون".
بدلاً من ذلك، في كل صباح، انظر إلى السماء وقل: "ربي، ما خلقت هذا باطلاً، سبحانك فقني عذاب النار". وفي كل مساء، انظر إلى عملك واسأل نفسك: "هل ملأت أجلي المسمى اليوم بما يرضي الله؟". بهذا تتحول الآية إلى نبض في شراييننك، وتصبح حياتك ترجمة عملية لحقيقة: "مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى".
اخرج إلى دنياك وأنت تحمل هذا اليقين. كن أيقونة حية للحق، ورسالة صامتة تخبر من يراك أن صاحبك قد عرف غاية وجوده، فسكن واطمأن. وكن على يقين أن رحلتك من الحق (في الدنيا) إلى الحق (في الآخرة) مروراً بالأجل المسمى، قد صارت الآن ذات معنى مغاير تماماً. إنها رحلة البطل الذي عاد إلى مملكته، حاملاً سر الوجود، ليكون شاهداً على أن "الحَمْدُ لِلَّهِ الذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللهُ".

القسم الثاني

المبحث الأول

لقد قطعنا معاً شوطاً عظيماً في رحاب سورة الأحقاف. بدأنا باستلام الرسالة من مصدر العزة والحكمة ، ثم تأملنا في لوحة الكون المهيبة التي أعلنت أن الخلق قائم على الحق والغاية لا العبث، ووقفنا مشدوهين أمام مشهد المعرضين الذين طمست قلوبهم عن رؤية هذه الحقيقة. وأنت الآن، وقد امتلأ كيانك بهذه المعاني، ربما يعتريك سؤال منطقي: لماذا يعرضون؟ وما هو المنطق الذي تستند إليه مواقفهم؟ تعال معي إلى هذه الآية الرابعة، فهي تنقلك نقلة نوعية. إنها لا تكتفي بإخبارك بالحق، بل تعطيك "منهجاً عقلياً" و"سلاحاً فكرياً" لتواجه به كل باطل في كل زمان ومكان. إنها الآية التي تصنع منك محاوراً قوياً، لا يهتز، ولا ترهبه شبهات المبطلين. استعد يا صديقي، ولننصت معاً لأمر الله لنبيه، وهو أمر لنا من بعده: {قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ} (4).

المقدمة: من اليقين إلى المواجهة الفكرية

تأمل معي السياق. كان الحديث قبلها عن خلق السماوات والأرض بالحق، وعن المعرضين عن الإنذار. الآن، يأمر الله نبيه ﷺ أن ينتقل من مقام التقرير إلى مقام التحدي. هذه الآية تمثل المطرقة التي تهدم أركان الشرك، ليس بالسيف، بل بالحجة والمنطق. إنها الدرس الأكبر في كيفية التعامل مع الأفكار الباطلة: لا تكفي الإدانة العاطفية، بل لا بد من التفنيد العقلي. لم ينزل الله هذا التحدي ليبقى حبيس زمن النبوة، بل ليكون منهجاً أبدياً لمواجهة كل ما يُعبَد من دون الله، سواء كان صنماً من حجر، أو فكرة من وهم، أو شخصاً من بشر. إنها الآية التي تحرر عقلك من أسر التقليد الأعمى، وتعلمك كيف تسأل الأسئلة الصحيحة التي تكشف عوار الباطل.

بيان تفسير الآية والمعنى العام لها أولاً

ما هو المعنى الذي تريد هذه الآية أن تزرعه في قلبك؟ إنه سؤال كوني مدوٍّ يوجهه الله للمشركين عبر نبيه ﷺ: "أخبروني عن هذه الآلهة التي تعبدونها وتدعونها من دون الله، أروني أي جزء من الأرض خلقوا؟ هل خلقوا جبلاً، أو نهراً، أو حتى ذرة؟ أم أن لهم نصيباً ومشاركة في خلق السماوات وإدارتها؟ إن لم يكن لهم أي خلق، فلماذا تعبدونهم؟ ثم يأتي التحدي من زاوية أخرى: إن لم يكن لكم دليل مادي من الخلق، فهل لديكم دليل نقلي أو عقلي؟ ائتوني بكتاب سماوي سابق على القرآن يأمركم بعبادتهم، أو ببقية من علم عن الأنبياء السابقين يثبت صحة منهجكم. هاتوا أي دليل، إن كنتم صادقين في زعمكم!" إنه إعلان إفلاس الشرك أمام محكمة العقل والوحي، وإقامة للحجة التي لا تدع لمجادلٍ مقالاً.

أولا ً: تحليل الآية الكريمة

الأمر الأول: تحليل صدر الآية: {قلْ أرَءَيْتُم مّا تدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ}

المحور الأول: قوة الافتتاح بكلمة {قلْ}

س1: لماذا بدأت الآية بكلمة "قل"؟

انظر إلى أهمية هذه الكلمة. إنها أمر إلهي مباشر للنبي ﷺ."قل" تعني: لا تسكت، أعلنها، جابههم. إنها تفويض من الله لنبيه، وتشريف له بأن يكون لسان الحق. وفوق ذلك، هي تعني أن هذه الحجة ليست اجتهاداً بشراً يخطئ ويصيب، بل هي وحي منزل من الله، يمتلك القطعية واليقين. وأنت عندما تقرؤها، فكأن الله يأمرك أنت أيضاً أن تقولها، أن تحمل هذه الحجة وتواجه بها باطل عصرك بكل ثقة ويقين.

س2: ما هي الرسالة النفسية والفكرية من هذا الأمر؟

· الرسالة النفسية: إنها تغرس في نفسك الشجاعة الأدبية. كلمة "قل" تنتزع منك الخوف من مواجهة ا لآخرين بالحق. أنت مأمور من الله أن تتكلم، فلم الخوف؟ هذه هي العزة المستمدة من العزيز.
· الرسالة الفكرية: إنها تعلمك أن الحقائق الإيمانية ليست مجرد مشاعر داخلية، بل هي قناعات عقلية يجب أن نعلنها وندافع عنها ونخاطب بها العقول. الإيمان ليس انزواءً في زاوية، بل هو خطاب للعالم.

المحور الثاني: تحليل أداة الاستفهام {أرَءَيْتُم}

س1: ما هو المعنى الدقيق لـ "أرأيتم"؟

"أرأيتم" ليست استفهاماً عن رؤية البصر، بل هي استفهام تقريري تعجبي بمعنى "أخبروني". وهي تأتي في مقام التحدي: أخبروني عن هذه الآلهة، هل لها حق في العبادة؟ والتقدير: أأخبرتموني حقيقة أمرها؟ إنها أداة تستدعي حضور الذهن والوجدان، وتجبر السامع على التأمل والمراجعة الشاملة لقناعاته. ألا تشعر وكأن الآية تخاطب عقلك مباشرة وتقول: توقف، فكر، راجع.

المحور الثالث: تحليل {مّا تدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ}

س1: ما المقصود بـ "ما تدعون"؟

كلمة "تدعون" تشمل معنيين عظيمين:

.1العبادة: أي تعبدونها وتذلون لها وتخضعون.
.2الطلب والاستغاثة: أي تنادونها وتطلبون منها النفع والضر.

وكلا المعنيين هو حقيقة الشرك الذي ينكره الله. و"ما" هنا عامة تشمل كل معبود من دون الله، سواء كان صنماً، أو كوكباً، أو ملكاً، أو نبياً، أو ولياً، أو فكرة، أو هوىً.

س2: ما دلالة قيد "من دون الله"؟

هذا القيد هو بيت القصيد. إنه يحدد المشكلة: ليست المشكلة في الدعاء والعبادة بحد ذاتهما، بل المشكلة في صرفهما لغير الله. "من دون الله" تعني أنكم تجاوزتم الله واتخذتم من دونه شركاء. وهذا القيد يجعل قلبك يرتجف ويسأل: هل في قلبي شيء من هذا؟ هل هناك شيء أقدم محبته أو الخضوع له على محبة الله والخضوع له؟

الأمر الثاني: تحليل التحدي الكوني: {أرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ}

هذا هو التحدي الأول، وهو مبني على دليل الخلق والإنشاء. إنه اختبار القدرة والإيجاد. تعال معي نغص في أبعاده.

المحور الأول: تحليل {أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ}

س1: لماذا بدأ التحدي بسؤال الخلق من الأرض؟

الأرض هي عالمهم المرئي، ما يبصرونه ويلمسونه كل يوم. "أروني ماذا خلقوا من الأرض" يعني: إن كنتم تزعمون أن هذه الأصنام والأولياء تستحق شيئاً من الألوهية، فالربوبية تقتضي الخلق. أين خلقهم للأرض التي أنتم عليها؟ هل خلقوا ذرة من ترابها، أم نبتة من نباتها، أم نهراً من أنهارها؟ إنه تحدٍّ حسيّ مباشر لا يستطيعون معه إلا الإقرار بالعجز.

س2: ما هو الأثر النفسي لهذا السؤال على المشرك؟

تخيل أنك مشرك تعبد صنماً، ثم يأتيك من يقول لك: "أرني ماذا خلق إلهك هذا من الأرض؟". ستنظر إلى صنمك الحجري، ثم إلى الأرض من حولك، وتدرك في أعماق نفسك الهوة السحيقة بين هذا الصنم العاجز والكون المهيب. هذا السؤال يصم العقل، ويوقظ الفطرة، ويجعل الباطل ينكشف أمام صاحبه قبل أن ينكشف أمام غيره. إنه سكينة عقلية تقلع جذور الشرك من النفس.

المحور الثاني: تحليل {أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ}

س1: ما معنى "شرك" هنا وما دلالة الانتقال من الأرض إلى السماوات؟

بعد أن سلب عنهم القدرة على خلق شيء من الأرض، انتقل إلى السماوات، وهي أعظم خلقاً وأبعد منالاً. "أم لهم شرك في السماوات" أي: ألهم مشاركة ونصيب في خلق السماوات وإدارتها وتدبير أمر الكواكب والأفلاك؟ إن كان الإله الحق هو الذي خلق السموات بغير عمد ترونها، فأين شركاؤكم في هذا الخلق العظيم؟ الانتقال من الأرض إلى السماء هو انتقال من الأصغر إلى الأكبر، ومن الأدنى إلى الأعلى، للتأكيد على أن العجز شامل، وإقامة الحجة أبلغ وأتم.

س2: كيف يبني هذا التحدي العقلية الإيمانية السليمة؟

إنه يربط بشكل وثيق بين "الألوهية" و"الخلق والتكوين". فمن يستحق العبادة هو من يستحق أن يكون خالقاً مدبراً. هذا المنطق القرآني البسيط والقوي يعلمك أن كل معبود لا يخلق ولا يرزق ولا يملك ضراً ولا نفعاً، فهو باطل. إنها معادلة عقلية واضحة: لا خالق ولا مدبر؟ إذن لا معبود. هذه المعادلة هي التي تحصن عقلك من أي انحراف فكري.

الأمر الثالث: تحليل التحدي النقلي والعقلي: {ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ}

بعد أن أثبت إفلاسهم في دليل الخلق والمُلك، انتقل إلى النوع الثاني من الأدلة التي قد يدّعيها أي صاحب دين: الدليل السمعي والعقلي (النقلي). وهنا تكتمل دائرة الحجة.

المحور الأول: تحليل {ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَا}

س1: لماذا طالبهم بكتاب من قبل القرآن؟

هنا ينتقل التحدي من المجال الكوني المادي إلى المجال الوحيي التاريخي. يقول لهم تعالى: إذا كنتم تعتقدون صحة هذا الشرك، فلا بد أن يكون قد سُبق إليه رسول أو نبي. فهل من كتاب سماوي سابق – كالتوراة أو الإنجيل – يأمر بعبادة الأصنام أو البشر؟ الجواب: لا. كل الكتب السماوية إنما نزلت بالتوحيد. فأنتم معزولون عن ركب الوحي كله. ألا تشعر بعظمة هذا التحدي؟ إنه يقتلعهم من جذور التاريخ المقدس. فبعد أن أثبت عجز آلهتهم عن الخلق، أثبت أن عبادتهم لا سند لها من السماء عبر كل العصور.

س2: ما الرسالة للمؤمن المعاصر؟

هذا التحدي يعطيك قاعدة ذهبية: أي فكرة، أو عبادة، أو مذهب جديد، اسأل صاحبه: أين هو في كتاب الله؟ أين هو في إجماع رسل الله؟ الدعاوى التي لا أصل لها في الوحي هي أهواء معاصرة، مهما زخرفت. دين الله واحد عبر العصور، والإسلام هو المهيمن على ما سبقه.

المحور الثاني: تحليل {أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ}

س1: ما هي "أثارة من علم"؟

"الأثارة" هي البقية من الشيء، والمراد بها هنا: بقية من علم صحيح موروث عن الأنبياء والحكماء السابقين، أو دليل عقلي قطعي. وكأن الله يقول لهم: إن لم تجدوا كتاباً كاملاً، فهل لديكم على الأقل لمحة، أو شذرة، أو دليل عقلي صرف يثبت صحة ما أنتم عليه؟ هذا هو الاحتياط الكامل في إقامة الحجة. أغلق الباب أمام أي هروب. لا دليل نقلي مفصل (كتاب)، ولا دليل إجمالي (أثارة من علم). إذن، أدينتكم هي الجهل المحض واتباع الظن.

س2: كيف يكون إعمال العقل في الدين على ضوء "أثارة من علم"؟

هذه الآية لا تذم العقل، بل تذم العقل الذي لا يستند إلى أصل من وحي. إنها تمدح "أثارة من علم" تكون موافقة للفطرة ومؤيدة بالوحي. أنت مأمور أن تستخدم عقلك، ولكن ضمن ضوابط الوحي. العقل ليس مصدراً مستقلاً للتشريع والعبادة، بل هو أداة لفهم النص الإلهي والتأمل في خلقه. هكذا تجمع الآية بين احترام العقل والثقة المطلقة في الوحي.

المحور الثالث: تحليل قوله {إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ}

س1: ما دلالة هذا القيد في ختام الآية؟

"إن كنتم صادقين" هو التحدي الأخير. فيه تهكم بالغ بهم، وفيه إظهار لكذبهم. هم يعلمون أنهم كاذبون في دعوى ألوهية آلهتهم. إن هذا القيد يقول لهم: أنتم تدّعون أن هذه الآلهة تنفع وتضر وتستحق العبادة، فهذه دعوى، والدعوى تحتاج إلى دليل. فأين الدليل على صدقكم؟ إن عجزتم عن الإتيان به (وقد عجزوا)، فبذلك يثبت كذبكم، ويثبت للجميع أن منهجكم قائم على الظن والهوى لا على اليقين والعلم.

ثانياً: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل والمفاهيم من الآية

المحور الأول: كيف نقرأ الآية القراءة الواعية ونحولها إلى واقع حياة؟

أولاً: التدبر العملي في "أروني ماذا خلقوا".

· تمرين نقدي: في حياتك اليومية، كلما رأيت ظاهرة باطلة أو فكرة منحرفة، لا تتقبلها بسذاجة. اسأل نفسك السؤال القرآني: ما الدليل على صحتها؟ هل تنفع أم تضر؟ هل تستند إلى وحي أم إلى هوى؟ هذا التمرين العقلي اليومي يحصنك من الانجراف وراء الموضات الفكرية.

ثانياً: التدبر السلوكي في "ائتوني بكتاب".

· فلترة المعتقدات: كل فكرة تعرض عليك، سواء كانت فكرة اقتصادية، أو سياسية، أو علاقات شخصية، ضعها في ميزان "ائتوني بكتاب". ردها إلى القرآن والسنة. إن كان لها أصل ومستند، فاقبلها، وإلا فارفضها. هذا هو التطبيق العملي لمرجعية الوحي.

ثالثاً: التدبر القلبي في "ما تدعون من دون الله".

· تطهير القلب: هذه العبارة هي مقياس يومي لقلبك. تأمل: ما هو أكثر شيء يشغل تفكيرك؟ ما هو الشيء الذي تخاف فواته أكثر من فوات طاعة الله؟ ما هو الشيء الذي ترجوه وتطلب نفعه ودفع ضره ولو بطريقة غير مشروعة؟ ذلك الشيء هو "ما تدعو من دون الله". طهر قلبك منه، وأفرد الله وحده بالدعاء والخوف والرجاء.

المحور الثاني: المفاهيم وكيفية تحويلها إلى واقع حياة

.1مفهوم العبقرية في إقامة الحجة.

· المفهوم: الباطل يُهزم بالدليل العقلي والنقلي معاً.
· في حياتنا العملية: تعلم أصول المناظرة والحوار. عندما تناقش أحداً، لا تتهكم أو تشتم، بل أقم حجتك من الخلق (العلم، الكون) ومن الكتب السابقة (التاريخ، المنطق). كن صاحب عقلية برهانية، لا عقلية إنشائية.

.2مفهوم تحرير العقل من التبعية.

· المفهوم: الشرك قائم على تقليد الآباء بلا دليل.
· في حياتنا العملية: راجع قناعاتك. كم منها قمت بفحصها عقلياً وشرعياً، وكم منها ورثته دون تفكير ؟ كن ابن الدليل لا ابن التقليد.

.3مفهوم إثبات التوحيد بنفي ألوهية ما سوى الله.

· المفهوم: الطريق لإثبات الحق هو إبطال الباطل.
· في حياتنا العملية: لكي تثبت حب الله في قلبك، انزع منه حب ما سواه. لكي تعبد الله حقاً، ارفض عبودية المال والشهوة والجاه. التوحيد ليس مجرد كلمة، بل هو نفي وإثبات.

المحور الثالث: الدروس العملية لتأسيس الشخصية الإيمانية

.1درس الشجاعة الفكرية: "قل" تعلمك أن تعلن الحق ولا تخاف.
.2درس العقلانية المؤمنة: الآية تقيم الدين على العقل، فلا تناقض بين إيمانك وعقلك.
.3درس الفحص والتدقيق: لا تقبل شيئاً في دينك إلا بيقين.
.4درس التجرد من الهوى: الخصومة الفكرية لا بد أن تكون لله، لا لنصرة الذات.
.5درس التواضع أمام الوحي: العقل دوره فهم الوحي لا معارضته.

المحور الرابع: ما الذي يريده الله منا في هذه الآية؟

.1أن نكون أمة الحجة والبرهان: لا أمة التقليد والتبعية.
.2أن نحرر أنفسنا من كل عبودية لغير الله: لأن كل معبود من دونه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً.
.3أن نوقن بأن الإسلام هو الدين الحق الوحيد: لأنه الدين الوحيد الذي يملك الدليل المادي) الخلق (والسمعي) الكتاب.(
.4أن نتعلم كيفية الدعوة إلى الله: بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن.

المحور الخامس: ما الذي تدعونا إليه الآية في حياتنا العملية؟

.1دعوة إلى امتلاك منهج التفكير الناقد: أن نمحص كل ما يقدم لنا.
.2دعوة إلى عدم الخوف من باطل مهما علا شأنه: فكل باطل هو مفلس أمام هذا التحدي القرآني.
.3دعوة لمراجعة أنماط عبوديتنا المعاصرة: من عبودية المادة، والموضة، والسلطة، إلى عبودية الله وحده.

المحور السادس: ما الذي نتعلمه من الآية في ضوء سياقها التاريخي؟

نزلت الآية في معرض الرد على مشركي مكة الذين كانوا يعبدون الأصنام ويدّعون أنها تقربهم إلى الله. فجاءت هذه الآية:

.1لتكشف التناقض الداخلي لديهم: فهم يعترفون أن الله خلق السموات والأرض، ومع ذلك يعبدون ما لا يخلق شيئاً .الآية تضعهم أمام تناقضهم الصارخ.
.2لتثبيت المؤمنين: كان المؤمنون المستضعفون يرون بأعينهم عبادة الأصنام من قبل الأكثرية، فجاءت هذه الحجة القاطعة لتقوي قلوبهم وتريهم ضعف باطلهم.
.3لتكون وثيقة إفلاس للشرك: لقد سجلت هذه الآية على مشركي مكة وغيرهم العجز المطلق، وجعلتهم أضحوكة أمام عقولهم .وهذا يعلمنا أن الباطل قد يكون له صولة، لكنه أبداً لا يملك حجة.

المحور السابع: تحويل المفاهيم إلى طاقة بناء حضاري

كيف تبني أمة التحدي العقلي والمنطق القرآني حضارة؟

· بناء الحضارة على أساس اليقين لا الظن: الحضارة التي تقوم مبادئها على الظن والهوى سرعان ما تنهار. أما الحضارة التي تقوم على البرهان (الخلق) والوحي (الكتاب) فهي ثابتة راسخة. هذا هو أساس التفوق الحضاري.
· إنتاج العلم والمعرفة (تحقيق "أروني ماذا خلقوا"): الحضارة الإسلامية مدعوة لاستكشاف أسرار الخلق في الأرض والسماوات، ليرى الناس "ماذا خلق الله"، فيزدادوا إيماناً وعلماً. الآية تدعونا ضمناً لدراسة الخلق، وهذه طاقة للبحث العلمي.
· نشر ثقافة الدليل والمحاكمة العقلية: المجتمع الذي يربي أبناءه على قول "ائتوني بدليلكم" هو مجتمع لا يمكن خداعه أو استعباده بالإعلام والبروبوغندا. هذه المناعة الفكرية هي درع الأمة الحضاري في مواجهة الغزو الفكري.

الختام: رسالة إلى قلبك

أيها الحر، أيها الذي خلقك الله وما سواك عبثاً، لقد سمعت النداء: "قل". إنها كلمة واحدة، لكنها تغير كل شيء. إنها تنتزعك من مقعد المتفرج الصامت، وتقذف بك إلى ميدان الأبطال، حاملا ً سلاح الحجة والبرهان.
لقد علمتك هذه الآية أن الباطل، مهما بدا عظيماً، هو كالسراب، يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً. وسلاحك الذي تكشف به السراب هو سؤال واحد: "ما الدليل؟ أرني ماذا خلق هذا الباطل من أرض الحق؟".
اخرج إلى دنياك، ومنهج الآية نصب عينيك. كلما حاول فكر منحرف أن يخترق عقلك، أو شهوة أن تستعبد إرادتك، أو إنسان أن يخطف قلبك من خالقك، قف في وجهه بجبروت المؤمن الواثق، وقل له بكل ثبات: "ائتُوني بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ". آمن وأبشر، فأنت وحدك الغني بالله، وهم الفقراء إلى الحجة والبرهان. أنت متى اعتصمت بالعزيز الحكيم، فلن يخذلك، ومتى واجهت الباطل ببرهان تنزيله، فقد ضربته في مقتل. ارفع رأسك، فأنت تحمل الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.
المبحث الثاني
أيها العقل الذي ذاق طعم الحجة والبرهان مع الآية الرابعة، أيها القلب الذي تعلم كيف يواجه الباطل بمنطق "ائتوني بكتاب"، لقد آن لنا أن ننتقل إلى مشهد آخر. مشهد لا يقل روعة عن سابقه، بل هو النتيجة المنطقية القاسية لتلك الحجة. بعد أن أثبت الله في الآية السابقة عجز ما يُدعى من دونه عن الخلق والمُلك، وأثبت إفلاسهم من أي دليل نقلي أو عقلي، يأتي الآن ليصف لنا "ثمرة" هذا الشرك، و"عاقبته". إنها آيتان تكشفان حقيقة العبودية لغير الله، ليس في الدنيا فقط، بل تمتد بك إلى ما بعد الموت، إلى يوم الحشر. إنهما ترسمان صورة مهينة مرعبة لهذه الآلهة المزعومة، وتغرسان في نفسك ا لاشمئزاز من الذل لغير الله. استعد، وافتح قلبك، ولنبكِ معًا على حال من باعوا يقين العزيز الحكيم بوهم عبدٍ عاجز غافل، ثم عدوٍ كافر. قال الله الحق: {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (5) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ (6)}.

المقدمة: من فضيحة العجز إلى كارثة العداوة

تأمل معي كم هو عظيم هذا القرآن! في الآية السابقة، طالب الله المشركين بدليل على صحة عبادتهم لغير الله، فبهتوا وعجزوا. وهنا، يكمل الله رسم اللوحة ليكشف حقيقة أخرى: هب أنهم عبدوا هذه الآ لهة بلا دليل، فماذا ستعطيهم هذه الآلهة مقابل هذا الذل؟ الجواب يأتي في هاتين الآيتين ليقطع

نياط القلب: إنهم لا يعطونهم شيئًا! بل الأسوأ من ذلك، أنهم في الدنيا {لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ}، وهم عن دعائهم في غفلة تامة. وفي الآخرة، تنقلب هذه العلاقة رأسًا على عقب، فتصبح هذه الآلهة {أَعْدَاءً} لعابديها، وتتبرأ منهم، وتكفر بعبادتهم. إنها خيبة متكاملة الأركان، تبدأ بالخذلان في الدنيا، وتنتهي بـ اللعنة في العقبى. هذه الآيات هي الصفعة التي توقظ كل من تعلق قلبه بغير الله، سواء كان هذا الغير صنمًا، أو بشرًا، أو منصبًا، أو وهمًا. إنها تعيد تعريف "الضلال" و"الخسارة" في ميزان الحقيقة الإلهية.

بيان تفسير الآيتين والمعنى العام لهما أولا ً

دعني يا صديقي أضع بين يديك المعنى الإجمالي لهاتين الآيتين قبل أن نغوص في تفاصيلهما الدقيقة.
يستفتح الله تعالى الآية الخامسة باستفهام إنكاري تقريري، الغرض منه إثبات أن لا أحد أضل، أي أشد جهلا ً وضلالا ً وخسارة، من شخص يدعو ويعبد من دون الله آلهة صفتها أنها {لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ} أي لا تستجيب لدعائه ولا تقضي حاجته، وهذا العجز مستمر {إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ}، فهي ليست عاجزة الآن فقط، بل عجزها أبدي. ثم يزيد الطين بلة، فيخبر أنها ليست فقط عاجزة، بل هي {عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ}، لا تسمع ولا تعي ولا تدري عنهم شيئًا. فإذا كان هذا حالها في الدنيا، فما هو حالها يوم القيامة؟ يأتي الجواب في الآية السادسة: {وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ} وجمعوا للحساب، وأحضرت هذه المعبودات معهم، كانت المفاجأة الصاعقة: {كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً}، تقلب الحب بغضًا، والرجاء يأسًا، والعبادة تبرؤًا، {وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ} أي جاحدين منكرين، فيتبرأ بعضهم من بعض. إنه مشهد الضياع المطلق لمن تعلق بغير القادر السميع القريب.

أولا ً: تحليل الآيتين الكريمتين

الأمر الأول: تحليل الآية الخامسة: {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ}

المحور الأول: قوة الاستفهام {وَمَنْ أَضَلُّ}

س1: ما هو المعنى البلاغي لـ "وَمَنْ أَضَلُّ"؟

انظر كيف يستفز القرآن عقلك! "وَمَنْ أَضَلُّ" استفهام، لكنه ليس استفهامًا حقيقيًا يبحث عن جواب، بل هو استفهام إنكاري بمعنى النفي، أي: لا أحد أضل وأجهل وأسوأ حالا ً من هذا الصنف. إنها صيغة تفيد المبالغة في وصفهم بالضلال. والضلال هو الحيرة والضياع والخطأ في طريق الحق. تخيل أن يأتي الخطاب القرآني ليقول لك: ليس هناك في هذا الوجود كله من هو أشد ضلالا ً من هذا الشخص. من هو هذا الشخص؟ إنه من يدعو من دون الله. ألا تشعر معي أن هذا الاستفهام هو تحذير مبطن بأن تتحاشى أن تكون هذا الشخص بأي ثمن؟ إنه يهز كيانك بعنف كي لا تكون فردًا من هذا الصنف.

المحور الثاني: تحليل {يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ}

س1: ما هي أنواع "الدعاء" التي تشملها الآية؟

"يدعو" تشمل كل أنواع العبادة والتضرع والطلب .من دعاء المسألة، كأن يطلب من الميت الشفاء أو الرزق، إلى دعاء العبادة، كأن يصلي أو يذبح لغير الله .كلاهما داخل في هذا الضلال العظيم .الآية تعلن أن مجرد صرف الدعاء لغير الله هو أعلى درجات الضلال.

س2: ما دلالة تكرار قيد "من دون الله" في هذه الآية؟

هذا القيد هو الذي يصنع الفارق. المشكلة ليست في الدعاء بحد ذاته، فالدعاء هو مخ العبادة، بل المشكلة في توجيهه لغير الله. "من دون الله" تعني أنهم تجاوزوا الله واختاروا غيره. وهذا يكشف عن خلل في المعرفة والتقدير؛ فهم لا يعرفون الله حق قدره، وإلا ما عبدوا معه غيره. هذا القيد يجعلك

تراجع نفسك باستمرار: هل هناك شيء أتوجه إليه بالدعاء والخوف والرجاء "من دون الله"؟

المحور الثالث: إظهار عجز المعبود {مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ}

س1: لماذا وصف المعبود بـ "مَن" التي للعاقل؟

القرآن يستخدم "مَن" التي هي للعاقل، لا "ما" التي لغير العاقل، مع أن المعبودات قد تكون أصنامًا. لماذا؟ لأن المشركين اعتقدوا في معبوداتهم نوعًا من العقل والسمع والإدراك، فعوملوا بنقيض قصدهم، وأقيمت عليهم الحجة بأن هذه "الذوات" التي تظنون بها العقل، هي في الحقيقة عاجزة تمامًا. هذا تهكم بهم وتحقير لمعبوداتهم.

س2: ما هي مرارة عبارة {لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ}؟

تذوق مرارة العجز في هذه الكلمات. "لا يستجيب" أي لا يلبي النداء، ولا يقضي الحاجة. أنت تنادي وتصرخ وتتضرع، لكن المعبود لا يستجيب. لماذا؟ لأنه عاجز لا يقدر. إنها صورة موجعة لمن تعلق بغير القادر. تقارن بين من تدعوه فلا يسمع ولا يستجيب، وبين الله الذي قال: "وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ". من الرابح؟ إنه اختبار العقل والقلب معًا.

المحور الرابع: تأبيد العجز {إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ}

س1: لماذا قيد عدم الاستجابة بيوم القيامة؟

هذا القيد هو الطامة الكبرى. "إلى يوم القيامة" يعني أن هذا العجز ليس مؤقتًا، وليس له أمل في أن ينقلب قدرة! في الدنيا عاجزون، وفي الآخرة سيكونون أشد عجزًا. إنه قطع لأمل المضطرين بأن آلهتهم قد تستجيب لهم ولو في وقت لاحق. هذا اليقين يغرس فيك أن الاستجابة الكاملة المطلقة لا تكون إلا من الله الحي الذي لا يموت، القادر الذي لا يعجز.

المحور الخامس: إضافة الغفلة إلى العجز {وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ}

س1: ما هو الفرق بين "لا يستجيب" و "غافلون"؟

هنا تنتقل المصيبة من كونها عجزًا إلى كونها إهانة. "لا يستجيب" تعني أنه قد يسمع ولكنه لا يقدر، لكن "غافلون" تعني أنهم لا يسمعون ولا يعلمون ولا يشعرون بهم أصلا ً. الغفلة أشد من مجرد العجز ، لأنها تعني أن المعبود لا يبالي بعابده ولا يدري عنه. إنه كمن يصرخ في صحراء مقفرة. ألا تشعر بقشعريرة عندما تدرك أن كل من لجأ لغير الله، فإنه يلجأ إلى من هو غافل عنه تمامًا، بينما الله لا يغفل ولا ينام، يسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء.

الأمر الثاني: تحليل الآية السادسة: {وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ}

والآن، وقد انكشف عجز المعبودات وغفلتها في الدنيا، يأتي المشهد الأعظم في الآخرة. إنها المفاجأة التي لا تخطر على بال أحد. تعال نعيش هذا الرعب المقدس.

المحور الأول: ظرفية التحول {وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ}

س1: لماذا ربط التحول بيوم الحشر تحديدًا؟

"وإذا حشر الناس" أي جمعوا في صعيد واحد ليوم القيامة، حين تنكشف الحقائق، وتزول الأوهام . التقييد بهذا الظرف الزماني يدل على أن هذه العداوة كامنة في الدنيا ولكنها خفية، لأن المعبودات إما جمادات لا تعقل، وإما شياطين تظهر الود وتخفي العداوة .ولكن في ذلك اليوم، يوم البروز والحق ، تنكشف السرائر، وتصبح هذه المعبودات أعداءً علنًا .إنه تحول رهيب: من معبود متوهم إلى عدو مجاهر.

المحور الثاني: تحليل {كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً}

س1: كيف يكون الجماد (كالصنم) عدوًا؟

إن كانت المعبودات كالأصنام من جماد، فإن عداوتها تظهر بأنها تكون سبب شقائهم وعذابهم، وتكون آلة لإهانتهم، فيُلقون معها في النار، ويقال لهم توبيخًا: أين ما كنتم تعبدون؟ فهي عدو بكونها سبب الهلاك. وإن كانت من العقلاء كالملائكة أو الشياطين أو البشر (كعيسى عليه السلام، والعزير، وغيرهما)، فإنهم يتبرؤون منهم ويعلنون عداوتهم جهارًا، كما قال تعالى عن المسيح: {وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ}.

س2: ما هو البعد النفسي لتحول الحب إلى عداوة؟

تخيل مقدار الخيبة والألم. إنسان قضى حياته يتذلل ويعبد ويخاف ويرجو معبودًا، ثم في اللحظة الحاسمة، يجد هذا المعبود نفسه عدوًا له، يشمت به، ويتبرأ منه. هذا هو غاية الخسران المبين. هذا المشهد يزرع في قلبك المؤمن حاجزًا نفسيًا سميكًا ضد التعلق بغير الله، فكل حب لغير الله سيؤول إلى عداوة، إلا ما كان لله وفي الله.

المحور الثالث: تحليل {وَكانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كافِرِينَ}

س1: ما معنى "كافرين" هنا؟

"كافرين" أي جاحدين منكرين لعبادتهم إياهم .إنهم يجحدون أنهم أمروهم بعبادتهم، أو أنهم رضوا بها . فيتبرأون منهم ومن عبادتهم، ويكفرون بها .هذا هو الجحود والنكران بعينه.

س2: كيف تكمل هذه العبارة مشهد الخيبة؟

بعد أن صاروا أعداءً، أعلنوا البراءة والجحود. فلم يكتفوا بالعداوة، بل أنكروا أصل العلاقة، وكأنهم يقولون: "ما عبدناكم، ولا رضينا عبادتكم، ولا علمنا بها". إنه مسح كامل للذكريات، وهدم لتاريخ من الذل والخضوع. ما أقسى هذا الموقف! وما أشد حماقة من باع الله الحي القيوم الباقي، بمخلوق ميت فان، ثم عدو غادر!

ثانيا: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل والمفاهيم من الآيتين

المحور الأول: كيف نقرأ الآيتين القراءة الواعية ونحولها إلى واقع حياة؟

أولا ً: التدبر الشعوري في مشهد الخذلان.

· تأمل مشهد انقطاع الأسباب: اجلس في خلوة، وتخيل مشهد حاجتك إلى شيء أشد الحاجة، ثم اتجاهك بقلبك ودعائك إلى غير الله) مال، جاه، شخص(، وتخيل خذلانه لك .ثم انقله إلى مشهد يوم القيامة حيث يتحول هذا الخذلان إلى عداوة .هذا المشهد وحده كفيل بأن يميت في قلبك التعلق بغير الله، ويحيي فيه التعلق به وحده.

ثانيا: التدبر العملي في "لا يستجيب" و "غافلون".

· تصفية مصادر الأمان: راجع ما هي مصادر الأمان في حياتك .هل أنت متكل على الله وحده، أم على رصيد بنكي، أو منصب، أو شخص تعتقد أنه سبب نجاتك؟ هذه كلها "لا تستجيب" و "غافلة" عنك .حوّل اتكالك الكلي لله، واستخدم الأسباب كوسائل فقط، لا كمصادر قوة .كن كالطير: تغدو على الأسباب ولكن رزقها بيد الله وحده.

ثالثا: التدبر السلوكي: من عدو في الآخرة إلى عدو اليوم.

· احذر عبودية الهوى والشيطان: لا تنتظر يوم القيامة لتعرف أن الشيطان عدو، فهو الآن يزين لك الباطل، وسيعاديك غدًا .انظر إليه الآن كعدو، وستجد أن كل ما يدعوك إليه من هوى ومعصية هو "لا يستجيب" و"غافل" عنك، بل سيكون وبالا ً عليك يوم القيامة .عش قراءة الآيتين وكأن الشيطان وكل معبود من دونه يقولان لك اليوم بأفعالهما: "سنكون أعداءكم".

المحور الثاني: المفاهيم وكيفية تحويلها إلى واقع حياة

.1مفهوم الضلال المطلق.

· المفهوم: ليس هناك شيء أضل من صرف العبادة لغير الله.
· في حياتنا العملية: كن يقظًا لكل ما يعرض عليك مما يخالف التوحيد .الكل يبحث عن الأمان و الرزق، ولكن الضال هو من يطلبه من غير الله .حدد في حياتك هل تلجأ لغير الله في أمر لا يقدر عليه إلا الله؟ إن كان نعم، فأنت في خطر عظيم.

.2مفهوم الاستجابة الحصرية لله.

· المفهوم: الله وحده هو الحي القيوم الذي لا يغفل ولا يعجز، وهو وحده المستجيب للدعاء.
· في حياتنا العملية: علم قلبك التعلق بالله وحده في السراء والضراء .عند كل حاجة، اطرق بابه وحده .هذا لا يعني أن لا تطلب من الناس ما يقدرون عليه، ولكن لا تعلق قلبك بهم .الفرق دقيق: وسيلة أم غاية.

.3مفهوم انقلاب العلاقات يوم القيامة.

· المفهوم: كل علاقة لم تؤسس على الإيمان والحق، ستؤول إلى عداوة يوم القيامة.
· في حياتنا العملية: قيم علاقاتك: هل تقوم على طاعة الله أم على مصالح دنيوية بحتة؟ حبك لأ صدقائك، هل هو لله وفيه؟ إذا كان قائمًا على معصية، فاعلم أنها ستتحول إلى عداوة مبكية غدًا.

المحور الثالث: الدروس العملية لتأسيس الشخصية الإيمانية

.1درس الغنى بالله: الآية الأولى تقول لك: ربك هو الوحيد الذي لا يغفل، فهو وحده القادر، فكن به غنيًا عن كل أحد.
.2درس بغض الشرك: الآية تصور حال المشرك بصورة تثير الشفقة والغضب معًا، لتنمي فيك كراهية الشرك وأهله.
.3درس الثقة المطلقة بالله: مهما تخلى عنك الناس، فإن ربك لن يخذلك، ولن يكون لك عدوًا.
.4درس الصبر على البلاء: إذا دعوت الله ولم تستجب فورًا، فلا تيأس، فلعل في التأخير حكمة، فهو السميع الذي لا يغفل، بخلاف غيره.
.5درس الحذر من تقديس البشر: لا ترفع أحدًا فوق منزلته، فكل الناس عجزة إلا الله.

المحور الرابع: ما الذي يريده الله منا في هذه الآيتين؟

.1يريدك أن توقن بأن التوحيد هو السبيل الوحيد للنجاة من هذا المصير الأسود.
.2يريدك أن تطمئن تمامًا بأن كل ما يُعبد من دونه فهو عاجز وغافل، وأن تتوجه بقلبك كله إليه وحده.
.3يريدك أن تعيش حالة من "الخوف" من هذا المصير، فتحاسب نفسك وتنقي عبادتك من الشوائب.
.4يريدك أن تبشر الناس بهذا الحق: من أقبل على الله فله الأمان، ومن أعرض فله الخسران.

المحور الخامس: ما الذي تدعونا إليه الآيتان في حياتنا العملية؟

.1إخلاص الدعاء لله وحده: هي دعوة للالتجاء له وحده، وإفراده بالسؤال.
.2التحرر من خوف المخلوقين، ورجائهم: الآيات تكشف ضعفهم وغفلتهم، فلمَ الخوف منهم؟
.3مراجعة الأولويات: ما الذي يستحوذ على وقتك وقلبك؟ هل الله أم المعبودات العصرية؟
.4الاستثمار في علاقة لا تنقلب عداوة: أي علاقة مبنية على حب الله وطاعته.
.5الدعوة إلى التوحيد الخالص: فهي السبيل لإنقاذ الناس من مصير "كانوا لهم أعداء".

المحور السادس: ما الذي نتعلمه من الآيتين في ضوء سياقها التاريخي؟

نزلت هذه الآيات في مكة والمشركون يعبدون أصنامًا وملائكة وبشرًا.

.1فضح حقيقة آلهتهم: كانوا يظنونها تقربهم إلى الله، فجاءت الآيات لتقلب هذا الظن، وتظهر أنها لا

تستجيب ولا تسمع، بل ستتبرأ منهم.
.2إسقاط الهيبة عن رموز الكفر: كانت هذه الآلهة رمزًا لقوة الكفار وعزتهم، فأعلنت الآيات أنها غافلة عاجزة .هذا يعزز ثقة المؤمنين.
.3رسم صورة لمستقبل الدعوة: كان الضعفاء من المسلمين يتعرضون للإيذاء من الكافرين، فكانت هذه الآية بشرى بأن الطغاة سيكونون كالأصنام تمامًا: سيخذلكم ربكم المزعوم، وسيتحول حبكم لهم إلى عداوة.

المحور السابع: أهم المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية وتحويلها إلى طاقة بناء الإنسان والمجتمع و الحضارة الإسلامية

إن استخراج "الشيفرات" الكامنة في هاتين الآيتين هو الذي يصنع الإنسان الجديد، ويبني المجتمع المتماسك، ويطلق شرارة الحضارة. لاحظ معي كيف يحدث هذا:

أولا ً: المفاهيم النفسية: صناعة الإنسان المتزن القوي

.1التحرر النفسي المطلق:
· المفهوم: إدراك أن كل معبود من دون الله) أي مصدر نفع أو ضر مزعوم (هو عاجز "لا يستجيب" وغافل "غافلون"، يجرد هذه المعبودات من أي قوة حقيقية.
· تحويله لطاقة بناء الإنسان: هذا الإدراك يحررك من أسر "الخوف من المخلوقين" و"رجائهم" .أنت لا تخاف فوات رزق من جهة ما، لأن الرزاق وحده هو الله .أنت لا ترجو رضا أحد لتنال به منفعة، لأ ن الخزائن بيد الله وحده .هذا التحرر يصنع إنسانًا حرًا، أبيًا، لا يذل إلا لخالقه .هذا هو أساس القوة النفسية، والتوازن الداخلي المنشود، فيصبح الإنسان سيدًا لا عبدًا للبشر والأوهام.
.2السكينة والطمأنينة ضد القلق:
· المفهوم: العلم اليقيني بأن لا أحد يستجيب لك سوى الله، يريح نفسك من عبء توزيع رجائها على عدة جهات.
· تحويله لطاقة بناء الإنسان: بدل القلق والتوتر من جهات متعددة، تتوحد وجهتك إلى جهة واحدة مضمونة الاستجابة: الله .هذا التوحيد يورث سكينة عظيمة، ويجمع شتات النفس، فيصبح الإ نسان مركزًا، قويًا، غير مشتت، قادرًا على الإبداع والعطاء.

ثانيا: المفاهيم الفكرية: صناعة العقل المنهجي

.1نقد التصورات الخاطئة:
· المفهوم: الآية تقدم منهجًا عقليًا صارمًا: "من لا يستجيب لك، وهو غافل عنك، لا يستحق العبادة" .هذا منطق عقلي بسيط يقصم ظهور الأباطيل.
· تحويله لطاقة بناء المجتمع: تعميم هذا الفكر في المجتمع يخلق "عقلية ناقدة" ترفض الخرافة، وتقاوم التخدير، وتسأل دائما: ما الدليل؟ وما الفائدة؟ هذه العقلية هي التي تبني مجتمعًا علميًا لا مجتمع أساطير .فالمجتمع الذي يوقن بأن الأولياء في قبورهم لا يسمعون ولا يستجيبون، هو مجتمع يوجه طاقته نحو الأسباب المادية والعلمية الصحيحة بدل انتظار كرامات الموتى.
.2فقه العواقب:
· المفهوم: ربط العبادة الخاطئة بعاقبتها المروعة) العداوة يوم القيامة (يغرس "الوعي المستقبلي" أو "فقه المآلات" في العقل.
· تحويله لطاقة بناء المجتمع: مجتمع يربي أفراده على التفكير في عواقب الأمور ونهاياتها، لا على الاندفاع وراء الأهواء والملذات الآنية، هو مجتمع رشيد في قراراته السياسية والاقتصادية .لا تغره مباهج مؤقتة يعقبها خراب ودمار، سواء في علاقاته الدولية أم استهلاكه اليومي.

ثالثا: المفاهيم التربوية: صناعة الجيل القيادي

.1التربية على الإخلاص لله وحده:
· المفهوم: تصوير بشاعة الشرك وعاقبته يزرع في الناشئة كراهية الرياء والتوجه لغير الله.
· تحويله لطاقة بناء المجتمع: جيل يتربى على أن "العمل لله" هو مقياس القبول، ينتج مجتمعًا نقيًا من الفساد والمحسوبية .فمن يعمل ليرضي رئيسه فقط، سيرهقه هذا الرئيس، أما من يعمل ليرضي الله، فلن يملك أحد أن يستعبده أو يخذله .هذا الجيل هو الذي يبني مجتمع العدل.
.2التربية على العزة بالله:
· المفهوم: مقارنة حال المؤمن بالله القوي، بحال المشرك بالعاجز الغافل، تغرس العزة.

· تحويله لطاقة بناء الحضارة: جيل يتربى على أنه "يدعو من يستجيب له" هو جيل قيادي بطبيعته .لا يشعر بالنقص أمام الحضارات الأخرى، لأنه يستمد قوته من مصدر القوة الوحيد في الكون .هذا الجيل هو الذي سيبني حضارة مستقلة مبدعة، لا حضارة مقلدة تابعة، لأن عزة نفسه تأبى عليه التبعية للغافلين العاجزين.

رابعاً: كيف تتحول هذه المفاهيم مجتمعة إلى طاقة بناء الإنسان والمجتمع والحضارة؟

انظر إلى المعادلة الكاملة التي تصنعها الآيتان:

.1بناء الإنسان: الآيتان تصنعان "الإنسان الرباني الحر"؛ الذي تحرر من الخوف والرجاء لغير الله، فاجتمعت له القوة) باليقين بالله (والسكينة) بالتوجه لله وحده .(هذا الإنسان هو اللبنة الأولى الصالحة.
.2بناء المجتمع: عندما يجتمع ملايين من هذا "الإنسان الرباني الحر"، فإنهم يشكلون "مجتمع التوحيد" .مجتمع لا يخضع فيه الناس لسلطة بشرية مطلقة تستعبدهم، بل الخضوع لله وحده .هذا المجتمع يكون متعاونًا، قويًا، نقيًا من الخرافة، لأن أفراده لا يشغلون أنفسهم بالتعلق بالأموات و المقبورين، بل بالتخطيط للمستقبل وبناء الحياة .إنه مجتمع الكفاءة والعمل، لا مجتمع الاتكالية و الخرافة.
.3بناء الحضارة: هذا المجتمع، بهذه العقلية وهذه الطاقة، سيطلق "حضارة التوحيد" .حضارة لا تبنى على استعباد الإنسان، بل على تحريره ليكون عبدًا لله وحده فيبدع .حضارة العلم والعمل، لأن العبادة لله وحده تعني إعمار أرضه بمنهجه .حضارة لا تنهار من الداخل، لأنها لا تقوم على أساس واهٍ من خوف أو طمع في مخلوق "لا يستجيب"، بل على أساس متين من اليقين في الحي الذي لا يموت . هذه الحضارة وحدها هي التي تستطيع أن تواجه الحضارة المادية التي حولت الإنسان إلى عبد للشهوات والسلع، لتعيد للإنسان كرامته وروحه.

الختام: رسالة إلى قلبك وأنت تسمع نداء السماء

أيها القلب المسكين، المتعطش للأمان، المرهق من كثرة الطرقات التي طرقها فلم يُفتح له، لقد آن لك أن تسمع النداء الأخير. لقد صور لك الله مشهد من ضل سعيه في الحياة الدنيا وهو يحسب أنه يحسن صنعًا. مشهد من تعلق قلبه ببشر مثله، أو صنم من حجر، أو وهم من خيال.
اسمع الآن، واسمع جيدًا: كل ما خفت عليه من فوات رزق، أو تعلقت به من ذي سلطان، أو رجوت منه نفعًا، هو بعينه ذلك "الذي لا يستجيب"، وهو "عن دعائك غافل". بل والأدهى، أنه سيكون خصمك وعدوك في اليوم الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون. كم من مرة بكيت على باب مخلوق فأغلق في وجهك؟ وكم من مرة تذللت لصاحب نفوذ فأعرض عنك؟ أما آن لك أن تستريح؟ أما آن لك أن تدعو من لا يغفل، وتسأل من لا يعجز، وتلوذ بمن لا يتحول إلى عدو؟
ربك، الحي القيوم، يناديك: إليّ وحدك، فوجه وجهك. إليّ وحدك، فاجعل رغبتك ورهبتك. فما عبدني عبدٌ وأخلص لي، ثم وكلته إليهم، بل كنت له وحدي. أتحب أن تكون ممن يرتجفون في ظلال "الأعداء" غدًا؟ أم تريد أن تكون في ظل عرش الرحمن، حيث السكينة والرضوان؟
انهض الآن. أفرغ قلبك من كل "غيره"، واملأه بيقين "لا إله إلا الله". حينها فقط، ستعرف معنى الحرية، وستذوق طعم السعادة، وسترى كيف تتهاوى أصفادك، وتتحطم أغلالك، لتحيا عبدًا حرًا لله وحده. تلك والله هي الحياة، ولو ضاقت بك السبل. أما تلك التي يعيشها الغافلون، فما هي إلا موتٌ بطيء، يعقبه خزي عظيم. فاختر لنفسك، فالوقت يمضي، و"إذا حشر الناس" لن تنفعك إلا بضاعة الإخلاص التي ادخرتها.

المبحث الثالث

أيها العقل الذي خاض للتو معركة الحجة والبرهان، أيها القلب الذي ذاق مرارة عاقبة الشرك ورأى بأم عين بصيرته كيف يتحول المعبود عدوًا، لقد آن الأوان أن نقف على مشهد آخر من مشاهد الدراما القرآنية. مشهد لا يقل إيلامًا، بل ربما كان أشد إيلامًا، لأنه يكشف عن طبيعة رد فعل الباطل عندما يفحم، وعن حقيقة الموقف النفسي لمن طمس الله على قلبه. بعد أن أثبت الله في الآيات السابقة أن ما يُدعى من دونه عاجز وغافل وسيصير عدوًا، يأتي السؤال: كيف يستقبل هؤلاء المشركون هذا الحق الساطع؟ هل يذعنون للمنطق؟ هل يسلمون للبرهان؟ الجواب في هاتين الآيتين هو درس بليغ في سيكولوجية الكفر والصدود. إنهما تصوران مشهد المواجهة، حيث يُتلى الحق الواضح وضوح الشمس، فلا يكون الرد إلا التكذيب والاتهامات الباطلة. استعد، واقرأ معي بتدبر، وتأمل في هذا الحوار المحتدم بين الحق والباطل: {وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ

هٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (7) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (8)}.

المقدمة: من فضيحة المعبود إلى فضيحة المعبود له

لاحظ معي كم هو مترابط هذا النسيج القرآني المعجز! تحدثت الآيات السابقة عن ضلال من يعبد غير الله، وعن خيبتهم يوم القيامة. والآن، تنتقل الآيات لتكشف عن رد فعل هؤلاء المشركين عندما يواجهون بآيات الله البينات التي تثبت تلك الحقائق. إنها نقلة نوعية من وصف "الفعل" (الشرك وعاقبته) إلى وصف "الفاعل" (حال المشرك النفسية والعقلية عند سماع الحق). فبعد أن أبطل الله حجتهم، وأظهر عجز معبوداتهم، لم يجدوا أي مفر إلا أن يواجهوا الحق نفسه بالإنكار والتشويه. إنه مشهد يكشف لك – يا من تؤمن بهذا القرآن – حقيقة هامة: ليس كل من وصلته الحجة يستسلم، فهناك من يزيده وضوح الحق إعراضًا وعداءً. وهذا ليس مدعاة لليأس، بل مدعاة لفهم طبيعة المعركة، وأخذ العدة النفسية والفكرية اللازمة.

بيان تفسير الآيتين والمعنى العام لهما أولا ً

ما هو المعنى الذي تريد هاتان الآيتان أن تزرعانه في قلبك؟ إنهما يرسمان مشهدًا حيًا للاستقبال الكافر للقرآن. يقول تعالى: عندما تتلى على هؤلاء المشركين آياتنا القرآنية واضحات جليات لا لبس فيها، دالات على وحدانيتي وقدرتي، لا يكون رد فعل "الذين كفروا" – أي الذين رسخ الكفر في قلوبهم – إلا أن يصموا آذانهم وقلوبهم عن الحق، ويبادروا في اللحظة التي يصل إليهم فيها هذا الحق الناصع إلى وصفه بأنه "سحر مبين". إنهم لا يقولون هذا عن جهل، بل يقولونه للحق نفسه، بعد أن تبينوا أنه حق! بل ويترقون في الاتهام، فيقولون عن النبي ﷺ: "افتراه"، أي اختلق هذا القرآن من تلقاء نفسه ونسبه إلى الله.
هنا يأتي الأمر الإلهي للنبي ﷺ أن يرد عليهم بمنطق يخرس الألسنة: "قل لهم أيها النبي: إن كنت قد افتريته – افتراضًا – فأي شيء تملكون أنتم لدفع عقاب الله عني؟ أنتم أعجز من أن تنصروني إن أراد الله بي سوءًا. هذا دليل على أني صادق، لأني لو كنت كاذبًا لما تركني الله ولعاجلني بالعقوبة. ثم يعلن تفويضه أمره لله، فالله هو الأعلم بما تخوضون فيه من طعن وقدح سرًا وجهرًا. إنه وحده الكافي شهيدًا بيني وبينكم، يشهد لي بالصدق وعليكم بالكذب. وهو مع ذلك كله، الغفور الرحيم لمن تاب منكم، فباب رحمته مفتوح على مصراعيه".

أولا ً: تحليل الآيتين الكريمتين

الأمر الأول: تحليل الآية السابعة: {وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ}

المحور الأول: تحليل الظرف {وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ}

س1: لماذا بدأت الآية بأداة الظرف "إذا"؟

"إذا" أداة شرطية وظرفية، تفيد التحقق والتكرار. كأنما يخبرك الله أن هذه هي العادة، وهذا هو الدأب المستمر. كلما تليت عليهم آيات الله، تكرر منهم هذا الموقف المشين. إنها ليست حادثة عابرة، بل هي صفة ثابتة في قلوبهم المريضة. هذا الظرف يجعلك - أيها الداعية إلى الله - مستعدًا نفسيًا لمثل هذا الرد، فلا تفاجأ ولا تنكسر، فهي عادة الكافرين عبر التاريخ.

س2: ما سر وصف الآيات بأنها "بينات" في هذا الموضع؟

وصف الآيات بأنها "بينات" أي واضحات ظاهرات الإعجاز، دالات على أنها من عند الله، يقطع الطريق على أي عذر. هم لا يواجهون كلامًا غامضًا أو معقدًا، بل يواجهون حقائق واضحة. وهذا الوصف

يجعل جريمتهم مضاعفة، ويكشف أن مشكلتهم ليست في الفهم، بل في الإرادة والعناد. إنهم لا يريدون أن يذعنوا للحق، فزين لهم الشيطان أن يصفوا البين الواضح بالسحر المبين! إنه التناقض بعينه، الذي لا يصدر إلا عن قلب أعمته الأهواء.

المحور الثاني: تحليل الفاعل {قَالَ الذِينَ كفرُوا}

س1: لماذا أظهر الفاعل "الذين كفروا" ولم يقل "قالوا" مضمرًا؟

إظهار الفاعل "الذين كفروا" بدل ضميرهم له دلالتان كبيرتان:

.1بيان علة القول: كأنه يقول: إنما صدر هذا القول الشنيع منهم بسبب وصف الكفر الراسخ فيهم .ف الكفر هو الدافع، لا عدم الفهم.
.2تسجيل التهمة عليهم: الإظهار فيه تشهير بحالهم، وتفريق بينهم وبين أهل الإيمان الذين إذا سمعوا الآيات البينات سارعوا للإذعان.

المحور الثالث: تحليل رد فعلهم {لِلحَقّ لَمّا جَاءَهُمْ هٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ}

س1: ما هو المعنى الدقيق لـ "للحك" هنا؟

اللام في "للحق" هي لام الاختصاص أو بمعنى "عن" أو "في". والمعنى أنهم قالوا في شأن هذا الحق، أو عن هذا الحق الذي جاءهم. والأهم أنهم يعترفون ضمنا بأن ما جاءهم هو "الحق"، ومع ذلك يسمونه سحرًا! إنهم لم يقولوا: "للباطل" أو "للكذب"، بل قالوا "للحق". هذا اعتراف لا شعوري منهم بأن ما يسمعونه هو حق في ذاته، ولكن عنادهم جعلهم يصفونه بالسحر.

س2: ما دلالة قوله {لَمّا جَاءَهُمْ}؟

"لما" ظرف بمعنى "حين". وهي تفيد المفاجأة والمبادرة. فبمجرد أن جاءهم الحق، وبدون أي تريث أو تفكر، بادروا بإطلاق التهمة. إنه رد فعل انفعالي غير عقلاني، وهذا يكشف عن ذعر داخلي من قوة الحق، فأرادوا خنقه في مهده قبل أن يتمكن من قلوب أتباعهم. إنها عقلية المؤامرة على الحق.

س3: لماذا اختاروا تهمة "سحر مبين" تحديدًا؟

اختيارهم لكلمة "سحر" له مغزى خطير. السحر هو ما خفي سببه وأثر في النفس تأثيرًا قويًا غير معهود. هم يعترفون بقوة تأثير القرآن، لكنهم بدل أن يعزوه لمصدره الإلهي، عزوه للسحر. ووصفوه بأنه "مبين" أي سحر واضح، بين لا شك فيه. هذا تناقض آخر! كيف يكون سحرًا مبينًا؟ السحر أصله الخفاء. لكنهم لشدة ارتباكهم، أرادوا أن يقولوا إن هذا الكلام لقوة تأثيره الخارق، هو سحر واضح لا يخفى على أحد. إنه اعتراف ضمني بإعجاز القرآن، ولكن في قالب اتهام باطل. وهذا هو حال كل مبطل: يقر بجودة الحق ثم يصفه بصفة معيبة ليصرف الناس عنه.

س4: كيف تبني هذه الآية في نفسك حصانة ضد هذا الأسلوب؟

عندما ترى اليوم من يصف الملتزمين بدين الله بالإرهاب أو التطرف أو الرجعية، فتذكر هذه الآية. هذا ليس جديدًا. الحق لما جاء قريشًا وصفوه بالسحر. الباطل حين يعجز عن المواجهة الفكرية يلجأ لتشويه السمعة ووسم الحق بأقذع الصفات. هذا الوعي يجعلك لا تنهار أمام سيل الاتهامات، وتدرك أنها دليل على قوة ما تحمله، لا دليل على ضعفه.

الأمر الثاني: تحليل الآية الثامنة: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}

والآن، وقد اتهموه بالسحر، انتقلوا إلى تهمة أخرى أشد. تعال نغص في أعماق هذه الآية التي تعلمك فن الرد الإلهي المبهر.

المحور الأول: تحليل {أَمْ يَقولونَ افْتَرَاهُ}

س1: ما معنى "افتراه" وما دلالة "أم" هنا؟

"افتراه" أي اختلقه من عند نفسه ونسبه لله كذبًا. و"أم" هنا هي "أم" المنقطعة، التي تفيد الإضراب وا لانتقال من اتهام إلى آخر، وهي بمعنى "بل" مع همزة الاستفهام الإنكاري. كأن الله يقول: دع عنك تهمتهم الأولى بأنه سحر، بل أتجاوزوا ذلك وقالوا إنه اختلاق وافتراء؟ إنه استفهام إنكاري تعجبي من جرأتهم وانتقالهم من اتهام إلى ما هو أشنع منه.

س2: لماذا انتقلوا من تهمة "سحر" إلى "افتراء"؟

لأن تهمة السحر ربما كان يقصد بها التأثير، لكن تهمة الافتراء هي طعن في المصدر والأخلاق. إنهم يتهمون النبي ﷺ – وهو الصادق الأمين – بالكذب على الله. هذا هو غاية التطاول. ويفعلون هذا لأن الحق أقض مضاجعهم، فلم يكتفوا باتهام الرسالة بالسحر، بل اتهموا الرسول بالكذب. إنها محاولة يائسة لتدمير مصداقية حامل الرسالة.

المحور الثاني: تحليل الرد الإلهي {قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكونَ لِي مِنَ اللهِ شَيْئًا}

س1: كيف يكون هذا الرد حجة دامغة؟

انظر إلى ذكاء القرآن وعظيم حكمته! الله لا يأمر نبيه أن يرد عليهم بأدلة تاريخية على صدقه فقط، بل يأمره أن ينزل معهم إلى مستوى افتراض جدلي: "هبوا أنني افتريته - كما تزعمون - ألا تستطيعون أنتم أن تمنعوا عني عقاب الله؟ أنتم عبدتم أصنامًا لا تضر ولا تنفع، فهل تقدر هذه الأصنام على حمايتي من بطش العزيز الحكيم لو كنت كاذبًا عليه؟". هذا المنطق يفضح عجزهم وعجز آلهتهم، ويبرهن على صدق النبي ﷺ، لأن الله لو كان غاضبًا عليه لانتقم منه، ومادام هو باقٍ يُنصر، فهذا دليل على صدقه. إنه تحويل التهمة إلى دليل على البراءة!

س2: ما هو التأثير النفسي لهذا الرد في قلب النبي ﷺ والمؤمنين؟

هذا الرد يملأ قلب النبي ﷺ والمؤمنين طمأنينة مطلقة. إنه توكل على الله الحي القيوم، الذي بيده العقاب والثواب. إنه يقول لهم: حسابي على الله، وليس لكم من أمري شيء. هذا هو قمة التحرر من الخوف من المخلوقين.

المحور الثالث: تحليل {هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ}

س1: ما معنى "تفيضون فيه"؟

الفيض هو الخوض بكثرة واندفاع. "تفيضون فيه" أي تخوضون في الطعن في القرآن وفيّ، وتندفعون اندفاع الماء الكثير في الباطل. هذه الكلمة ترسم صورة لجلساتهم التي كانوا يقضونها في تدبير المكائد، والطعن في الدعوة، والهمز واللمز. إنها تفضح خبثهم الخفي، وتخبرهم أن الله عليمٌ بكل همساتهم واجتماعاتهم السرية.

س2: ما الرسالة العملية من هذه الجملة؟

إنها تعلمك أن الله يعلم سرك وجهرك. عندما تُظلم ولا تجد من ينصفك، تذكر أن الله يعلم بما تفيض فيه قلوب أعدائك وألسنتهم من باطل ضدك. هذا الإيمان يمنحك راحة نفسية عظيمة، ويكفيك هم الرد على كل شائعة، فمن يعلم السر وأخفى سيتولى هو الرد والمجازاة.

المحور الرابع: تحليل {كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ}

س1: ما معنى "كفى به شهيدًا"؟

هو دعاء وثناء، معناه: الله يكفيني وحده شاهدًا على صدقي، وعلى كذبكم، وعلى أن هذا القرآن من عنده. هذا هو تفويض الأمر لله بالكلية، وإعلان الاستغناء التام عن شهادة الخلق.

س2: لماذا كانت شهادة الله كافية بذاتها؟

لأنه سبحانه هو أحكم الشاهدين، وعالم الغيب والشهادة. إذا شهد لك الملك، فماذا تضرك شهادة الصعاليك؟ وإذا شهد الله لك بالصدق، فعلام أحزن على تكذيب الناس؟ إنها دعوة لك أن تستمد قيمتك وثقتك من تقييم الله لك، لا من مدح الناس أو ذمهم. "كفى به شهيدًا" هي كلمة السر للسكينة النفسية.

المحور الخامس: تحليل الختام {وَهُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ}

س1: لماذا ختمت الآية بهذين الاسمين (الغفور الرحيم) في سياق التهديد والتحدي؟

هذا هو الإعجاز القرآني! في ذروة التحدي وبيان علم الله بكيدهم وقدرته عليهم، يفاجئهم بصفة الرحمة والمغفرة. إنه فتح لباب التوبة على مصراعيه. كأنه يقول لهم: رغم كل هذا الكفر والصدود وا لافتراء، ورغم أني أعلم بإفاضتكم في الكيد، إلا إني غفور رحيم لمن تاب منكم. هذه الرحمة في هذا الموضع بالذات، تهز الوجدان. يفهم منها أن اليأس من رحمة الله ليس من شأن المؤمنين، بل حتى أعدى أعداء الله إذا تابوا وأنابوا، غفر لهم. إنه درس عظيم في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وفي الأمل والرجاء.

ثانياً: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل والمفاهيم من الآيتين

المحور الأول: كيف نقرأ الآيتين القراءة الواعية ونحولها إلى واقع حياة؟

أولا ً: التدبر الشعوري في مشهد المواجهة.

· تعايش مع الحدث: ضع نفسك مكان النبي ﷺ وهو يتلو آيات بينات، فيُرمى بالسحر والكذب. كيف كان شعوره؟ وكيف صبر؟ ثم ضع نفسك مكان المشرك، واسأل: لماذا يفعل هذا؟ هذا التدبر يجعلك تستشعر قسوة قلوبهم، وترى عظمة صبر الأنبياء.

ثانياً: التدبر العقلي في منطق الرد.

· تعلم فن المجادلة: الرد المنطقي (إن افتريته فلا تملكون لي من الله شيئًا) هو قمة في الحكمة. في حواراتك، لا تكتفِ برفض التهمة، بل انزل إلى مستوى فرضية الخصم واثبت بطلان منطقه من خلالها.

ثالثاً: التدبر السلوكي في ختام الآية.

· فتح باب الأمل: في تعاملك مع المسيء إليك، لا تقطع عليه الأمل من الصلح، وتذكر "وهو الغفور الرحيم" مع نفسك ومع غيرك. كن غفورًا رحيمًا ما استطعت.

المحور الثاني: المفاهيم وكيفية تحويلها إلى واقع حياة

.1مفهوم طبيعة الصراع بين الحق والباطل.

· المفهوم: الباطل لا يملك أدوات الجدل، فيلجأ للتشويه (سحر) فالتكذيب (افتراء).
· في حياتنا العملية: لا تستغرب الحملات الإعلامية المغرضة على الإسلام وأهله. هذا هو ديدن الباطل. واجه هذا بتعريف الناس بالحق، لا بالانفعال على الباطل.

.2مفهوم كفاية الله ونصرته لأوليائه.

· المفهوم: الله هو الحسيب والشهيد، يكفي أولياءه همومهم.
· في حياتنا العملية: لا تستنزف طاقتك في الرد على كل شائعة، فوض أمرك لله. "كفى به شهيدًا" هي شعارك.

.3مفهوم رحمة الله الواسعة.

· المفهوم: حتى أعدى الأعداء، باب التوبة مفتوح لهم.
· في حياتنا العملية: لا تيأس من هداية أحد، ولا تحتقر عاصيًا، وادعُ الناس بالحسنى، فالغفور الرحيم هو ربك.

المحور الثالث: الدروس العملية لتأسيس الشخصية الإيمانية

.1درس الصلابة النفسية: لا تنكسر إذا وُصفت بالإرهاب أو الرجعية بسبب تمسكك بدينك .هم يصفون الحق بالسحر المبين.
.2درس الثقة في وعد الله: إذا كان الله معك، فما يضرك تكذيب الخلق.
.3درس التسامح والتوازن: وازن بين الغيرة على الحق والرحمة بالخلق .لا تكن لينًا فتُعصر، ولا قاسيًا فتُكسر .كن كالغفور الرحيم.
.4درس التوكل: لا تعتمد على الناس في نصرتك، بل على الله ."قل إن افتريته فلا تملكون لي من الله شيئًا".

المحور الرابع: ما الذي يريده الله منا في هذه الآيتين؟

.1أن تتعلم كيفية الصبر على أذى الأعداء، خاصة الأذى الكلامي.
.2أن تمتلك منهجية عقلية في الرد على الشبهات، لا عاطفية فقط.
.3أن تغرس في قلبك عقيدة "كفى بالله شهيدًا" لتعيش حرًا مطمئنًا.
.4ألا تنسى جانب الرحمة، حتى مع ألد الأعداء، فلا تخلط بين بغض الفعل والرحمة بالفاعل المأمول توبته.

المحور الخامس: ما الذي تدعونا إليه الآيتان في حياتنا العملية؟

.1دعوة لدراسة الشبهات المعاصرة وطرق الرد عليها بنفس المنطق القرآني المحكم.
.2دعوة للتضامن مع كل من يواجه اتهامات باطلة بسبب تمسكه بالحق.
.3دعوة لمراجعة الذات: هل نستقبل آيات الله البينات بقلب مذعن أم بقلب معرض كحالهم؟
.4دعوة لتكون أنت شاهدًا على عصرك، مبينًا للحق، رادًا للباطل، راجيًا رحمة ربك.

المحور السادس: ما الذي نتعلمه من الآيتين في ضوء سياقها التاريخي؟

نزلت الآيات في مكة، حيث كان المشركون في قمة قوتهم، وكان النبي ﷺ في قلة وضعف مادي.

.1تعليم منهج الصمود: كان النبي ﷺ يواجه حربًا نفسية شرسة .فجاءت هذه الآيات لتعطيه "درعًا نفسيًا" لا يُخترق ."هم يتهمونك؟ فوض أمرك لله، فهو أعلم بما تفيضون فيه".
.2فضح الأساليب الملتوية: كشفت الآيات أن اتهامات قريش) سحر، افتراء (هي أسلحة العاجز عن المواجهة الفكرية، مما جعل المؤمنين يزدادون ثقة بصحة منهجهم.
.3ترسيخ الأمل والثبات: تكرار ختم الآية بـ"الغفور الرحيم" كان يذكر النبي ﷺ والمؤمنين برسالتهم، وهي إنقاذ هؤلاء المشركين لا الانتقام منهم، مما يعيد توجيه البوصلة نحو الصبر والدعوة لا نحو اليأس والانتقام.

المحور السابع: أهم المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية وتحويلها إلى طاقة بناء الإنسان والمجتمع و الحضارة الإسلامية

إن التحليل العميق لهاتين الآيتين يمنحنا "شيفرات" تحويلية لصناعة الفرد والمجتمع والأمة الحضارية. لنرَ كيف يحدث هذا:

أولا ً: المفاهيم النفسية: صناعة الإنسان القوي الحر

.1التحصين ضد التدمير النفسي) من يسمون الحق سحرًا(:
· المفهوم: فهم أن الباطل حين يصف حقك بالسحر أو الإرهاب، فهو يعترف ضمنًا بقوة حقك. هذا

الفهم ينزع من نفسك الشعور بالضعة والانهزام أمام سيل الاتهامات.
· تحويله لطاقة بناء الإنسان: هذا الإدراك يبني فيك "المناعة النفسية". فبدلًا من أن تنكسر وتتراجع، تتحول الاتهامات إلى وقود يزيدك قوة وثباتًا. أنت مثل الجبل: لا تضره الرياح بل تزيده صلابة. هذا هو أساس التوازن النفسي في وجه العواصف.
.2التحرر من عقدة رضا الناس) كفى به شهيدًا(:
· المفهوم: استحقاقك وقيمتك ليسا مرهونين بنظرة الناس إليك، بل بنظرة الله.
· تحويله لطاقة بناء الإنسان: هذا المفهوم يحررك من "القيد النفسي" الأعظم: التعلق برضا البشر. تصبح حرًا لا تستعبدك الإشادة ولا تهدمك الإساءة. هذه الحرية هي التي تلد الإبداع، والشجاعة في قول الحق، والجرأة في اتخاذ القرارات الصائبة دون خوف من لومة لائم، فينشأ الإنسان القوي القادر على القيادة.

ثانيا: المفاهيم الفكرية: صناعة العقل الذي لا يُهزم

.1منهج الشك الجدلي لبلوغ اليقين) إن افتريته(...:
· المفهوم: الرد على الاتهام لا يكون دائمًا بالإنكار المباشر، بل أحيانًا يكون بتنزيل الاتهام كفرضية، ومن ثم إثبات استحالة نتائجه. هذا هو التفكير النقدي العبقري.
· تحويله لطاقة بناء المجتمع: تعميم هذا الفكر في المجتمع عبر التعليم والإعلام، يخلق "عقلًا جمعيًا نقديًا" لا يمكن خداعه بالشعارات الرنانة أو الاتهامات الفارغة. مجتمع يتعلم كيف يسأل عن الدليل، وكيف يفحص الفرضيات، هو مجتمع قوي في مواجهة الحروب الفكرية والنفسية التي تستهدف شبابه.
.2فقه "الله أعلم بما تفيضون":
· المفهوم: الإيمان الراسخ بأن هناك عينًا ترى ما لا نرى، وأذنًا تسمع ما لا نسمع، يغرس "رقابة داخلية" متجاوزة للرقابة الخارجية.
· تحويله لطاقة بناء المجتمع: مجتمع يربي أفراده على أن الله "هو أعلم"، هو مجتمع تقل فيه الحاجة لأجهزة الرقابة البوليسية، وتزدهر فيه الأمانة الذاتية. فالمهندس الذي يعلم أن الله يراه سيظل يتقن عمله، والتاجر سيظل صادقًا، والموظف سيظل أمينًا. هذه هي طاقة الإتقان والأمانة التي تبنى بها الحضارات وتدوم.

ثالثا: المفاهيم التربوية: صناعة الجيل الفريد

.1التربية على الصبر والتسامح النبيل) وهو الغفور الرحيم(:
· المفهوم: الجمع بين مواجهة الباطل بقوة، وبين امتلاك نفس رحيمة تتسع للجميع، حتى للمسيء.
· تحويله لطاقة بناء المجتمع والأمة: جيل يتربى على هذه المعادلة الصعبة، سيكون جيلًا قويًا لا يفرط في حقه، ولكنه رحيم لا يظلم ولا يحقد. هذا الجيل هو الذي يقود المصالحات الكبرى في المجتمع، ويمنع دوامة العنف والثأر، ويبني مجتمعًا تسوده الأخوة والعدل. إنها تربية تصنع القائد الرحيم، لا القائد الطاغية.
.2التربية على الاستمداد من الله والثقة به وحده:
· المفهوم: تعليم الناشئة منذ الصغر أن القوة والعزة والنصر من الله، وأنه "لا يملكون لي من الله شيئًا".
· تحويله لطاقة بناء الحضارة الإسلامية: جيل ينشأ على هذه العقيدة لا يهاب القوى العالمية، ولا يشعر بالنقص أو الدونية أمام حضارة الغرب. هو جيل يؤمن بأن مقاليد الأمور بيد الله، فيعمل ويجتهد ويتقن، ولكن لا يخاف ولا يذل إلا لله. هذا الجيل هو الذي سيكسر قيود التبعية الحضارية، ويطلق مشروع النهضة الإسلامي المستقل، لأنه يستمد روحه من "العزيز" مباشرة، لا من أي مركز قوة أرضي.

رابعا: كيف تتكامل هذه المفاهيم لتوليد طاقة البناء الحضاري الشامل؟

انظر كيف تبني هاتان الآيتان الهرم الحضاري:

.1القاعدة: الإنسان المتزن: تصنع الآيتان فردًا قويًا نفسيًا) لا ينهار أمام الاتهامات(، حرًا) لا يتعلق برضا الناس(، عاقلًا) يمتلك منهجًا نقديًا.(
.2البناء: المجتمع المتماسك: تجمع هؤلاء الأفراد يخلق مجتمعًا أخلاقيًا) بالرقابة الذاتية(، ناقدًا) لا ينخدع بالشعارات(، متسامحًا) لا تمزقه الأحقاد .(هذا مجتمع منتج، متعاون، آمن.
.3القمة: الحضارة الراسخة: هذا المجتمع هو وحده القادر على بناء حضارة لا تنهار .إنها حضارة العلم

والعمل) بسبب الإحسان والشعور بالرقابة(، حضارة العدل والسلام) بسبب التسامح والرحمة(، حضارة ا لاستقلال والعزة) بسبب التحرر من الخوف والتبعية .(إنها الحضارة التي تستمد قيمها من الوحي "وهو الغفور الرحيم"، فتعطي للبشرية نموذجًا فريدًا يختلف عن حضارة القوة الغاشمة، وحضارة الانحلال الأ خلاقي.

الختام: رسالة إلى قلبك

أيها الحبيب، أيها السائر في درب الحق وسط ضباب الباطل، اسمع، اسمع جيدًا. لقد رأيت كيف استقبل الذين كفروا الحق لما جاءهم. رأيت كيف يحول الكبرُ الإنسانَ إلى كائن لا يرى بعينيه، فيصف النور ظلامًا، والحق سحرًا، والصدق افتراءً. لا تحزن، فهذه سنة الله في خلقه، ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة.
ولكن انظر إلى الخاتمة، إلى التوقيع الإلهي في نهاية المشهد: "وَهُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ". كم هي عظيمة! في قمة الغضب، تشرق الرحمة. في ذروة الإفاضة في الباطل، يفتح باب المغفرة. هل شعرت بوقعها في قلبك؟ إنها تقول لك: لا تيأس من أحد، ولا تغلق باب قلبك على أحد، فرب العالمين نفسه لم يغلقه. إنها تقول لك: إذا كنت تدعو إلى الله، فامزج قوة الحق برحمة الخلق.
اخرج إلى دنياك، وحصن قلبك بمنطق الآيتين. إذا رموك بالسحر، فاعلم أنك على الحق. وإذا قالوا افتراه، فاستند إلى جدار "كفى به شهيدًا". وإذا رأيت منهم عنادًا وإساءة، فاستحضر "الغفور الرحيم"، لعلك تكون سببًا في هدايتهم. تذكر دائمًا أنك تتعامل مع إله هو أعلم بما تفيض فيه نفوسهم، وهو حسبك، وهو شهيدك، وهو الذي سينصرك. فما عليك إلا البلاغ، وعليه الحساب، وهو نعم المولى ونعم النصير.
المبحث الرابع
اخى اختى
لقد رأيت كيف قوبل الحق بالسخريه والافتراء، ورأيت كيف رد الله على المفترين بمنطق السماء .وا لآن، وقد أوشكت جولة الحوار أن تصل إلى ذروتها، يأتي نداء جديد من الله لنبيه ﷺ .نداء يأمره أن يتجرد من كل ادعاء، وأن يقف على أرضية واحدة مع خصومه، أرضية لا فضل له فيها إلا بما فضله الله به من الوحي .هذه الآيات هي إعلان "البراءة من الحول والطول" أمام الله، وإقامة "محكمة عادلة" يكون الشاهد فيها من أهل الكتاب أنفسهم .إنها الآيتان اللتان تقدمان لك "نموذج النبي ﷺ" في شفافيته وصدقه، وتعيد تعريف مفهوم "الهداية" و"الظلم" في الميزان الإلهي .استعد، وافتح قلبك، ولتسمع النداء القرآني الخالد:} قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (9) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ.{(10)

المقدمة: من إثبات الحق إلى تقديم النموذج

تأمل معي كم هو رائع هذا السياق القرآني .بعد أن وصف الله افتراءات المشركين) سحر، افتراء(، لم يترك النبي ﷺ والمؤمنين في مواجهة هذه العاصفة وحدهم .بل جاءت هاتان الآيتان لتعطيان سلاحًا جديدًا .إنه سلاح "التواضع العلمي" و"التجرد الموضوعي" .إن الله يأمر نبيه أن يعلن على الملأ: لستُ ظاهرة شاذة في التاريخ، ولستُ أدعي علم الغيب، بل أنا بشر مثلكم، ولكن الله اصطفاني بالوحي . هذا الإعلان فيه كسر لشوكة المتكبرين، لأنه يمنعهم من التعلل بأن الرسول يطلب ملكًا أو سلطانًا .ثم يأتي التحدي الأكبر في الآية العاشرة: ماذا لو كان هذا القرآن من عند الله حقًا، وكفرتم به أنتم، بينما آمن به من هم أعلم منكم وهم أهل الكتاب؟ أليس هذا هو الضلال المبين؟ إنها ضربة قاضية لمنطقهم، تجعلهم يعيدون حساباتهم قبل فوات الأوان.

بيان تفسير الآيتين والمعنى العام لهما أولا ً

ما هو المعنى الذي تحمله هاتان الآيتان؟ إنهما يكملان بناء الشخصية النبوية أمام أعين الناس، ويقيمان الحجة على المكذبين من زاوية جديدة .يأمر الله نبيه ﷺ أن يخبرهم بأربع حقائق أساسية عن نفسه: الأولى، أنه} مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ{، أي لست أول رسول يأتي إلى العالمين، بل جئت على نهج إخواني من الأنبياء، فلماذا تستغربون دعوتي؟ الثانية،} وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ {أي أن علم الغيب مرده إلى الله، فلا أعلم ما سيقع لي ولا لكم من خير أو شر، وهذا دليل على أني

بشر لا أملك لنفسي نفعًا ولا ضرًا .الثالثة،} إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ{، أي أن كل ما آمركم به وأنهاكم عنه ليس من عندي، بل هو وحي من الله أتبعه في كل أموري .الرابعة،} وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ{، أي أن مهمتي محصورة في الإنذار الواضح، ولست وكيلا ً عليكم ولا مسيطرًا.
ثم يأمره الله في الآية العاشرة أن يوجه لهم سؤالا ً يهز الضمائر:} قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ{، أي أخبروني عن حالكم ومصيركم إن كان هذا القرآن حقًا من عند الله، ثم جحدتموه وكفرتم به،} وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ{، أي أن هناك عالمًا من علماء بني إسرائيل شهد أن التوراة تبشر بمثل هذا الكتاب وهذا الرسول، فآمن هو به، أما أنتم -يا معشر العرب- فقد }اسْتَكْبَرْتُمْ .{أليس من كان هذا حاله هو الظالم المستحق لعقاب الله؟ وبالفعل،} إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ{، فالذين يصرون على الظلم ويستكبرون عن الحق، يحرمهم الله من هدايته وتوفيقه.

أولا ً: تحليل الآيتين الكريمتين

الأمر الأول: تحليل الآية التاسعة:} قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ{

المحور الأول: تحليل النفي القاطع} مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ{

س1: ما هو المعنى العميق لكلمة "بدعًا"؟

"بدعًا" أي أولا ً، أو شيئًا مبتكرًا لم يُسبق له مثال .تقول: هذا أمر بديع، أي جديد لم يعهد .فقوله ﷺ: ما كنت بدعًا من الرسل، يعني لست أول رسول بعثه الله إلى الخلق، بل قد تقدمت رسل كثيرة قبلي .هذه العبارة تنسف استغراب قريش من أن يبعث الله بشرًا رسولا ً .وكأنه يقول لهم: ما الجديد في أمري حتى تستنكروا دعوتي؟ إنها سنة الله في خلقه، وقد أرسل الأنبياء قبلي إلى أقوامهم بالبينات، فلماذا تستبعدون أن أكون واحدًا منهم؟

س2: ما هي الرسالة النفسية والفكرية من هذا الإعلان؟

· الرسالة النفسية للمؤمنين: إنها تمنحهم طمأنينة بأن طريقهم هو الطريق التاريخي المستقيم .فهم ليسوا شاذين، بل هم على خطى الأنبياء جميعًا .هذا يقتلع شعور الغربة القاتلة من نفوسهم.
· الرسالة الفكرية للمشركين: لماذا تصدقون بموسى وعيسى وتكذبون بمحمد ﷺ؟ إذا كان الدليل قائمًا على صدقه، فالإنكار مكابرة .إنها دعوة للتجرد من التعصب والعنصرية، والنظر إلى الحقيقة ذاتها.

المحور الثاني: تحليل إعلان العجز عن علم الغيب} وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ{

س1: لماذا أمر النبي ﷺ أن يعلن أنه لا يدري ما يفعل به ولا بغيره؟

هنا يصل التواضع النبوي إلى ذروته .هو سيد الخلق وحبيب الله، ومع هذا يأمره ربه أن يقول للناس: لا أعلم ما سيحدث لي في المستقبل، ولا ما سيحدث لكم .هل سيصيبني مكروه، أم سأموت على فراشي، أم سأنصر قريبًا؟ لا أدري .هل ستهتدون أنتم، أم ستصيبكم قارعة؟ لا أدري .هذا التجرد المطلق من أي ادعاء للعلم الذاتي، هو برهان على صدقه .فالكذاب المدعي للنبوة، يدّعي غالبًا علم الغيب ليكسب أتباعًا .أما النبي الصادق، فيفوض العلم لله.

س2: كيف يؤثر هذا التصريح في عقلية المشرك وفي قلب المؤمن؟

· في عقلية المشرك: إنها تصدمه .فكيف يكون نبيًا ولا يعلم الغيب؟ هنا تأتي الفرصة ليعلم أن مهمة النبي ليست الكهانة، بل البلاغ .وهذا يدفعه لسؤاله عن الدليل على صدقه، وهو الكتاب المعجز، لا ادعاء علم الغيب.
· في قلب المؤمن: إنها تربي فيه "عبودية العلم" .أنا لا أعلم، الله وحده هو علام الغيوب .هذه العبودية تحرره من التعلق بالدجالين والمشعوذين، ومن القلق على المستقبل، وتجعله يسلم الأمر لله.

المحور الثالث: تحليل حصر المصدر} إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ{

س1: ما دلالة أداة الحصر "إن ...إلا" في هذا المقام؟

"إن أتبع إلا ما يوحى إلي" هذا هو دستور النبي ﷺ .أداة الحصر "إن ...إلا" تعني أنه لا يتبع شيئًا على الإطلاق من عند نفسه، لا في عقائده، ولا في عباداته، ولا في شرائعه، ولا في أخلاقه، إلا ما يوحيه الله إليه .هو لا يخترع دينًا من عنده، بل هو مبلغ أمين.

س2: كيف تكون هذه الآية مفتاحًا للتعامل مع السنة النبوية؟

إذا كان النبي ﷺ قد حصر متابعته في الوحي، فالوحي قسمان: وحي متلو) القرآن(، ووحي غير متلو)السنة .(فكل ما صح عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير، فهو وحي من الله، لأن الله عصمه أن يخطئ في التبليغ .هذه الآية توجب علينا اتباع السنة كما نتبع القرآن، لأنه "لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى".

المحور الرابع: تحليل تحديد المهمة} وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ{

س1: لماذا اختتمت الآية بهذا القصر "وما أنا إلا نذير مبين"؟

بعد أن نفى عن نفسه البدعية، ونفى عن نفسه علم الغيب، وأثبت أنه لا يتبع إلا الوحي، يختم بتحديد مهمته حصرًا: أنا فقط "نذير مبين" .مهمتي هي الإنذار الواضح، البلاغ المبين .لست وكيلا ً عليكم، لست مسيطرًا، لست من يملك لكم الهداية أو الضلال .هذا القصر يريح النبي ﷺ من همّ استجابة الناس، ويريح الناس من توهم أنه يريد السيطرة عليهم .إنها الحرية المسؤولة في أبهى صورها.

الأمر الثاني: تحليل الآية العاشرة:} قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ{

هذه الآية هي المحاكمة العقلية الكبرى .إنها تضع المشركين في قفص الاتهام، وتستدعي شاهدًا من خصومهم ليدينهم.

المحور الأول: تحليل السؤال الإقناعي} قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ{

س1: كيف يبني هذا الاستفهام الحجة عليهم؟

"أرأيتم" أي أخبروني، وهو سؤال تقريري يصم العقول .لنفترض جدلا ً أن هذا القرآن هو من عند الله حقًا) وهو الحق(، وأنتم قد كفرتم به، ما هو تقييمكم لحالكم؟ وما هي عاقبتكم؟ إنه سؤال يستنطق الفطرة والعقل، ويجعل المشرك هو الذي يحكم على نفسه بنفسه .إنها حجة نفسية قوية، لأ نه لا يمكن لأي عاقل أن يقول: إن الكافر بالحق معذور.

المحور الثاني: تحليل شهادة العالم الرباني} وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ{

س1: من هو "الشاهد من بني إسرائيل"؟

أشهر الأقوال أنه عبد الله بن سلام، وهو حبر من أحبار اليهود، أسلم في المدينة .وقيل إنها نزلت في مكة، وأن الشاهد هو موسى عليه السلام، أو من آمن من أهل الكتاب كزيد بن سعية .والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .الشاهد هو أي عالم رباني منصف من أهل الكتاب يعلم أن ما في القرآن هو الحق المطابق لما في التوراة والإنجيل غير المحرفين.

س2: ما هي دلالة الاستشهاد بشاهد من بني إسرائيل تحديدًا؟

العرب كانوا يعترفون أن لأهل الكتاب علمًا بالكتب السماوية ليس لديهم .فمجيء شاهد منهم يعترف بصدق القرآن هو اتهام مضاعف للعرب المشركين .وكأنه يقول: هؤلاء الذين هم أعلم منكم بالوحي قد آمنوا به، فعلام استكباركم؟ إنه دليل على أن التعصب القبلي والجهل هو ما يمنعهم من الإيمان، لا قلة الدليل.

المحور الثالث: تحليل المفارقة} فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ{

س1: كيف تجسد هذه الجملة القصيرة مأساة المشركين؟

انظر إلى روعة المفارقة! "فآمن" أي هذا العالم الذي من المفترض أن يكون أولى بالكفر بحسب أهوائكم) لأنه ليس منكم(، قد آمن .أما أنتم، الذين يفترض بكم أن تكونوا أولى بالإيمان، لأن الرسول منكم، فـ "استكبرتم" .إنه تقريع نفسي رهيب .إنه يكشف أن مانعهم ليس عدم العلم، بل الكبر و العناد.

س2: ما هو الدرس العملي في التعامل مع الحق مهما كان مصدره؟

الآية تعلمك ألا تنظر إلى "من" يقول الحق، بل إلى "ما" يقوله .إذا كان سيد قومه وعالمهم قد آمن، فلماذا يتبعه السادة والكبراء؟ الكبر هو آفة قبول الحق .فلا تكن من زمرة "استكبرتم"، وكن من زمرة "فآمن".

المحور الرابع: تحليل الخاتمة الكونية} إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ{

س1: لماذا وصفهم الله بـ "الظالمين" في هذا السياق؟

الظلم هنا هو وضع الشيء في غير موضعه .وقد وضعوا الكفر في موضع الإيمان، والاستكبار في موضع التسليم .هذا هو أفحش أنواع الظلم .ولأنهم ظلموا أنفسهم بهذا الاختيار السيء، كانت العقوبة الربانية المباشرة والمستحقة: "إن الله لا يهدي القوم الظالمين" .هذه جملة خبرية، تعني سنة إلهية ثابتة: من يختر الظلم على الحق ويصر عليه، يسلب الله عنه هدايته وتوفيقه، ويمنع عنه نور الإيمان، ولا يخرجه من ظلمته إلى نور الهداية، لأن هذا هو ما اختاره لنفسه.

ثانياً: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل والمفاهيم من الآيتين

المحور الأول: كيف نقرأ الآيتين القراءة الواعية ونحولها إلى واقع حياة؟

أولا ً: التدبر الشعوري في "عبودية النبي ﷺ".

· تأمل في شفافية النبي: وهو يعلن أنه لا يدري ما يفعل به ولا بالناس .تخيل كم هذا الكلام مريح . إنه يقول لك: حتى أنا، بتكليفي وعصمتي، لا أملك لنفسي شيئًا أمام الله .هذا يجعلك تتعلق بالله وحده، وتوقن أن كل البشر سواسية في العبودية لله.

ثانياً: التدبر العقلي في "منطق الشاهد".

· تعلم فن الاستشهاد بالشهود: في دعوتك، استخدم شهادات المنصفين من غير المسلمين الذين يعترفون بصدق الإسلام وعظمة القرآن .هذا الأسلوب القرآني فعال جدًا في إقامة الحجة.

ثالثاً: التدبر السلوكي في "إن أتبع إلا ما يوحى إلي".

· قيادة حياتك بالوحي: اجعل الوحي) الكتاب والسنة (هو بوصلتك الوحيدة .قبل أن تقدم على أي شيء، اسأل نفسك: ما هو توجيه الوحي في هذا؟ إن كنت تتبع الوحي حقًا، فسترى كيف تستقيم حياتك.

المحور الثاني: المفاهيم وكيفية تحويلها إلى واقع حياة

.1مفهوم وحدة الرسالات السماوية.

· المفهوم: الإسلام ليس دينًا مبتدعًا، بل هو امتداد وتصحيح لدين الأنبياء جميعًا.
· في حياتنا العملية: هذا يعطيك ثقة ويقينًا بأنك على الصراط المستقيم الذي سار عليه الأنبياء من قبل .ويفتح ذهنك لدراسة قصصهم لاستخلاص العبر.

.2مفهوم عجز البشر عن علم الغيب المطلق.

· المفهوم: لا أحد يعلم الغيب إلا الله.
· في حياتنا العملية: حرر عقلك من الدجالين والمنجمين وقارئي الكف .لا تقلق على مستقبلك، بل اعمل ليومك واستودع غدك لله .هذا هو قمة التوكل والعمل.

.3مفهوم الاستكبار عن الحق هو سبب الحرمان من الهداية.

· المفهوم: "إن الله لا يهدي القوم الظالمين" بأنفسهم بالاستكبار.
· في حياتنا العملية: عود نفسك على التواضع للحق .إذا عرضت عليك حقيقة تكسر كبرياءك، فاخضع لها فورًا .لا تكن ممن "استكبروا" فحرموا .كن كالشاهد الذي "آمن".

المحور الثالث: الدروس العملية لتأسيس الشخصية الإيمانية

.1درس التواضع: تعلم من تواضع النبي ﷺ أن تقول لما لا تعلم: "الله أعلم".
.2درس الاتباع: حياتك كلها ينبغي أن تكون وفق الوحي، لا وفق الهوى والموضة.
.3درس الوضوح في الدعوة: مهمتك "النذارة المبينة"، أي البلاغ الواضح بالحسنى، لا إكراه الناس.
.4درس الإنصاف: كن منصفًا كشاهد بني إسرائيل، واعترف بالحق لأهله، ولو كانوا من غير صفك.

المحور الرابع: ما الذي يريده الله منا في هذه الآيتين؟

.1أن تتعرف إلى حقيقة النبي ﷺ، أنه بشر يوحى إليه، وليس إلهًا ولا مَلَكًا.
.2أن تتيقن أن مصدر الإسلام هو الوحي الإلهي، لا الظروف التاريخية أو العبقرية البشرية.
.3أن تحذر من داء الاستكبار، فهو الحاجز الأكبر بينك وبين الهداية.
.4أن تتدبر في شهادات المنصفين من أهل الكتاب، فهي مما يثبت قلبك ويزيدك يقينًا.

المحور الخامس: ما الذي تدعونا إليه الآيتان في حياتنا العملية؟

.1دعوة للتجرد في طلب الحق، ونبذ التعصب الأعمى.
.2دعوة لتقديم الوحي على كل ما سواه من العادات والتقاليد والأفكار البشرية.
.3دعوة للحوار الموضوعي مع الآخر، مستندًا إلى الشواهد والأدلة.
.4دعوة للخوف من "الخاتمة السيئة": أن تستكبر عن الحق فيأخذك الله أخذ عزيز مقتدر.

المحور السادس: ما الذي نتعلمه من الآيتين في ضوء سياقها التاريخي؟

نزلت الآيات و الاتهامات تنهال على النبي ﷺ، وقريش تطلب منه آيات حسية، وتتهمه بالجنون و السحر.

.1تعليم النبي ﷺ كيف يرد: لقد علمته الآية أن يتجرد من كل ادعاء: لست بدعًا، لا أعلم الغيب، بل أنا رسول فقط .هذا الرد كان يقطع الطريق على اتهاماتهم.
.2استدعاء شاهد من أهل الكتاب: كان في مكة من يسمع من أهل الكتاب، فإخبارهم أن هناك شاهدًا منهم على صدق النبي ﷺ، هو ضغط نفسي وفكري عليهم، وفضح لعنادهم.
.3ترسيخ سنة إلهية: "إن الله لا يهدي القوم الظالمين" كانت بشرى للمؤمنين بأن هؤلاء المستكبرين إلى زوال، وعلينا أن نركز على من يريد الهداية، لا على من أصر على الظلم.

المحور السابع: أهم المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية وتحويلها إلى طاقة بناء الإنسان والمجتمع و الحضارة الإسلامية

إن الغوص في هاتين الآيتين يمنحنا كنوزًا تحويلية لصناعة الإنسان والمجتمع والحضارة .لنستخرج هذه الكنوز معًا، ولنر كيف تبني المستويات الثلاثة معًا:

أولا ً: المفاهيم النفسية: صناعة الإنسان المتوازن الواثق

.1التوازن بين العزة والتواضع) من إعلان "ما كنت بدعًا" و"ما أدري"(:
· المفهوم: النبي ﷺ يجمع بين العزة بالحق) فقد بعثه الله (والتواضع المطلق لله) لا يعلم الغيب.(
· تحويله لطاقة بناء الإنسان: هذا المفهوم يربي فيك "الإنسان المتوازن" .فلا تطغيك قوتك أو

علمك فتتكبر، ولا يذللك جهلك أو ضعفك فتكتئب .أنت تعتز بدينك وقيمك، وتتواضع أمام خالقك وأمام الحقيقة .هذه هي الصحة النفسية الكاملة التي تصنع قائدًا حكيمًا وأبًا رحيمًا وداعيةً ناجحًا .الإ نسان المتوازن هو اللبنة الأولى لأي مجتمع سليم.

.2التحرر من وهم السيطرة) من "وما أنا إلا نذير مبين"(:

· المفهوم: إدراك أن دور الداعية أو المصلح هو البلاغ والإنذار، لا التحكم في النتائج ولا إكراه الناس على الهداية.

· تحويله لطاقة بناء الإنسان: هذا الإدراك يحررك من "القلق الوظيفي" و"همّ النتائج" .أنت تعمل بواجبك وتتوكل على الله في النتائج .هذا يحمي صحتك النفسية من الانهيار عند الفشل، ويجعلك مستمرًا في العطاء بلا يأس .أنت تبني الإنسان الحر المسؤول، الذي لا يحمّل نفسه ما لا يطيق، فيكون طاقته كاملة للبناء لا للاحتراق النفسي.

ثانياً: المفاهيم الفكرية: صناعة العقل الناقد الموضوعي

.1معايرة الأمور بميزان الوحي) من "إن أتبع إلا ما يوحى إلي"(:

· المفهوم: جعل الوحي هو المقياس والمعيار الوحيد لقبول الأفكار أو رفضها.

· تحويله لطاقة بناء المجتمع: عندما يسود هذا الفكر في المجتمع، يصبح لدينا "مجتمع الفرز الواعي" .مجتمع لا يتقبل أي فكرة أو عادة أو قانون إلا بعد عرضه على ميزان الوحي .هذا يوقف التبعية الفكرية للشرق والغرب، ويجعل المجتمع متماسكًا حول ثوابته، قادرًا على نقد الذات ونقد الآ خر بموضوعية .مجتمع بهذه العقلية لا يمكن غزوه فكريًا أو طمس هويته.

.2الموضوعية والإنصاف في تقييم الآخر) من "وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله"(:

· المفهوم: قبول الحق من أي مصدر كان، حتى لو كان من خصم أو مختلف معك في الدين أو العرق.

· تحويله لطاقة بناء المجتمع: تعميم هذا المفهوم يبني "مجتمع العدل والإنصاف" .في هذا المجتمع ، تُعطى الحقوق لأهلها، وتُقبل الشهادة من المنصفين، وتُهزم شبهة "نحن ومن ثم الآخر" التي تمزق المجتمعات .هذا المجتمع قوي بوحدته، منصف في أحكامه، جاذب لشعوب العالم، لأنه يقدم نموذجًا للعدالة التي تتجاوز العصبيات .وهذا هو أساس الاستقرار الاجتماعي والتعايش.

ثالثاً: المفاهيم التربوية: صناعة الجيل القيادي

.1التربية على التساؤل والمحاكمة العقلية) من "أرأيتم إن كان من عند الله"(:

· المفهوم: استخدام أسلوب الافتراض الجدلي والتفكير الناقد في التربية والتعليم، بدل التلقين الأ عمى.

· تحويله لطاقة بناء الحضارة: جيل يتربى على هذا الأسلوب القرآني في التفكير، هو جيل الإبداع والابتكار .إنه جيل لا يسلم بكل ما يسمع، بل يسأل ويفتش ويحلل ويستنتج .هذا الجيل هو الذي سيفجر طاقات العلوم التجريبية والإنسانية، وسيقود الأمة في ميادين البحث العلمي .الحضارة لا تبنى بالمقلدين، بل بالمفكرين النقاد الذين يملكهم يقين "كان من عند الله".

.2التربية على خطورة الكبر) من "فآمن واستكبرتم"(:

· المفهوم: ترسيخ أن الكبر والاستعلاء هو المهلكة الكبرى التي تحرم الإنسان من رؤية الحق واتباعه.

· تحويله لطاقة بناء الحضارة: جيل يتربى على نبذ الكبر، هو جيل المنهجية والمؤسسية .لأن الكبر يجعل الفرد يرفض النصيحة، والقائد يرفع شعار "أنا ومن بعدي الطوفان" .أما الجيل المتواضع، فيؤمن بالعمل الجماعي، ويستمع للرأي الآخر، ويقبل النقد .هذا الجيل هو الذي يبني مؤسسات قوية دائمة، لا تنهار بغياب قائدها .والمؤسسات القوية هي عماد الحضارة.

رابعاً: كيف تتكامل هذه المفاهيم لتوليد طاقة البناء الحضاري الشامل؟

انظر إلى الهندسة الإلهية في الآيتين، كيف تبني صرح الحضارة من القاعدة إلى القمة:

.1قاعدة البناء: الإنسان المتوازن الحر:

· أنت تبدأ ببناء "الإنسان" الذي يعرف قدر نفسه) لا يدعي البدعية ولا علم الغيب(، ويعرف مصدر قوته) الوحي(، ويعرف حدود مهمته) النذارة .(هذا الإنسان هو "المواطن العالمي" الصالح، القوي بأخلا قه، المتواضع بعلمه، العامل بجدية، المتوكل على ربه.

.2جدران البناء: المجتمع العادل المنصف:

· هؤلاء الأفراد حين يجتمعون، يكونهم "مجتمع الوحي والعدل" .مجتمع يحكمه ميزان واحد هو

الوحي، فيسوده الانسجام الفكري .وتسوده قيم الإنصاف وقبول شهادة الآخر، فيقوى نسيجه الا جتماعي .وتسوده الشفافية في الدعوة والبلاغ، فتقل فيه النزاعات .هذا مجتمع متماسك، منتج، آمن، يحترم إنسانية الإنسان.
.3قمة البناء: الحضارة الربانية العالمية:
· هذا المجتمع، بهذه المواصفات، سينتج حتمًا "حضارة التوحيد والتزكية" .حضارة علمية) لأنها تطرح الأسئلة: "أرأيتم"(، حضارة أخلاقية) لأنها تربي على "فآمن" لا "استكبرتم"(، حضارة عالمية) لأنها تفتح صدرها لمنصف من بني إسرائيل ومن أي جنس ولون .(إنها الحضارة التي قدمت للعالم نموذجًا للإنسان الذي لا يدعي الألوهية، وللمجتمع الذي لا يظلم، وللدولة التي لا تستكبر .هذه هي رسالة الإس لام الحضارية التي تنبثق من رحم هذا التوجيه الرباني.

الختام: رسالة إلى قلبك

أيها الإنسان، يا من خلقك الله وما خلق الجن والإنس إلا ليعبدوه، اسمع آخر نداء في هذا المشهد . لقد رأيت كيف يقف سيد البشر ﷺ، في أسمى تجليات العبودية، يعلنها مدوية في أرجاء الكون: "لا أعلم ...لا أتبع إلا ما يوحى إلي ...ما أنا إلا نذير" .إنه يخلع على عتبة الألوهية كل لبوس البشرية، ليسلمك محض الوحي، صافيًا نقيًا من كل شائبة .ألا تحب نبيك أكثر بعد هذا الموقف؟
ثم تسمع التحدي: "أرأيتم إن كان من عند الله" .قف مع نفسك الآن .أجب عن هذا السؤال .إن كان هذا القرآن من عند الله حقًا، فما هو موقفك منه؟ أين أنت من خارطة الإيمان والاستكبار؟ أأنت ممن آمن كشاهد بني إسرائيل، أم ممن استكبروا فحرمهم الله الهداية؟
أخرج من ظلال هذه الآيات، وقد نفضت عن كاهلك غبار الكبر، ولبست ثوب التواضع لله .لا تقل لشيء لا تعلمه: أنا أعلم .لا ترفض حقًا لأنه صادم لهواك .لا تحتقر شاهدًا لأنه من غير ديارك .كن حرًا بالله، عبدًا لله، متبعًا لوحيه، منذرًا بالحسنى، مبشرًا بالرحمة .حينها، ستكون أنت ذلك "البرهان الحي" على أن القرآن من عند الله، بسلوكك قبل كلامك، وستكون جديرًا بأن يصدق فيك وعد الغفور الرحيم.
القسم الثالث
المبحث الأول
ها نحن نصل إلى مشهد جديد من مشاهد الصراع بين الإيمان والكفر .مشهد لا يعتمد فيه المشركون على دليل، بل يلجأون فيه إلى منطق الطبقة والجاه، ويحتكمون إلى أهوائهم الاجتماعية .إنها الحجة الواهية التي يرددها كل من في قلبه مرض عبر التاريخ .ثم يأتي الرد من السماء، ليس بتفنيد تلك الحجة فقط، بل بكشف النقاب عن المصدر الواحد والمتكامل لكتب الله، وبيان وظيفتها وغايتها .هاتان الآيتان لا تردان على شبهة، بل تبنيان يقينًا راسخًا بوحدة الحق، وتمدّانك بمعيار واضح للتفريق بين منطق الإيمان ومنطق الكفر .فاستعد، وافتح عقلك وقلبك، ولننصت معًا للقرآن وهو يكشف زيف الباطل ويثبت قواعد الحق:} وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ (11) وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ.{(12)

المقدمة: من عناد الكبر إلى منطق الطبقية

تأمل معي هذا السياق العجيب .بالأمس القريب، كان المشركون يتهمون النبي ﷺ بالسحر والافتراء، مواجهين الحق بحجج واهية .واليوم، وبعد أن فشلت حججهم أمام منطق القرآن، يلجأون إلى أسلوب آخر .إنهم لا ينظرون إلى مضمون الرسالة، بل إلى أتباعها .يقولون: "لو كان هذا الدين خيرًا، ما سبقنا إليه هؤلاء الفقراء والعبيد والضعفاء!" .إنها حجة الأثرياء والمستكبرين عبر التاريخ، الذين يظنون أن فضل الله يُستحق بالجاه والمال، وأن الحقائق توزن بموازين الدنيا .ولكن القرآن الفريد، لا يترك هذه الحجة تمر، بل يفضح ما تخفيه صدورهم من اعتراف بالحق، ويكشف أنهم لما عجزوا عن الاهتداء به ، لجأوا إلى اتهامه بأنه "إفك قديم" .ثم يأتي الجواب في الآية الثانية، ليذكرهم بالكتاب الذي سبقه، كتاب موسى، ويقرر أن هذا القرآن مصدق لما جاء به، نزل بلسان عربي مبين، له مهمة مزدوجة: إنذار الظالمين، وبشرى المحسنين .إنها آيتان تعيدان تعريف "الخيرية"، وتبنيان رؤية متكاملة لتاريخ الوحي وغايته.

بيان تفسير الآيتين والمعنى العام لهما أولا ً

دعني أضع بين يديك المعنى الجملي لهاتين الآيتين، قبل أن نغوص معًا في أغوار تحليلهما.
في الآية الحادية عشرة، يخبرنا الله تعالى عن مقالة قالها صناديد الكفر وضعفاء النفوس من المشركين، موجّهة للمؤمنين المستضعفين كبلال وعمار وصهيب رضي الله عنهم .قالوا: لو كان هذا الدين الذي اتبعه هؤلاء خيرًا حقًا، ما سبقونا إليه، أي ما كانوا هم أسبق منا إليه .نحن الأغنياء و السادة، فنحن أحق به لو كان خيرًا .هذا هو منطق الجاه والمال .ثم يفضحهم الله، ويخبر أنهم - وقد عجزوا عن الاهتداء بالقرآن - سيلجأون إلى عادتهم القديمة، فيقولون: هذا الذي تتلوه علينا كذب قديم مأثور عن الأولين.
ثم تأتي الآية الثانية لترد على هذه الفرية، وتذكرهم بالحق التاريخي .تقول لهم: ومن قبل هذا القرآن، كان هناك كتاب موسى، وهو التوراة، الذي أنزله الله إمامًا للناس وقدوة يقتدون بها، ورحمة لهم .وهذا القرآن كتاب مصدق لما سبقه من الكتب، أنزل بلسان عربي فصيح، لا بلسان أعجمي، ليكون وظيفته ا لأساسية إنذار الظالمين من عذاب الله، وفي الوقت نفسه، بشرى للمحسنين الذين أطاعوا ربهم وأحسنوا في عبادتهم ومعاملاتهم .إنها ثنائية الإنذار والبشرى التي يقوم عليها منهج الدعوة القرآني.

أولا ً: تحليل الآيتين الكريمتين

الأمر الأول: تحليل الآية الحادية عشرة:} وَقَالَ الذينَ كفَرُوا لِلذينَ آمَنُوا لَوْ كانَ خَيْرًا مّا سَبَقُونا إلَيْهِ ۚ وَإذْ لمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولونَ هٰذَا إفْكٌ قديمٌ{

المحور الأول: تحليل منطق الكافرين} لَوْ كانَ خَيْرًا مّا سَبَقُونا إلَيْهِ{

س1: ما هي طبيعة هذه الحجة التي ساقها المشركون؟

انظر معي إلى هذا المنطق المقلوب .هم لم يقولوا: "نحن لم نهتد به لأنه ليس خيرًا"، بل قالوا: "لو كان خيرًا ما سبقنا إليه هؤلاء الضعفاء" .إنهم لا يحاكمون الحق إلى ذاته أو إلى دليله، بل يحاكمونه إلى "أتباعه"! هذه مغالطة منطقية كبرى يسميها العلماء "قياس الشأن على مقام صاحبه" .إنهم يظنون أنهم، بما لهم من جاه ومال، هم معيار الحق والباطل .وهذا المنطق يكشف عن مرض عضال هو "الا ستكبار" و"احتقار الآخرين".

س2: لماذا كان هذا القول تحديدًا موقفًا مكشوفًا للمشركين؟

لأنهم بهذا القول يعترفون ضمنًا، أو يكشفون عن عقلية، أن الإيمان بالله لا ينبع من قناعة عقلية، بل هو "وجاهة اجتماعية" يجب أن يكون لهم قصب السبق فيها .إنهم يريدون دينًا يصنعونه على مقاس جاههم، يأتون إليه في مواكب العظمة .ولكن شاء الله أن يفضحهم، فجعل أتباع هذا الدين الأولين من البسطاء والفقراء والمستضعفين، الذين أقبلوا عليه بقلوب نقية، لا يحملون كبرًا ولا عجبًا .فكان إيمانهم هو الصفعة لكل مستكبر، والدليل على أن هذا الدين هو دين الفطرة التي لا يحجبها ركام الجاه والثروة.

المحور الثاني: تحليل المعيار الإلهي للخيرية

س1: أين يكمن الخطأ في موازينهم للخيرية؟

هم قاسوا الخيرية بمقياس "الأسبقية الزمنية" المرتبطة بـ "المكانة الاجتماعية" .وهذا خطأ مزدوج:

.1الخيرية ليست بالأسبقية وحدها: فكم من سابق إلى باطل، وكم من لاحق إلى حق.
.2الخيرية ليست بالمال والجاه: فالله قد يبتلي الغني بالغنى، ويرفع الفقير بالإيمان .المقياس القرآني للخيرية هو التقوى:} إنّ أكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أتقاكُمْ .{لقد سبقهم بلال وصهيب لأنهم هم الأخيار عند الله، لا لأنهم فقراء .فالفقر لم يكن سببًا، بل التقوى.

س2: كيف تبني هذه الآية في نفسك المقياس الصحيح للتفاضل بين الناس؟

هذه الآية تجعلك تقف مع نفسك وقفة جادة: هل تزن الناس بموازين القرآن؟ هل تعظم الشخص

لدينه وتقواه، أم لماله ومنصبه؟ إنها تقتلع من قلبك جذور "عقدة النقص" أمام الأغنياء، و"عقدة الكبرياء" على الفقراء .في ميزان الله، لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى .فانظر أين موقعك في هذا الميزان.

المحور الثالث: تحليل رد فعلهم عند العجز} وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ{

س1: ما دلالة أداة الشرط "وإذ" هنا؟

"وإذ" هنا تعني "ولما" أو "وحين" .وهي تشير إلى أن هذه هي عاقبة أمرهم .حين تبين لهم أنهم لم يستطيعوا أن يهتدوا بالقرآن، أي عجزوا عن فهمه أو عصمهم كبرهم عن اتباعه، فإنهم - بدل أن يعترفوا بعجزهم - سيلجأون إلى "إسقاط نفسي" على الحق، فيصفونه بأنه "إفك قديم" .إنها آلية دفاعية نفسية: الفاشل بدل أن يقر بفشله، يصف النجاح بأنه غش! هذا هو التفسير القرآني العميق لسلوكهم.

س2: لماذا اختاروا وصف "إفك قديم" تحديدًا؟

وصفوه بأنه "إفك"، أي كذب مفترى .و"قديم"، أي مأثور عن الأولين، كأساطيرهم .هذا الوصف فيه أمران:

· الطعن في الصدق: إنه كذب) إفك.(
· الطعن في الجدّة: إنه ليس جديدًا، بل مسروق من قصص السابقين.
وهذا يريك كيف أنهم أرادوا قتل الرسالة بكل الطرق: هي ليست من عند الله، وليست أصيلة حتى على مستوى البشر! إنه جهد مضن لتبرير الكفر.

الأمر الثاني: تحليل الآية الثانية عشرة:} وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ{

هنا يأتي الرد الإلهي المفحم .بدل أن يجادلهم في حجتهم الواهية، يذكرهم بالحقيقة التاريخية و الدينية التي يعرفونها ويعترفون بها .تعال نغص في أعماق هذا الرد.

المحور الأول: تحليل دلالة ذكر كتاب موسى} وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً{

س1: لماذا استُدعي كتاب موسى عليه السلام شاهدًا هنا؟

العرب، وخاصة قريشًا، كانوا يعترفون بالتوراة كتابًا منزلا ً من عند الله .وكانوا يسألون اليهود و النصارى عن أخبار الأنبياء .فذكر كتاب موسى هنا هو استدعاء لشاهد يعترفون به .كأنه يقول لهم: أنتم تعترفون بأن كتاب موسى هو إمام ورحمة من الله، وهذا القرآن الذي جاءكم هو على نفس النسق، مصدقًا له .فلماذا تقبلون ذاك وتكفرون بهذا، إلا إن كان الحسد والكبر هو المانع؟

س2: ما معنى وصف التوراة بـ "إمامًا ورحمة"؟

"إمامًا" أي قدوة وقائدًا للناس يقتدون به في دينهم ودنياهم .و"رحمة" أي نعمة عظيمة ورحمة من الله ببني إسرائيل، فيها سعادتهم وهداهم .هذا الوصف يذكرهم بأن فعل الله مع خلقه هو إرسال الكتب "أئمة ورحمة"، وهذا هو شأنه مع القرآن أيضًا.

المحور الثاني: تحليل صلة هذا القرآن بالكتب السابقة} وَهَٰذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ{

س1: ما معنى كونه "مصدقًا"؟

"مصدق" أي يصدق ما جاء في الكتب السابقة من أصول التوحيد والوعد والوعيد وأخبار الأنبياء، ويشهد بأنها حق من عند الله .فهو ليس كتابًا منقطعًا عن ركب الرسالات، بل هو الحلقة الأخيرة في سلسلة الوحي الإلهي .وهذا يقطع الطريق على دعواهم أنه "إفك قديم" أو أنه مسروق .كونه مصدقًا للتوراة لا يعني أنه نسخة عنها، بل هو مهيمن عليها، يصدق ما فيها من حق، ويكشف ما حُرّف منها.

س2: كيف يبني هذا المفهوم جسور الاحترام بين أتباع الديانات؟

القرآن يعلمنا أن نحترم الكتب السماوية السابقة، ونؤمن بأن أصلها من عند الله .هذا يبني عقلية منفتحة تحاور الآخرين على أساس "نحن وأنتم في أصل مشترك"، ثم ندعوهم إلى المهيمن وهو القرآن .إنها استراتيجية قرآنية في الحوار، تجمع ولا تفرق، ثم ترتقي بالمخاطب إلى الكمال.

المحور الثالث: تحليل دلالة نزوله بلسان عربي} لِّسَانًا عَرَبِيًّا{

س1: لماذا خُصّ كونه "عربيًا" بالذكر في هذا المقام؟

هذا رد على شبهة أخرى كانوا يثيرونها: لو كان هذا الكتاب من عند الله، لنزل بلسان أعجمي أو بلغة الملائكة! فيأتي الرد: إنه نزل بلسان عربي مبين، لتفقهوه وتتدبروه، أنتم يا معشر العرب .فهذا منتهى رحمة الله بكم، إذ أرسل إليكم رسولا ً منكم، وكتابًا بلسانكم .فإن كفرتم به، فليس العيب فيه، بل فيكم أنتم.

س2: ما هي الرسالة الفكرية من التأكيد على عربية القرآن؟

إنها تؤكد عالمية الرسالة .فمع أن القرآن نزل بلسان عربي، إلا أن رسالته للعالمين .ولكن جعل سبحانه لغته عربية، لأن الأمة التي خوطبت به أولا ً هي أمة العرب، والتحدي وقع بلسانهم .الرسالة هنا: الوحي الإلهي ليس طلاسم، بل هو كلام بليغ واضح، يفهمه الناس، ويعجزون عن الإتيان بمثله.

المحور الرابع: تحليل وظيفة القرآن:} لِيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ{

س1: لماذا جمع القرآن بين الإنذار والبشرى كوظيفتين أساسيتين؟

هذا هو منهج التوازن القرآني في تربية النفوس ."لينذر الذين ظلموا" بالعذاب والخسران، ليخافوا فينزجروا عن ظلمهم .و"بشرى للمحسنين" الذين أحسنوا في عبادة الله ومعاملة خلقه، فيفرحوا ويطمئنوا .والمحسن أعلى درجة من المؤمن، لأنه جمع بين الإيمان والإتقان والإخلاص.

· الوظيفة الأولى) الإنذار(: تخويف للعصاة والظالمين.
· الوظيفة الثانية) البشرى(: تطمين للمحسنين، ودفع لهم لمزيد من الإحسان.

س2: كيف نجعل هذه الآية منهجًا في تعاملنا مع أنفسنا ومع الآخرين؟

في تربية نفسك، يجب أن تخوفها بالإنذار، وتطمعها في البشرى .لا تكن آمنًا كل الأمن من مكر الله)فتكون من الظالمين(، ولا تكن آيسًا من رحمته) فتكون من القانطين .(وازن بين الخوف والرجاء . وفي تعاملك مع الآخرين، كما تدعوهم، لا تكن جلا ّدًا بالإنذار فقط، ولا منومًا بالبشرى فقط .بل قدم الحق كاملا ً كما هو .هذا هو المنهج النبوي.

ثانياً: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل والمفاهيم من الآيتين

المحور الأول: كيف نقرأ الآيتين القراءة الواعية ونحولها إلى واقع حياة؟

أولا ً: التدبر الاجتماعي في "منطق السادة".

· نقد الظواهر الاجتماعية: لاحظ كيف يرفض الأغنياء والمترفون الحق لأنه أتاهم على لسان الضعفاء . وفي حياتنا، كم من حق رُفض لأن قائله ليس من علية القوم؟ تعلم أن تنظر إلى "ماذا يُقال" لا "من يقوله".

ثانياً: التدبر التاريخي في وحدة الرسالات.

· تتبع خيط الوحي: تأمل كيف أن القرآن يربطك بموسى وعيسى وكل الأنبياء .إيمانك ليس منقطعًا عن التاريخ، بل هو امتداد لركب الإيمان .هذا يعطيك شعورًا بالانتماء لأعظم أمة عبر التاريخ: أمة الأ نبياء.

ثالثاً: التدبر العملي في "لينذر الذين ظلموا".

· مراقبة النفس: كلما قرأت آية إنذار، اسأل نفسك: هل أنا من الظالمين؟ هل في قلبي ظلم لنفسي أو لغيري؟ ليكن القرآن مرآتك.

المحور الثاني: المفاهيم وكيفية تحويلها إلى واقع حياة

.1مفهوم لا طبقية في الإسلام.

· المفهوم: معيار التفاضل هو التقوى، لا المال ولا النسب.
· في حياتنا العملية: قاوم ثقافة "البرستيج" والتمييز الطبقي .عامل الناس جميعًا باحترام، وانظر إليهم بنظرة الله.

.2مفهوم القرآن مهيمن وشاهد.

· المفهوم: القرآن هو الكتاب الذي يصدق ما سبقه ويهيمن عليه.
· في حياتنا العملية: لا تحتاج لدراسة كل الكتب السابقة بتفاصيلها، فالقرآن أعطاك الزبدة والحق . اجعله دستورك الوحيد، ففيه الكفاية والهدى.

.3مفهوم المنهج المتوازن: إنذار وبشرى.

· المفهوم: الدين يقوم على التوازن بين الخوف والرجاء.
· في حياتنا العملية: عندما تطيع، لا تدل بطاعتك، بل خف ألا تقبل، وارجُ قبولها .وعندما تذنب، بادر بالتوبة، وارجُ عفو الله، وخف من عقابه .لا تيأس ولا تأمن.

المحور الثالث: الدروس العملية لتأسيس الشخصية الإيمانية

.1درس تحرير العقل من سلطة الجاه والمال: لا تجعل غنى أحد أو فقره سببًا لتصديقه أو تكذيبه.
.2درس الاعتزاز بالانتماء لأمة الوحي: أنت جزء من أمة الأنبياء، فافتخر بذلك ولا تشعر بالغربة.
.3درس الشهادة على الأمم: القرآن جعلك شاهدًا .كن شاهدًا على الناس بأخلاقك وعلمك، مبشرًا منذرًا.
.4درس الإحسان: اسع لأن تكون من "المحسنين" الذين لهم البشرى .الإحسان هو أن تعبد الله كأنك تراه.

المحور الرابع: ما الذي يريده الله منا في هذه الآيتين؟

.1يريدنا أن نتجرد من المقاييس المادية عند تقييم الحقائق والناس.
.2يريدنا أن نوقن بوحدة المصدر الإلهي لكل الرسالات، فنكون أقوياء بهذا اليقين.
.3يريدنا أن نعيش التوازن النفسي والعاطفي بين الخوف والرجاء.
.4يريدنا أن نكون "محسنين" لا مجرد "مؤمنين"، فنرتقي إلى أعلى المراتب.

المحور الخامس: ما الذي تدعونا إليه الآيتان في حياتنا العملية؟

.1مراجعة الذات: هل في نفسي شيء من كبر قريش؟ أحتقر من هم أقل مني مالا ً أو نسبًا؟
.2دعوة لدعم المستضعفين: هم سابقونا إلى الخير .كن معهم، فهم أقرب إلى الفطرة.
.3دعوة للتزود بالقرآن: فهو الكتاب الجامع المانع، المصدق لما بين يديه.
.4دعوة للدعوة المتوازنة: بشر ولا تنفر، أنذر ولا تيأس.

المحور السادس: ما الذي نتعلمه من الآيتين في ضوء سياقها التاريخي؟

كانت مقالة "لو كان خيرًا ما سبقونا إليه" تجري على ألسنة صناديد قريش كأبي جهل والنضر بن الحارث، حين رأوا فقراء المسلمين كبلال وعمار وصهيب.

.1تعليم النبي والمؤمنين الصبر: كان التقليل من شأنهم مؤلمًا، فجاءت الآية لتبين أن هذا هو ديدن الكفار دائمًا، فلا جديد.

.2بيان أن الإيمان ليس حكرًا على الأغنياء: كثيرًا ما كان أتباع الرسل من الفقراء أولا ً، لأن قلوبهم أصفى، وليس لديهم ما يخسرونه من جاه زائف.
.3إقامة الحجة بذكر كتاب موسى: تذكيرهم بالتوراة التي يعرفونها ويقرون بها، هو توبيخ لهم على عنادهم، لأنهم لو سألوا أحبار اليهود لأخبروهم بصدق النبي ﷺ.

المحور السابع: أهم المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية وتحويلها إلى طاقة بناء الإنسان والمجتمع و الحضارة الإسلامية

هنا نصل إلى الذروة في تحويل هذه المعاني إلى محركات للنهضة .هذه الآيات لا تصف حدثًا تاريخيًا، بل تمدنا بمعادلات لبناء المستقبل .لنستخرج هذه المعادلات، ولنرَ كيف تبني الإنسان والمجتمع و الحضارة معًا:

أولا ً: المفاهيم النفسية: صناعة الإنسان القوي المتوازن

.1تحرير تقدير الذات من تقييم الآخرين) من "لو كان خيرًا ما سبقونا إليه"(:
· المفهوم: قيمتك الحقيقية لا يحددها تقييم الناس لك، ولا مرتبتك الاجتماعية، بل مكانتك عند الله.
· تحويله لطاقة بناء الإنسان: هذا المفهوم يحرر الإنسان من "عقدة النقص" و"عقدة الاستعلاء" معًا . الفقير المؤمن يعلم أنه قد يكون أكرم عند الله من الغني الكافر، فيرتاح، ولا يحس بالدونية .والغني المؤمن يعلم أن غناه لا يمنحه فضلا ً على الفقير، فيتواضع .هذا التحرر يصنع "إنسانًا متوازنًا نفسيًا" ، لا تمزقه الضغائن الطبقية، ولا يستنزف طاقته في الحسد والغيرة .طاقته موجهة للإبداع والعمل الصالح، لأنه يتطلع إلى ميزان السماء لا ميزان الأرض.
.2التوازن العاطفي) من "لينذر" و"بشرى"(:
· المفهوم: النفس البشرية تحتاج إلى جناحي الخوف والرجاء لتطير في سماء الكمال.
· تحويله لطاقة بناء الإنسان: إنسان يعيش على الإنذار فقط، يصبح آلة يأس مكتئبة .وإنسان يعيش على البشرى فقط، يصبح مخلوقًا مائعًا آمنًا لمكر الله .أما الجمع بينهما، فيصنع "الإنسان السوي" الذي يعمل ويجتهد ويسابق إلى الخيرات) رجاءً في البشرى(، ويحاذر ويبتعد عن المعاصي ويتوب)خوفًا من الإنذار .(هذا الإنسان هو قلب الأمة النابض، القوي بإيمانه، المتوازن بانفعالاته، المثابر في عمله.

ثانيا: المفاهيم الفكرية: صناعة العقل الناقد الموضوعي

.1نقد المغالطات المنطقية) من كشف حجة "لو كان خيرًا"(:
· المفهوم: تعليم الأمة كيف تكتشف المغالطات المنطقية، مثل مغالطة ربط الحق بالمكانة الا جتماعية.
· تحويله لطاقة بناء المجتمع: مجتمع يتربى أفراده على هذا النقد، يصبح "مجتمعًا لا تنطلي عليه الدعايات" .فلا يمكن لأي نظام أو فئة أن تسوق باطلا ً تحت شعار أن "علية القوم" يؤمنون به .الأ فراد يتعلمون أن يسألوا: ما هو الدليل على صحة الفكرة بذاتها؟ لا من يؤمن بها؟ هذه العقلية الناقدة تبني مجتمعًا علميًا، قويًا في مواجهة الشائعات والبدع والأفكار المنحرفة.
.2فقه وحدة المعرفة الإلهية) من "وهذا كتاب مصدق"(:
· المفهوم: الإيمان بأن الحق واحد، وأن رسالات الله تصدق بعضها بعضًا، ولا تتناقض في أصولها.
· تحويله لطاقة بناء المجتمع: هذا الفقه يصنع "مجتمع التكامل المعرفي" .فهو لا يلغي التراث السابق كليًا، ولا يتعصب لكل ما هو جديد، بل يزن بميزان "التصديق"؛ فيأخذ الحق من أي مصدر)حتى من كتاب موسى(، ويرفض الباطل .هذا يبني مجتمعًا منفتحًا على المعرفة الإنسانية، ولكنه محصن بمعيار قرآني، فينتج معرفة إنسانية متوازنة.

ثالثا: المفاهيم التربوية: صناعة الجيل القيادي

.1التربية على مبدأ "لا طبقية ولا عنصرية") من إبطال منطق "سبقونا"(:
· المفهوم: غرس أن التفاضل بالعلم والتقوى والعمل، لا بالمال والجاه والنسب.
· تحويله لطاقة بناء الحضارة: جيل يتربى على هذا المبدأ، هو جيل الكفاءات .في هذه الحضارة، يرتفع الإنسان بقدر ما يقدم من علم وعمل، لا بقدر ما يملك من مال أو نسب .هذه الحضارة تستفيد من كل طاقات أبنائها، فلا يُهمل فقير لفقره، ولا يُقدم غني لغناه .هذا هو سر قوة الحضارة الإسلامية قديمًا، حيث قاد الأمة بلال وسلمان وصهيب إلى جانب أبي بكر وعمر .هذا الجيل هو الذي يبني

حضارة العدل والإنصاف.
.2التربية على وظيفة الإنسان الرسالية) من "لينذر" و"بشرى"(:
· المفهوم: بناء شخصية الطالب على أنه صاحب رسالة) الإنذار والبشرى(، لا مجرد مستقبل سلبي.
· تحويله لطاقة بناء الحضارة: جيل يتربى على أنه "منذر" و"مبشر"، هو جيل الدعاة والقادة .كل فرد يشعر بمسؤوليته عن إصلاح مجتمعه وإنقاذه من الظلم .الطبيب دوره إنذار وبشرى، المهندس دوره إنذار وبشرى، المعلم دوره إنذار وبشرى .الكل يعمل بوعي رسالي، مما يحول المجتمع كله إلى خلية نحل عاملة لله، تبني الحضارة وتحميها.

رابعاً: كيف تتكامل هذه المفاهيم لتوليد طاقة البناء الحضاري الشامل؟

انظر إلى الصرح الحضاري العظيم الذي تشيده هاتان الآيتان:

.1قاعدة الصرح: الإنسان المتوازن الكريم:
· الآيات تنتج إنسانًا لا تهزّه كلمة "حقير" أو "فقير" من أحد، لأنه يعرف قدره عند الله) تحرير الذات .(وهو إنسان لا يحرقه الخوف ولا يطغيه الأمن، بل يمشي بينهما متوازنًا) التوازن العاطفي .(هذا هو الإنسان الصالح للحضارة.
.2جدران الصرح: المجتمع العادل الناقد:
· هؤلاء الأفراد حين يجتمعون، يشكلون مجتمعًا يرفض الأباطيل مهما كان مصدرها) العقل الناقد(، ويستفيد من كل علم نافع مهما كان مصدره) فقه التصديق .(هذا مجتمع منتج، ناقد، منصف، متماسك ضد الاختراق الفكري والتفكك الاجتماعي.
.3قمة الصرح: الحضارة الإنسانية الشاهدة:
· هذا المجتمع، الذي يقوم أفراده على الكفاءة) لا طبقية(، ويعملون بروح رسالية) منذرون ومبشرون(، يبني حتمًا "حضارة الشهادة على الناس" .حضارة تنهض بالعلم لأن أفرادها أكفاء، وتزدهر با لأخلاق لأن أفرادها متوازنون، وتنتشر في العالم لأن أفرادها رساليون .هذه هي الحضارة التي أرادها الله بهذا الدين، والتي يجب أن نستلهمها من كتابه المجيد.

الختام: رسالة إلى قلبك

أيها العزيز، يا من حملك الله أمانة هذا الدين، توقف قليلا ً، وانظر إلى قلبك .هل تجد فيه شيئًا من روح "لو كان خيرًا ما سبقونا إليه"؟ هل تسللت إليك نظرة استعلاء على من هم أقل منك مالا ً أو نسبًا، أو نظرة احتقار لمن سبقك إلى الخير من البسطاء؟ طهر قلبك يا عبد الله، ففي الجنة ينادي منادٍ: "أين الفقراء؟ أين المساكين؟" .أولئك هم ملوك الجنة.
ثم انظر إلى حياتك، أتعيشها بجناح واحد من الخوف أو الرجاء؟ القرآن لم ينزله الله ليجعلك تعيش في رعب دائم ولا في أمن زائف، بل جعله إنذارًا وبشرى لتطير بجناحين قويين إلى ربك .اختر لنفسك منزلة "المحسنين" الذين يبشرهم ربهم، فتعبد الله كأنك تراه .اجعل من هذا القرآن إمامك ورحمتك، كما كانت التوراة إمامًا ورحمة لمن قبلنا .وآمن أنه كتاب مصدق لكل حق، نزل بلسانك ليفهمه قلبك، وتذكر دائمًا أنك أنت المخاطب به، لتنذر نفسك أولا ً، وتبشرها برحمة الله .عش بهذه ا لآيات، وسر في دروب الحياة وأنت تحمل رسالة "الإنذار والبشرى"، تكن عبدًا صالحًا، وأمة خير أمة أخرجت للناس.
المبحث الثاني
ها نحن نصل إلى شاطئ الطمأنينة. بعد تلك المشاهد الموجعة من تخرصات الكفار، واتهاماتهم الباطلة، واستكبارهم عن الحق، واعتزازهم بالجاه والمال، يأتي النداء الرباني ليفتح لك باب الأمل. إنها الآيتان اللتان تكشفان لك عن سر السعادة الأبدية، وعن وصفةالأمان النفسي التي لا يجدها الإنسان المعاصر في كل فلسفات الأرض. بعد أن رأيت صورة المعرضين وظلمهم لأنفسهم، تأمل الآن صورة المؤمنين الصادقين. استعد، وافتح قلبك، وانسَ هموم الدنيا لحظة، واستمع إلى حكم الله فيمن صدقوا وآمنوا: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (13) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (14)}.

المقدمة: من ضجيج الباطل إلى سكينة الحق

تأمل معي موقع هاتين الآيتين في سياق السورة. لقد مررنا بكلام المشركين: "هذا سحر مبين"، "افتراه"، "لو كان خيرًا ما سبقونا إليه"، ومررنا بمنطقهم الأعوج في تقييم الحق. والآن، كأن القرآن

يقول: هل تريدون أن تروا الصورة النقيضة؟ هؤلاء هم الكفار وتلك حالهم، وهؤلاء هم المؤمنون الصادقون وهذا هو جزاؤهم. إنه قانون الوضوح القرآني: إظهار الحق والباطل جنبًا إلى جنب، ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة. هاتان الآيتان ليستا مجرد وصف للمؤمنين، بل هما "إعلان انتصار" للحق على الباطل، وللاستقامة على الفوضى، وللإيمان على الكفر. إنهما يخبرانك أن الصراع مهما طال، فإن العاقبة لهذا الفريق الذي قال كلمة التوحيد وصدقها بالعمل. إنها دعوة مفتوحة لك لتكون منهم.

بيان تفسير الآيتين والمعنى العام لهما أولا ً

ما هو المعنى الذي تريد هاتان الآيتان الكريمتان أن تزرعانه في أعماق روحك؟
يخبرنا الله تعالى في الآية الثالثة عشرة عن صنف من الناس قد فازوا فوزًا عظيمًا. إنهم "الذين قالوا ربنا الله". لم يقولوا هذا بألسنتهم فقط، بل قالوها بقلوبهم، مقرين بوحدانية الله، ومعترفين بأن لا رب لهم سواه. ولكن هل توقفوا عند القول؟ كلا، بل جاء حرف العطف "ثم" ليصنع فارقًا هائلا ً: {ثمّ اسْتَقامُوا}. أي بعد هذا الإقرار، ساروا على الجادة، وثبتوا على الطريقة المثلى، والتزموا شرع الله في كل شؤون حياتهم، غير ملتفتين إلى الشهوات ولا متأثرين بالشبهات. فما هو جزاؤهم؟ إنه جزاء عاجل وآجل: {فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ} مما يستقبلونه من أهوال الحياة والآخرة، {وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} على ما فاتهم من أمور الدنيا، لأنهم باعوا الفاني بالباقي.
ثم تأتي الآية الثانية لتزيد هذا الجزاء تفصيلا ً وتشريفًا: {أُولَئِكَ} الذين هذا شأنهم العالي، {أَصْحَابُ الجَنَّةِ} الملازمون لها، لا مجرد داخليها، {خَالِدِينَ فِيهَا} أبدًا بلا نهاية ولا فناء، {جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} وهذا الجزاء العظيم هو ثمرة طبيعية لأعمالهم الصالحة، بفضل من الله ورحمة، لا بمجرد أمانيهم. هذا هو طريق الخلاص من كل قلق، وهذه هي السعادة التي تبحث عنها البشرية!

أولا ً: تحليل الآيتين الكريمتين

الأمر الأول: تحليل الآية الثالثة عشرة: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}

المحور الأول: تحليل ركن القول {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ}

س1: لماذا بدأ وصف الفائزين ب- "القول"؟

"إن الذين قالوا ربنا الله" يبرز أهمية النطق بالتوحيد. فالقول هو الإعلان، وهو العلامة الفارقة بين الكفر والإيمان. إنهم لم يكونوا ليكونوا مؤمنين بلا هذا الإعلان. ولكن، لاحظ أن وصفهم ب- "الذين قالوا ربنا الله" يحمل معنى أعظم من مجرد التلفظ بالكلمة. إنه يشير إلى أنهم جعلوا هذا المعنى شعارهم ودثارهم، وعاشوا به معلنين أنه لا رب لهم إلا الله، يوجهون له الدعاء، ويصرفون له العبادة.

س2: ما سر إضافة "رب" إلى "نا" في "ربنا"؟

هذه الإضافة هي سر الحلاوة في الإيمان. "ربنا" وليس "رب الناس" أو "رب العالمين" فقط. إنها إضافة تشريف وتقريب، فيها معنى الاختصاص والولاء والحب. هم لم يقولوا "الله" فقط، بل قالوا "ربنا"، أي: هو خالقنا، مالكنا، مدبر أمورنا، مربينا بنعمه. هذا الشعور بالربوبية الخاصة هو الذي يملأ القلب أنسًا وطمأنينة. فهل تشعر بهذا القرب عندما تقول "ربنا"؟

المحور الثاني: تحليل ركن الاستقامة {ثمّ اسْتَقامُوا}

س1: ما هو المعنى العميق ل- "ثم" في هذا الموضع؟

"ثم" هنا ليست لمجرد العطف الزمني، بل هي للدلالة على عظمة ما بعدها، والتراخي في الرتبة و المشقة. كأنه يقول: لقد قالوا كلمة التوحيد، ثم جاءت الأعمال الشاقة التي تثبتها! إن الاستقامة أعلى وأشق من مجرد القول. القول سهل، ولكن الثبات على مقتضاه هو الامتحان الحقيقي. هذه "ثم"

توقظك من وهم الاكتفاء بالشعارات، وتدفعك إلى ساحة العمل والجهاد.

س2: ما هي حدود "الاستقامة" التي تؤدي إلى نفي الخوف والحزن؟

"استقاموا" أي ساروا على الصراط المستقيم، وثبتوا عليه. وقد فسرها أكابر الصحابة تفسيرات جامعة:

· قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: "لم يلتفتوا إلى إله غيره". أي أخلصوا العبادة لله وحده، ولم تلتفت قلوبهم لغيره.
· وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "استقاموا والله على أمر الله بطاعته، ولم يروغوا روغان الثعالب". أي جدوا في الطاعة، ولم يخادعوا أو يلفوا ويدوروا.
· وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه: "أخلصوا العمل لله".
· وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "أدوا الفرائض".

إذن، الاستقامة هي الإخلاص والمتابعة والثبات على الدين ظاهرًا وباطنًا، في العقائد والأقوال والأعمال. إنها الجد في طاعة الله دون انحراف.

س3: كيف تجمع الآية بين التوحيد والشريعة في كلمتين؟

"قالوا ربنا الله" أصل التوحيد. "ثم استقاموا" أصل الشريعة والاتباع. إنها تجمع بين صحة الاعتقاد وصحة العمل. وهذا ينسف مذهب من يظن أن النجاة بمجرد المعرفة أو التصديق القلبي دون عمل الجوارح. لا بد من الإقرار والعمل، وهما ركنا العبودية.

المحور الثالث: تحليل الجزاء العاجل {فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}

س1: ما هي روعة التعبير القرآني بنفي الخوف والحزن معًا؟

انظر إلى روعة البلاغة القرآنية. الخوف يكون من المستقبل، والحزن يكون على الماضي. "فلا خوف عليهم" مما هو آتٍ، من فتن الدنيا أو أهوال الآخرة. "ولا هم يحزنون" على ما فات من متاع الدنيا أو على ما يتركون خلفهم. لقد انتفى عنهم الماضيان معًا: همم المستقبل المؤرقة، وأحزان الماضي المقلقة. لقد جمعوا بين الأمن والسرور. وهذا هو قمة السلام النفسي الذي تبحث عنه البشرية. ألا تشعر معي أن هذه الآية هي الكنز الذي ضيعه المعرضون عن ذكر الله؟!

س2: كيف يكون تحقيق "الاستقامة" سببًا لهذا الأمن العظيم؟

المستقيم على أمر الله واثق من موعود الله. هو يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه. فلا يخاف من فوات مقدر، ولا يحزن على ماض منصرم. حياته كلها لله وبالله، فهو في كنف الله. ومن كان في كنف الله، فعلام يخاف؟ وعلى من يحزن؟

الأمر الثاني: تحليل الآية الرابعة عشرة: {أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}

المحور الأول: تحليل اسم الإشارة {أُولَٰئِكَ}

س1: ما دلالة اسم الإشارة "أولئك" الذي يفيد البعد؟

"أولئك" اسم إشارة للبعيد، وهو هنا للتعظيم والرفعة. كأنه يقول: أولئك هم السادة، أهل المنزلة الرفيعة التي قصرتم عنها أيها المعرضون. إنهم ليسوا كعامة الناس، بل هم صفوة الخلق. فانظر إلى مصيرهم: "أصحاب الجنة". فيا لها من رفعة سامقة! فليكن هذا هو طموحك.

المحور الثاني: تحليل وصف {أَصْحَابُ الْجَنَّةِ}

س1: لماذا قال "أصحاب الجنة" ولم يقل "أهل الجنة"؟

"أصحاب" مشتقة من الصحبة، وهي تدل على الملازمة والدوام. هم أصحاب الجنة، أي ملازمون لها، لا يخرجون منها، ولا تملهم ولا يملونها. إنهم أصحابها حقًا، يتنعمون فيها كما يتنعم الصاحب بصاحبه، بل أعظم. وهذا الوصف يمنحك شعورًا بالانتماء الدائم لذلك المكان الذي أعد الله لهم فيه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

المحور الثالث: تحليل الخلود {خَالِدِينَ فِيهَا}

س1: ما هي ثمرة التأكيد على "خالدين"؟

"خالدين" أي باقون على الدوام، لا موت ولا فناء. هذا النفي للفناء هو تاج النعيم. فمهما كان النعيم عظيمًا، فإن العلم بزواله ينغصه. ولكن لما كان نعيمهم خالدًا، كان كاملًا. وهذا يمنحك طاقة رجاء هائلة، فعملك القليل في أيام معدودة، ستجزى به خلودًا في نعيم لا ينفد.

المحور الرابع: تحليل العدل الإلهي {جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}

س1: ما هي دلالة أن الجزاء كان "بما كانوا يعملون"؟

هذا هو العدل الإلهي في أبهى صوره. الله سبحانه وتعالى لا يظلم أحدًا. هذا الجزاء العظيم ليس عشوائيًا، بل هو أثر طبيعي لأعمالهم التي عملوها في الدنيا. وفيه حث عملي عظيم: "بما كانوا يعملون"، والعمل ليس بالأماني. وفيه أيضًا تذكير بأن العمل هو عين ما كانوا عليه، فهو وصفهم الملا زم لهم. فالجنة جزاء، لا مجرد هبة بلا سبب. ومع ذلك، فهي "جزاء" ولكن برحمة الله وفضله، لأن العمل نفسه بتوفيق الله.

س2: كيف تجمع بين "جزاء" وبين حديث "لن يدخل أحدكم الجنة بعمله"؟

الجمع يسير: "جزاء بما كانوا يعملون" يدل على أن العمل سبب لدخول الجنة. أما الحديث فيدل على أن نفس العمل لا يكفي ولا يستقل بدخول الجنة لولا فضل الله ورحمته وزيادته. فالعمل سبب، ولكنه لا يكافئ النعيم المقيم. أنت تعمل والله يتفضل عليك بالجزاء الأوفى. إنه منتهى الكرم الإلهي.

ثانيا: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل والمفاهيم من الآيتين

المحور الأول: كيف نقرأ الآيتين القراءة الواعية ونحولها إلى واقع حياة؟

أولا ً: التدبر القلبي في "ربنا الله".

· تجديد العهد يوميًا: في كل صباح، جدد إقرارك لله بالربوبية. قل بقلبك قبل لسانك: "ربنا الله". اشعره في كل نعمة تراها، وكل بلاء يُصرف عنك. هذا يملأ قلبك أنسًا وتوكلا ً.

ثانيا: التدبر العملي في "ثم استقاموا".

· مشروع الاستقامة: مع كل صلاة، اسأل نفسك: أين استقامتي اليوم؟ تذكر أن الاستقامة في كل شيء: في اللسان، في العين، في الكسب، في العلاقات. اجعل مرضاة الله بوصلتك في كل عمل.

ثالثا: التدبر الشعوري في "فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون".

· علاج القلق والاكتئاب: هذه الآية هي روشتة علاج نفسي. عندما يهاجمك الخوف من المستقبل، أو يدمي قلبك الحزن على الماضي، ردد هذه الآية، وتأمل في شروطها: "قالوا ربنا الله ثم استقاموا". ستجد أن جذور القلق تنقطع من قلبك.

المحور الثاني: المفاهيم وكيفية تحويلها إلى واقع حياة

.1مفهوم الإيمان المتكامل) قول وعمل.(

· المفهوم: لا يكفي النطق بالشهادتين، بل لا بد من ترجمتها إلى سلوك مستقيم.
· في حياتنا العملية: راجع عباداتك ومعاملاتك. هل هي على وفق الكتاب والسنة؟ الإيمان الحقيقي هو ما وقر في القلب وصدقه العمل.

.2مفهوم السكينة كثمرة للاستقامة.

· المفهوم: الطمأنينة وراحة البال ليست في المال ولا في الجاه، بل في الاستقامة على أمر الله.
· في حياتنا العملية: لا ترهق نفسك بالبحث عن السعادة في أماكنها الزائفة. السعادة الحقيقية هي أن تضع رأسك على وسادتك ليلا ً وأنت تعلم أنك في طاعة الله. هذا هو الكنز الحقيقي.

.3مفهوم الخلود كثمرة للعمل الصالح.

· المفهوم: كل تعب في هذه الدنيا يزول بزوالها، إلا تعب الطاعة فإنه يتحول إلى نعيم خالد.
· في حياتنا العملية: استثمر وقتك وجهدك ومالك في ما يبقى، لا في ما يفنى. كل لحظة في طاعة الله هي كنز أبدي في الجنة.

المحور الثالث: الدروس العملية لتأسيس الشخصية الإيمانية

.1درس الجمع بين صحة الاعتقاد وصحة العمل: لا تنفصل العقيدة عن الشريعة في حياتك أبدًا.
.2درس الثبات والمداومة: الاستقامة تعني الاستمرار على الطريق، لا العمل الموسمي.
.3درس الأمن النفسي: المؤمن هو الوحيد الذي يستطيع أن يعيش في سلام مع نفسه ومع الكون لأ نه في سلام مع ربه.
.4درس الرجاء في رحمة الله: اجعل "أولئك أصحاب الجنة" نصب عينيك، واعمل لها، وثق في أن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا ً.

المحور الرابع: ما الذي يريده الله منا في هذه الآيتين؟

.1أن نستكمل حقيقة الإيمان: لا بالإقرار فقط، بل بالاستقامة.
.2أن نتحرر من الخوف والحزن: بالتوكل على الله واليقين بموعوده.
.3أن نجعل الآخرة هي الهدف الأسمى: فنعمل لها، ونحتقر متاع الدنيا الزائل.
.4أن نكون على يقين من عدل الله ورحمته: فيثمر ذلك حبًا لله ورجاءً فيه.

المحور الخامس: ما الذي تدعونا إليه الآيتان في حياتنا العملية؟

.1دعوة لمراجعة النفس كل يوم: هل ازددت استقامة أم بعدًا؟
.2دعوة للتخلص من الأمراض النفسية: القلق والحزن يعالجان بالإيمان والعمل الصالح.
.3دعوة للعمل للإسلام: بأن نكون من أصحاب الجنة بأنفسنا، وندعو غيرنا.
.4دعوة لتذكر الجنة: عند كل إغراء أو معصية، تذكر "أصحاب الجنة خالدين فيها"، فتهون الشهوة.

المحور السادس: ما الذي نتعلمه من الآيتين في ضوء سياقها التاريخي؟

نزلت هذه الآيات في مكة، والمسلمون يواجهون شتى أنواع الأذى والتعذيب، ويعانون الخوف والفقر والحصار.

.1بشرى وتثبيت: كانت هذه الآية بلسماً لجراحهم .لقد وعدهم الله بأن مستقبلهم آمن) فلا خوف (وأن ماضيهم من ألم وحرمان منسي) ولا هم يحزنون.(
.2منطق مختلف: بينما كان المشركون يعتزون بأموالهم وأنسابهم) لو كان خيرًا ما سبقونا إليه(، أعلن القرآن أن النجاة في الإيمان والاستقامة، لا في الجاه والنسب.
.3ضمان المستقبل: لقد أعطتهم هذه الآية هوية جديدة: أنتم أصحاب الجنة .وهذا ضمان أبدي، يجعل أي تضحية في الدنيا هينة.

المحور السابع: أهم المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية وتحويلها إلى طاقة بناء الإنسان والمجتمع و الحضارة الإسلامية

هنا نصل إلى الذروة في تحويل هذا النص القرآني إلى محرك للنهضة. هذه الآيات ليست وعظًا فرديًا فحسب، بل هي ميثاق بناء الإنسان والمجتمع والحضارة. لنستخرج هذه المعادلات بصورة متكاملة، تشمل المستويات الثلاثة:

أولا ً: المفاهيم النفسية: صناعة الإنسان المتوازن المطمئن

.1السكينة النفسية المطلقة) من "فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون"(:
· المفهوم: التحرر التام من هيمنة الماضي (الحزن) والمستقبل (الخوف). إنها حالة الصحة النفسية الكاملة.
· تحويله لطاقة بناء الإنسان: هذا المفهوم ينتج "الإنسان المطمئن"، الذي لا تستنزف طاقاته النفسية في جزع مما فات أو قلق مما هو آت. كل طاقاته موجهة إلى "الآن"، إلى العمل والإنتاج. هذا الإنسان هو اللبنة الصلبة لأي مجتمع ناهض، لأنه لا يعاني من أمراض العصر من اكتئاب وقلق، بل هو مصدر للطاقة الإيجابية لمن حوله.
.2تقدير الذات من مصدرها الصحيح) من "قالوا ربنا الله"(:
· المفهوم: القيمة الذاتية مستمدة من الانتساب إلى الله (الربوبية الخاصة "ربنا")، لا من تقييمات الناس المتقلبة.
· تحويله لطاقة بناء الإنسان: هذا يبني "الإنسان العزيز" الذي لا يضطره الفقر أو الضعف الا جتماعي إلى الذل أو النفاق. هو عزيز بالله، واثق من قيمته، مما يحرر طاقاته الإبداعية ويمنحه الجرأة على قول الحق وفعل الخير دون خوف من لومة لائم. هذا الإحساس بالعزة هو أساس القيادة والإبداع الفردي.

ثانيا: المفاهيم الفكرية: صناعة العقل المنهجي المتكامل

.1التكامل بين النظرية والتطبيق) من "قالوا ...ثم استقاموا"(:
· المفهوم: لا قيمة للقول بلا عمل، ولا للتصور بلا سلوك. هذا منطق قرآني صارم يرفض الفصام بين الفكر والواقع.
· تحويله لطاقة بناء المجتمع: تعميم هذا الفقه في المجتمع يقضي على "ثقافة الشعارات الرنانة" التي لا يتبعها عمل. يصبح المجتمع واقعيًا، يزن الرجال بالأعمال والنتائج، لا بالكلام المنمق. هذا يبني مجتمع الإنجاز والكفاءة، حيث ترتفع فيه قيمة الصدق والإتقان، وتضمحل فيه ظاهرة أدعياء الإصلاح الفارغين. إنه مجتمع يبني بالعمل لا بالأماني.
.2فقه العلاقة بين السبب والنتيجة) من "جزاءً بما كانوا يعملون"(:
· المفهوم: ترسيخ قانون الجزاء من جنس العمل، فكل نتيجة هي ثمرة طبيعية لمقدماتها. الدنيا وا لآخرة تقوم على هذا القانون.
· تحويله لطاقة بناء المجتمع: هذا المفهوم يبني "مجتمع المسؤولية الفردية والجماعية". أفراده لا يتواكلون، ولا يعلقون فشلهم على شماعة الأقدار فقط، بل يحاسبون أنفسهم على تقصيرهم في العمل. هذا يخلق مجتمعًا ديناميكيًا يعمل ويخطئ ويتعلم ويصحح، لأنه يؤمن أن التغيير يبدأ من العمل، وأن "الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم". هذا هو سر النهضة.

ثالثا: المفاهيم التربوية: صناعة الجيل القيادي الرباني

.1التربية على الثبات والمداومة) من "ثم استقاموا"(:
· المفهوم: الاستقامة ليست حدثًا طارئًا، بل هي مشروع حياة. إنها تتطلب صبرًا ومصابرة ومرابطة.
· تحويله لطاقة بناء الحضارة: جيل يتربى على أن "قليل دائم خير من كثير منقطع"، هو جيل التراكم الحضاري. النهضة لا تتحقق بقفزات متوترة، بل بجهد دؤوب متواصل على مدى عقود. شباب متربون على المداومة على العمل، والاستمرار في التعلم، والثبات على المبدأ، هم وحدهم من يستطيع بناء صرح حضاري شامخ، لأنه لا ترهبهم المصاعب الطارئة ولا تثنيهم.
.2التربية على التوازن بين الخوف والرجاء) من خلال كلتا الآيتين(:
· المفهوم: "جزاءً بما كانوا يعملون" تزرع الخوف من التقصير، و"أصحاب الجنة خالدين" تزرع الرجاء في عفو الله وكرمه.
· تحويله لطاقة بناء الحضارة: هذا التوازن ينتج جيل العبودية المتوازنة. جيل يخاف الله فلا يظلم ولا يفسق، ويرجو الله فلا ييأس ولا يقنط. هذا الجيل المتوازن هو الذي يبني حضارة العدل و الرحمة. فهو صارم في الحق، رحيم بالخلق، مخلص في العمل، متوكل على الرب. لا يطغى إذا انتصر،

ولا ينكسر إذا هزم. وهذه هي صفات القادة الحضاريين.

رابعاً: كيف تتكامل هذه المفاهيم لتوليد طاقة البناء الحضاري الشامل؟

انظر إلى هذه المنظومة المتكاملة التي تشكل "المشروع الحضاري القرآني":

.1بناء الإنسان) اللبنة المطمئنة(: الآيتان تصنعان فردًا في غاية الصحة النفسية) لا خوف ولا حزن(، غاية العزة) ربنا الله(، غاية الصدق) استقاموا .(هذا هو المواطن الصالح القادر على العطاء.
.2بناء المجتمع) الجدار المتماسك(: هؤلاء الأفراد حين يجتمعون، يقيمون مجتمعًا واقعيًا) لا شعارات(، مسؤولا ً) جزاء بما يعملون(، قويًا) بالثبات والمداومة .(هذا مجتمع منتج، لا مكان فيه للفارغين و المتواكلين، وكل فرد فيه يشعر بمسؤوليته.
.3بناء الحضارة) البناء الشامخ(: هذا المجتمع، بهذه الخصائص، يبني حتمًا حضارة فريدة .حضارة التوازن التي تجمع بين الروح والمادة، بين الدنيا والآخرة .حضارة الثبات التي لا تتآكل من الداخل أو تنهار عند أول صدمة .إنها الحضارة التي بشر بها القرآن، حضارة حملة رسالة "ربنا الله ثم استقاموا"، التي تهدي العالم إلى الأمن والسكينة.

الختام: رسالة إلى قلبك

أيها الإنسان، يا من تتعذب روحك بين رغبات الدنيا ومواجعها، يا من أنهكك الخوف من غدك، ودمّر قلبك الحزن على أمسك، اسمع النداء الأخير، نداء السلام. إن الله قد وضع لك دستور الأمان ورسم لك طريق النجاة في كلمات معدودات: "إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا".
هل تريد ألا تخاف؟ هل تريد ألا تحزن؟ هل تريد أن تكون من أصحاب الجنة حقًا؟ لا تسأل عن علا ج لقلقك بعيدًا عن هذا السبيل، فالشفاء هنا، في "ربنا الله" تنطقها بقلبك وعقلك، وفي "استقاموا" تحياها بجوارحك وسلوكك. لا تخف من شيء وأنت مع الله، فلا يملك أحد لك ضرًا ولا نفعًا. لا تحزن على ما فات، فما عند الله خير وأبقى.
انهض الآن. جدد إيمانك. قل من أعماقك: "ربنا الله". واعقد العزم على الاستقامة. لا تقل: الطريق طويل، بل اخطُ الخطوة الأولى. كن من الذين ينظر الله إليهم فيقول لملائكته: "أشهدكم أني قد غفرت لهم". عندها، ستذوق طعم "فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون" في الدنيا قبل الآخرة، وتكون أنت النموذج الحي الذي يراه الناس فيسألونك عن سر سكينتك، فتجيبهم بلسان حالك ومقالك: "هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي". جعلني الله وإياك من أهل هذه الآية، ومن أصحاب الجنة خالدين فيها.

بسم الله الرحمن الرحيم
المقطع الثاني
القسم الاول
المبحث الأول
النموذج الصالح من الأبناء
اولا
وبعد، أيها العقل الذي بدأ يدرك حقيقة الصراع بين الحق والباطل، وأيها القلب الذي اهتز طربًا لموعود الله للمستقيمين بالجنة ونفي الخوف والحزن، لقد حان الوقت أن ننتقل من "القاعدة العامة" إلى "النموذج التطبيقي" .بعد أن حدثتنا الآيات السابقة عن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا، يأتي الآن مشهد حي، يرسم صورة فرد من هؤلاء المستقيمين .إنها ليست مجرد آية، بل هي سيرة حياة كاملة مكثفة في كلمات .إنها تأخذك في رحلة من المهد إلى اللحد، من رحم الأم إلى ساحة المناجاة للرب، لتريك كيف يتحول الإيمان من كلمة تقال إلى مشروع حياة يعاش .استعد، وافتح قلبك، ودع دموعك تنهمر وأنت تستمع إلى هذا الدرس الفريد في الوفاء والشكر والعبودية، في قول الله الحق:} وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ.(15) {

المقدمة: حيث تلتقي العبادة بالإنسانية

تأمل معي موقع هذه الآية العجيبة .انتهى الحديث عن الذين "قالوا ربنا الله ثم استقاموا" .فمن هو هذا الإنسان المستقيم؟ ما هي ملامحه؟ كيف يعيش؟ هنا يجيب القرآن بسيرة ذاتية لنموذجين: النموذج الأول في هذه الآية، وهو الإنسان البار الواصل الشاكر، والنموذج الآخر في الآية التي تليها وهو العاق الجاحد .إنها ثنائية قرآنية ليريك الطريقين .هذه الآية تحديدًا هي "أيقونة البر والوفاء" . إنها تأمر ببر الوالدين، ثم تركز تركيزًا عجيبًا على الأم، وتصف معاناتها وصفًا يهز الوجدان، ثم تنتقل بك انتقالة زمنية هائلة إلى سن الأربعين، سن النضج والاكتمال، لتريك كيف يكون لسان حال المستقيم: لا يدعو لنفسه بالمال والولد، بل يدعو أن يكون شاكرًا، وأن يكون عمله صالحًا، وأن يصلح الله ذريته .إنها آية تكتب فلسفة الحياة الإيمانية بأكملها .إنها الدرس الأعظم في كيفية تحويل تقدم العمر إلى تقدم في القرب من الله.

بيان تفسير الآية والمعنى العام لها أولا ً

ما هو المعنى العام الذي تهديه لنا هذه الآية الكريمة؟ إنه ميثاق إلهي، ووصية سماوية .يخبرنا الله عز وجل أنه وصّى الإنسان وعهد إليه وأمره أمرًا جازمًا بأن يحسن إلى والديه إحسانًا كاملا ً، برًا بهما، ولطفًا في القول والفعل .ثم يخصّ الأم بالذكر الأعظم، مذكرًا إياه بمعاناتها:} حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا{، أي حملته في بطنها وهي تقاسي مشقة وتعبًا شديدًا،} وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا{، أي ولدته وهي تكابد آلام الطلق و الوضع .ثم يكمل التذكير بفترة الرعاية:} وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا{، أي مدة الحمل وفطامه عن الرضاع ثلاثون شهرًا، فيها ألوان من التعب والتضحية .هذه هي المقدمة، وهذا هو سبب استحقاقها للبر الأعظم.
ثم تنتقل الآية انتقالة زمنية كبرى:} حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ {أي اكتمل نموه الجسدي والعقلي،} وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً {وهو سن إكتمال العقل واستوائه، نراه وقد بلغ قمة وعيه، فيتوجه إلى الله بهذا الدعاء الجامع: }قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ {...أي ألهمني ووفقني لأن أشكر نعمتك التي أنعمت بها عليّ من الهداية والصحة، وعلى والديّ من قبل} .وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ {أي وفقني للعمل الصالح الذي ترضاه أنت وتقبله} .وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي {أي أصلح لي أولادي واجعلهم قرة عين .ثم يختم دعاءه بإعلان العبودية الكاملة:} إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ {المستسلمين لأمرك .إنها لحظة الصدق المطلق مع الله، في سن النضج والرجولة الكاملة.

أولا ً: تحليل الآية الكريمة

الأمر الأول: تحليل صدر الآية:} وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا{

المحور الأول: الوصية الإلهية بالوالدين

س1: ما سر التعبير بـ "وصينا" بدل "أمرنا" أو "فرضنا"؟

انظر إلى دقة اللفظ القرآني! "وصّينا" من الوصية، وهي العهد المؤكد المقرون بالشفقة والرحمة .إنها أقوى من مجرد الأمر .الوصية تكون غالبًا عند توقع فراق الموصي، فتحمل معنى الإلحاح والحب . وكأن الله سبحانه وتعالى يعطيك هذه الوصية وكأنها آخر عهده بك، فيجمع فيها بين الإيجاب و التحنن .فبر الوالدين ليس مجرد التزام قانوني، بل هو عهد حب ووفاء .ألا تشعر أن هذا اللفظ يجعلك تستقبل الأمر بصدر منشرح؟

س2: لماذا قال "بوالديه إحسانًا" ولم يقل "إحسانًا إلى والديه"؟

التعبير القرآني "بوالديه إحسانًا" فيه معنى الإلصاق والمباشرة .أي اجعل إحسانك ملتصقًا بهما، مباشرًا لهما في كل صغيرة وكبيرة .ليس إحسانًا عن بعد، بل هو خدمة وقرب ورعاية .وهذا يرتقي بفعل البر من مجرد واجب إلى حالة وجودية يعيشها الإنسان مع والديه.

المحور الثاني: تخصيص الأم بآلام الحمل والوضع

س1: لماذا كرر القرآن ذكر معاناة الأم تفصيلا ً؟

"حملته أمه كرهًا" ووضعته كرهًا" .يا للهول! "كرهًا" أي مشقة بالغة ووهنًا على وهن .كررها مرتين: للحمل وللوضع .هذا التفصيل ليس للإخبار فحسب، بل هو لإثارة كوامن الوجدان في نفسك .إنه يستدعي أمام عينيك شريطًا من المعاناة الصامتة التي عاشتها أمك من أجلك .وهنٌ في الحمل، وغثيان، وثقل، ومرض، ثم طلق، وألم يبلغ منتهاه، ثم رضاعة وسهر .لماذا كل هذا التفصيل؟ لأنه يريد أن يزرع فيها "دين الامتنان" في قلبك .فالذي نسي معروف أبويه، ذكره القرآن بتفاصيل ما عانته أمه . ألا تشعر برعشة في قلبك وأنت تقرأ هذا؟ ألا تسمع أنين أمك في "كرهًا"؟

س2: ما دلالة قوله} وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا{؟

هذا النص هو الذي استنبط منه العلماء مع آية لقمان) وفصاله في عامين (أن أقل مدة للحمل ستة أشهر .فمدة الفصال) الفطام (سنتان 24 = شهرًا، فبقي للحمل ستة أشهر .لكن المعنى الأعمق هو أن هذه الثلاثين شهرًا هي ذروة التضحية الجسدية والنفسية للأم .هي تحملك في بطنها، غذاؤها لك، ثم ترضعك، غذاؤها لك أيضًا .ثلاثون شهرًا من عمرها مخصصة لك أنت بالكامل! إنها أرقام تتحدث، تريد أن تحسب كم لك من دين في عنقك لأمك .أتظن أن بر شهر أو زيارة عابرة تفي هذا الدين؟

الأمر الثاني: تحليل ذروة الآية:} حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ{

والآن، وقد استقرت في قلبك صورة الأم، تأتي النقلة العمرية الهائلة لترسم "فلسفة النضج الإيماني".

المحور الأول: تحليل منعطف الأربعين} بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً{

س1: لماذا خُص سن الأربعين بالذكر دون غيره من الأعمار؟

الأربعون هي قمة العطاء والنضج العقلي .هي سن اكتمال القوة، واستحكام العقل، ورسوخ التجربة . عندها يبلغ الإنسان "أشده" أي كمال قوته وإدراكه .في هذه السن، تتغير نظرته للحياة .يخف تهور الشباب وطيشه، ويبدأ التطلع إلى ما هو أعمق وأبقى .لقد خص الله هذه السن لأنها "محطة تفتيش" كبرى في رحلة الحياة .كأنه يقول لك: إذا وصلت إلى الأربعين، وقد رأيت تقلبات الدنيا، وأدركت حقائق الأمور، فماذا ستقول؟ هل ستزداد تعلقًا بالدنيا أم إقبالا ً على المولى؟ الجواب النموذجي في الآية: يتوجه إلى الله بهذا الدعاء.

س2: كيف تكون الأربعون فرصة للتحول الروحي؟

إنها دعوة لكل إنسان في هذه السن أن يقف وقفة صادقة مع نفسه .لقد مضى نصف العمر أو أكثر . ماذا أعددت للقاء الله؟ الأربعون ليست أزمة منتصف العمر كما يسميها الغرب، بل هي "فرصة منتصف العمر" للعودة إلى الله .إنها دعوة أن تجعل هذه السن بداية لمرحلة جديدة عنوانها الشكر والعمل الصالح والاستسلام لله.

المحور الثاني: تحليل الدعاء الأول:} أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ{

س1: ما معنى "أوزعني" وما سر اختيارها في الدعاء؟

"أوزعني" أي ألهمني، ووفقني، واجعلني أولع بالشكر .إنه دعاء يعترف فيه العبد بأن الشكر ذاته نعمة تحتاج إلى توفيق من الله .فكأنه يقول: يا رب، نعمك عليّ كثيرة لا أحصيها، ولكني عاجز عن شكرها لولا توفيقك .فأوزعني شكرها، أي اجعلني شكورًا بقدرتك أنت .هذا هو قمة التواضع والأدب مع الله.

س2: لماذا شمل شكر النعمة على الوالدين في دعائه؟

"أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ" .انظر إلى وفائه! في قمة نضجه، لا ينسى أن النعمة التي هو فيها من هداية وإيمان وصحة وعافية، هي أيضًا نعمة امتدت إلى والديه .هو يدعو لنفسه بـ الشكر، ويتذكر والديه في أسمى صورة من البر .هذا هو البر الممتد بعد الموت: أن تشكر لله نعمه عليك وعليهما.

المحور الثالث: تحليل الدعاء الثاني:} وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ{

س1: لماذا قيد العمل الصالح بـ "ترضاه" مع أن كل عمل صالح يرضاه الله؟

هنا ذروة الإخلاص والاحتياط .قد يكون العمل في ظاهره صالحًا، لكنه في باطنه مشوب برياء أو عجب أو مخالفة للسنة .فجاء الدعاء: "ترضاه أنت"، أي تقبله وترضى عنه، لا مجرد أن يكون اسمه "صـ الحًا" .إنه تطلع إلى مرتبة القبول، وهي أعلى من مجرد الفعل .إنه يريد عملا ً يكون خالصًا صوابًا، يوافق كتابك وسنة نبيك، فيكون محل رضاك.

س2: كيف تجمع بين الشكر والعمل الصالح في الدعاء؟

الشكر باللسان والقلب، والعمل الصالح بالجوارح .إنه كمال العبودية .فالشكر اعتراف بالنعمة، والعمل الصالح ترجمة لهذا الشكر .فكأنه يقول: لا أكتفي بأن أقول "الحمد لله"، بل أريد أن أترجم حمدي إلى عمل ترضاه.

المحور الرابع: تحليل الدعاء الثالث:} وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي{

س1: لماذا امتد الدعاء إلى الذرية في هذا المقام؟

في سن الأربعين، يكون الإنسان قد صار أبًا أو أمًا لذرية قد تكبر وتقترب من سن الشباب .إنه قلق أبوي مؤمن: ماذا بعدي؟ من سيحمل الراية؟ فلا يكتفي بدعاء نفسه، بل يتعداه إلى ذريته .إنه يسأل الله أن يصلحهم، فلا يكونوا سببًا في حزنه في الدنيا، أو وبالا ً عليه في الآخرة .إنه الوفاء الممتد عبر الأجيال.

المحور الخامس: تحليل الختام المُذِل لله:} إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ{

س1: ما دلالة ختم الدعاء بإعلان التوبة والإسلام؟

بعد كل هذا الدعاء العظيم، يعود إلى الله ليقر ويعلن: "إني تبت إليك" مما فرط مني في شبابي من غفلة أو تقصير ."وإني من المسلمين" أي المستسلمين لأمرك، المنقادين لشرعك .هذا الختام هو توقيع العبودية .إنه يقدم استقالته من حوله وقوته، ويعلن انقياده المطلق لله .إنها صورة المؤمن الذي يرجع إلى ربه في كل أطوار حياته، ويجعل التوبة والاستسلام منهجًا دائمًا لا حدثًا عارضًا.

ثانيا: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل والمفاهيم من الآية

المحور الأول: كيف نقرأ الآية القراءة الواعية ونحولها إلى واقع حياة؟

أولا ً: التدبر الشعوري في آلام الأم.

· عش لحظة الوهن: اقرأ "كرها" وتوقف .أغمض عينيك وتخيل وهن أمك وهي تحملك .هذا الشعور سيغير طريقة تعاملك معها .ستراها بعين مختلفة، عين التقديس .وسيدفعك لقضاء حوائجها وخدمتها بنفس راضية، وكأنك ترد جزءًا من دين حملك.

ثانيا: التدبر العملي في "الثلاثين شهرًا".

· مشروع وفاء: لا يمكنك أن تعيد الثلاثين شهرًا لأمك، ولكن يمكنك أن تجعل ما بقي من عمرك في وفائها .كل يوم تقضيه في رعايتها، هو عربون وفاء لذلك الحمل.

ثالثا: التدبر الزمني في "بلوغ الأربعين".

· حاسبة العمر: احسب ما تبقى من عمرك الافتراضي) ستين أو سبعين .(واجعل بلوغ الأربعين محطة توبة وتغيير .إن كنت في الأربعين، فاجعل الآية مرآتك .وإن لم تبلغها، فخطط لتكون هكذا عندما تبلغها، واسأل الله أن يبلغك إياها وأنت في طاعته.

المحور الثاني: المفاهيم وكيفية تحويلها إلى واقع حياة

.1مفهوم دين الامتنان.

· المفهوم: للأم دين في عنقك لا يسقط إلا بالبر.
· في حياتنا العملية: اجعل بر أمك مشروعك الأول .قبّل رأسها، واخدمها، واستشرها، وأسمعها الكلام الطيب، ولا تتذمر من ضعف كبرها.

.2مفهوم بلوغ الحكمة في الأربعين.

· المفهوم: سن الأربعين ليس أزمة، بل محطة للنضج والتغيير.
· في حياتنا العملية: خطط لحياتك ما بعد الأربعين: أقل من الدنيا، وأكثر من الآخرة .اجعلها بداية مرحلة جديدة من العبودية والوعي.

.3مفهوم القبول لا مجرد العمل.

· المفهوم: الهدف ليس أن تعمل، بل أن يُقبل عملك.
· في حياتنا العملية: اهتم بسرائر أعمالك كما تهتم بظواهرها .ادعُ الله دائمًا بالقبول، وخف من الرد.

المحور الثالث: الدروس العملية لتأسيس الشخصية الإيمانية

.1درس الوفاء: الوفاء للوالدين هو ترجمة الوفاء لله.
.2درس المسؤولية: بلوغ الأربعين يعني زيادة المسؤولية، لا التخلي عنها.
.3درس الشكر: الشكر ليس شعورًا، بل هو إلهام من الله، فاطلبه منه.
.4درس الاستمرارية: إصلاح الذرية امتداد لعبوديتك بعد الموت.

المحور الرابع: ما الذي يريده الله منا في هذه الآية؟

.1أن نعيش "هوية الإحسان" للوالدين، لا مجرد واجب البر.
.2أن ندرك قيمة الزمن، ونتوب قبل الأربعين أو عندها.
.3أن يكون دعاؤنا نابعًا من وعي وعمق، لا مجرد كلمات محفوظة.
.4أن نستشعر عظم النعمة، ونسأل الله أن يوفقنا لشكرها.

المحور الخامس: ما الذي تدعونا إليه الآية في حياتنا العملية؟

.1مراجعة العلاقة مع الوالدين: هل أنت عاق، أم بار؟ هل وصلك "إحسانًا"؟
.2إعادة تعريف النجاح: النجاح ليس مالا ً ومنصبًا، بل أن تكون شاكرًا عاملا ً للإسلام.
.3التخطيط لمرحلة النضج: خطط لسن الأربعين وما بعدها، واجعل لله النصيب الأكبر.
.4الدعاء للذرية: اجعل "وأصلح لي في ذريتي" وردًا يوميًا على لسانك.

المحور السادس: ما الذي نتعلمه من الآية في ضوء سياقها التاريخي؟

نزلت الآية في مكة، حيث كان بعض المسلمين الجدد، مثل سعد بن أبي وقاص، يعانون من ضغط الوالدين المشركين لردّهم عن الإسلام .وفي رواية أن الآية نزلت في أبي بكر الصديق.

.1البر ليس مقيدًا بالدين فقط: الوصية بالوالدين عامة .حتى لو كان والداك مشركين يجاهدانك على الكفر، فوصية الله أن تصاحبهما في الدنيا معروفًا .هذه الآية كانت تؤكد هذا المعنى.
.2النموذج المضاد: في مقابل جحود ولد آدم، تقدم الآية نموذجًا للإنسان الشاكر البار، الذي لا ينسى فضل والديه حتى عند كمال نضجه.
.3تثبيت للمؤمنين: بشرى للمستضعفين بأن إيمانهم هو عين الشكر، وأن عليهم أن يبروا والديهم في غير معصية، ليكونوا نموذجًا يحتذى به.

المحور السابع: أهم المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية وتحويلها إلى طاقة بناء الإنسان والمجتمع و الحضارة الإسلامية

هنا تصل هذه الآية العظيمة إلى ذروة قدرتها على إعادة تشكيل النفس الإنسانية، ومن ثم المجتمع و الحضارة .إنها لا تخاطب الفرد فحسب، بل تضع معايير لبناء الأمة .لنستخرج هذه الطاقات معًا على المستويات الثلاثة:

أولا ً: المفاهيم النفسية: صناعة الإنسان الشاكر المتزن

.1بناء بوصلة الامتنان) من "أن أشكر نعمتك"(:
· المفهوم: الامتنان هو أصل كل خير، وهو عملية إعادة برمجة للنفس لترى النعم لا النقم .الإنسان الشاكر هو إنسان غني نفسيًا.
· تحويله لطاقة بناء الإنسان: هذا المفهوم ينتج "الإنسان الغني"، الغني بنعم الله .إنه لا يعيش في دوامة الحرمان والحسد، بل يرى في حياته عشرات النعم التي يستحق عليها الشكر) الصحة، الأهل، العقل، الدين .(هذه النظرة الإيجابية تولد سكينة نفسية وطاقة هائلة ينفقها في البناء والعمل، بدل أن يحرقها في التذمر والاعتراض .هذا الإنسان هو مصدر إشعاع لمن حوله.
.2تحرير الإنسان من أزمة العمر) من "بلغ أربعين سنة"(:
· المفهوم: التعامل مع تقدم العمر ليس كأزمة فقدان للشباب، بل كمنحة لاكتمال العقل والنضج.
· تحويله لطاقة بناء الإنسان: هذا المفهوم يحول "أزمة منتصف العمر" إلى "فرصة منتصف العمر" . بدل الاكتئاب والتصرفات الصبيانية لتعويض ما فات، يتحول الإنسان إلى مصدر حكمة ورزانة وتخطيط .طاقته التي كان يهدرها في الطيش، تتحول إلى وقود روحي يدفعه لأعظم أعماله في النصف الثاني من عمره .هذا يصنع إنسانًا متصالحًا مع ذاته ومع عمره، فاعلا ً حتى آخر رمق.

ثانياً: المفاهيم الفكرية: صناعة العقل الواعي المسؤول

.1منطق الارتقاء بالولاء) من "بوالديه إحسانًا" إلى "أن أشكر"(:
· المفهوم: البر بالوالدين هو صورة مصغرة من الشكر لله، وهما متلازمان .من لا يشكر الناس لا يشكر الله.
· تحويله لطاقة بناء المجتمع: تعميم هذا المفهوم يبني "مجتمع الوفاء" .المجتمع الذي يربي أفراده على أن البر بالوالدين هو البوابة الأولى للوفاء، سينتج أفرادًا أوفياء في كل علاقاتهم .أوفياء مع أزواجهم، مع أوطانهم، مع عهودهم .مجتمع الوفاء هو مجتمع متماسك بالثقة، لا تمزقه الخيانات الزوجية أو المالية أو الوطنية، لأن جذور الوفاء قد غرست في الأسرة أولا ً .هذا هو أساس الا ستقرار الاجتماعي.
.2عقلية الجمع بين الذات والأصل والفرع) الدعاء الثلاثي(:
· المفهوم: الإنسان ليس كيانًا منعزلا ً، بل هو حلقة في سلسلة .دعاؤه لنفسه ولماضيه) والديه (ومستقبله) ذريته (يعكس وعيًا تاريخيًا متكاملا ً.
· تحويله لطاقة بناء المجتمع: هذا يبني "مجتمع الامتداد الحضاري" .أفراده لا يعيشون لذواتهم فقط، بل يشعرون بالانتماء لجيل الآباء المؤسسين، ويدعون ويخططون لجيل الأحفاد .هذا يمنع

القطيعة بين الأجيال، ويجعل المجتمع يبني تراكميًا .كل جيل يحترم إرث من سبقه، ويهيئ لمن بعده . هذه العقلية هي التي تبني حضارة متصلة الحلقات، لا تبدأ من الصفر مع كل جيل.

ثالثاً: المفاهيم التربوية: صناعة الجيل القيادي التقي

.1التربية على "القبول" لا "التسليم") من "ترضاه"(:
· المفهوم: تربية الناشئة على أن الهدف الأسمى هو قبول الله، لا مجرد أداء الفرض أو الظهور أمام الناس.
· تحويله لطاقة بناء الحضارة: جيل يتربى على ثقافة "ترضاه"، هو جيل الإتقان والإحسان .الطالب لا يذاكر لينجح فقط، بل ليرضي الله عنه في طلبه للعلم .المهندس لا يبني ليستلم أجرته فقط، بل ليبني بناءً يرضي الله .هذا الدافع الداخلي) القبول الإلهي (هو أقوى محرك للإبداع والإتقان من أي راقب خارجي .هذه التربية هي التي تنتج الحضارة المدهشة، حضارة الإحسان في كل شيء.
.2التربية على الشكر كأسلوب حياة) من "أوزعني أن أشكر"(:
· المفهوم: الشكر ليس طقسًا، بل هو حالة نفسية وسلوكية دائمة .وتربية الأبناء على أن يسألوا الله التوفيق للشكر، غرس للعبودية.
· تحويله لطاقة بناء الحضارة: جيل يتربى على "أوزعني أن أشكر"، هو جيل القناعة والإيجابية . إنه جيل ينظر إلى ما لديه من نعم فيعمل على تنميتها، ولا يحرق طاقته في الحسد على ما لدى غيره .هذا الجيل يبني حضارة متوازنة، تستثمر مواردها ولا تنفقها في الصراعات والتذمر .الشكر يفتح باب المزيد: "لئن شكرتم لأزيدنكم" .فأمة الشكر هي أمة الزيادة في كل خير.

رابعاً: كيف تتكامل هذه المفاهيم لتوليد طاقة البناء الحضاري الشامل؟

انظر إلى المشهد الحضاري المتكامل الذي ترسمه هذه الآية:

.1قاعدة البناء: الفرد الشاكر الوفي:
· الآية تنتج إنسانًا قد شفي تمامًا من أمراض النفس) بالشكر(، متصالحًا مع ذاته وعمره) بفرصة ا لأربعين(، ووفيًا غاية الوفاء) لأمه وأبيه .(هذا هو المواطن المثالي.
.2البناء الاجتماعي: الأسرة الممتدة الواعية:
· هذا الفرد يبني أسرة قائمة على الوفاء والامتنان، أسرة تمتد فيها الرعاية من الأبناء للآباء، ومن الآباء للأحفاد، أسرة يشعر كل فرد فيها أنه مسؤول عن الآخر .هذه الأسر هي الخلايا الحية للمجتمع.
.3قمّة البناء: الحضارة الربانية المتراكمة:
· هذه المجتمعات المبنية على ثقافة الشكر والقبول والوفاء، تنتج حتمًا "حضارة الإحسان" .إنها حضارة إنسانية فريدة، لا تقاس قيمتها بناطحات السحاب فقط، بل بمدى ما فيها من إتقان، ووفاء بين الأجيال، وسلام نفسي لدى أفرادها .إنها الحضارة التي تنتج إنسانًا إذا بلغ الأربعين، قال: "رب أوزعني أن أشكر نعمتك..."، لا أن يشتري رياضة فارهة ليهرب من شيخوخته .هذه هي الحضارة التي تليق بالإنسان.

الختام: رسالة إلى قلبك

أيها الإنسان، يا من كان في بطن أمك "كرهًا"، ويا من خرجت إلى الدنيا ووالدتك في "كره" من ألمك، اسمع .أنت مدين .مدين بكل نبضة في قلبك لتلك التي سهرت الليالي .مدين بكل نجاح تحققه لأبٍ كدح ليرعاك .ولكن، ليس هذا هو الدرس الأعظم .الدرس الأعظم هو في تلك اللحظة الفارقة، عندما تبلغ الأربعين، عندما يتساوى عندك كل شيء إلا شيء واحد: ماذا أعددت للقاء ربك؟
في تلك اللحظة، ستتذكر طيش الشباب، وسترى قرب النهاية، وسيداهمك سؤال: هل أنا شاكر لنعم الله؟ هل عملي يرضاه؟ هل أبنائي من بعدي بخير؟
لا تنتظر الأربعين لتبدأ .اجعل حياتك كلها استعدادًا لهذه الوقفة .اجعل كل يوم هو يوم "أوزعني أن أشكر نعمتك" .تذكر أمك التي كبرت، ضعف عظمها بعد قوته .تذكر أن الشكر لا يكون بكلمة "الحمد لله" جافة، بل برعاية يدك، وطيب كلامك، وسهرك على راحتها .وأنت في صلاتك، وفي دعائك في السحر، لا تنس أن تقول من قلبك: "وأصلح لي في ذريتي".
اخرج إلى دنياك، وعش بهذه الآية .لتكن وصيتك في أذن أبنائك، ووصية الله في قلبك .اجعل "بر الوالدين" شعارك، واجعل "العمل الذي يرضاه الله" غايتك .عندها، ستعرف أنك قد بدأت تسدد شيئًا من ذلك الدين العظيم، وستكون أهلاً لأن يناديك الله يوم القيامة: "يا أيها الإنسان، أدخل جنتي، فإني راضٍ عنك".

ثانيا
لقد وقفنا معًا على مشهد النموذج الإنساني المستقيم، الذي جمع بين بر الوالدين، والشكر لله، وإصلاح الذرية. كان ذلك "طريق" الاستقامة و"منهجها". والآن، وبعد أن عرض الله هذا النموذج، يأتي دور "الجزاء" و"المصير". ولكن، ليس أي جزاء. إنه جزاء من كريم، يفيض عطاءً، ويغدق إحسانًا. إنها الآية التي تنسف كل أوهام اليأس من رحمة الله، وتفتح قلبك على مصراعيه لرياح الأمل والرجاء. إنها آية تحكي لك عن عادة الله مع المحسنين، وكيف أنه لا يضيع أجرهم، بل يزيدهم من فضله. استعد، وافتح قلبك، ولتسمع وعد الحق لمن صدقوا: {أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ} (16).

المقدمة: بين نموذج الاستقامة وبشارة القبول

تأمل معي موقع هذه الآية البهيجة. في الآية السابقة، رأيت رجلا ً في الأربعين، راكعًا ساجدًا، يدعو الله أن يوزعه شكر نعمته، وأن يصلح له ذريته. لقد كان هذا هو "العمل". وهنا، في هذه الآية، يأتي "الرضا الإلهي". انظر إلى السياق: "أولئك"... اسم إشارة يلمع بالفخر والتشريف. من هم "أولئك"؟ هم أولئك الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا. هم الذين بلغوا الأشد فازدادوا إيمانًا وتسليمًا. هم الذين تبتلوا إلى الله بدعاء الشكر والإصلاح. هؤلاء، هؤلاء تحديدًا، لهم موعد مع كرم لا يوصف. الآية لا تقول: "أولئك الذين غفرنا لهم" فقط، بل تقول: "نتقبل عنهم أحسن ما عملوا". إنها تنقلهم من مقام "رجاء المغفرة" إلى مقام "اليقين بالقبول". إنها لحظة التتويج، لحظة أن ينظر العبد إلى ميزانه يوم القيامة، فيرى أن الحسنات قد ثقلت، وأن السيئات قد طارت، لأنه استظل بوعد "نتقبل" و"نتجاوز". إنها دعوة لك لتكون أحد "هؤلاء".

بيان تفسير الآية والمعنى العام لها أولا ً

ما هو المعنى الذي يريد الله أن تتنفسه روحك من هذه الآية؟
إنها آية وعد. وعد من الله العزيز الحكيم، الغفور الرحيم. يخبرنا جل وعلا أن أولئك الموصوفين بالإ يمان والاستقامة والشكر والدعاء، سنتولى أمرهم. وسيكون جزاؤهم على ثلاثة مستويات من الكرم الإ لهي:
الأول: {نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا}. الله لا يقبل أي عمل، بل يقبل "أحسن" أعمالهم. إنه يصطفي أروع لحظات حياتهم، أخلص صدقاتهم، أتقى عباداتهم، فيقبلها ويثيبهم عليها، ويتجاوز عما دونها من أعمالهم العادية أو التي شابها شيء من النقص.
الثاني: {وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ}. وهنا قمة الرحمة. لم يقل "ونغفر" فقط، بل قال "ونتجاوز". والتجاوز يعني أنه يعلم بها، ويقدر على مؤاخذتهم بها، ولكنه يتجاوز عنها، وكأنها لم تكن. يطويها وينساها لهم، فلا يعاتبهم عليها ولا يخزيهم بها يوم القيامة.
الثالث: {فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ}. هم ليسوا مجرد مارين على الجنة، بل هم معدودون ومكتوبون في زمرة أصحاب الجنة الملازمين لها، مع النبيين والصديقين والشهداء.
ثم يختم الآية بختم يملأ القلب طمأنينة: {وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ}. إنه ليس رجاءً، ولا ظنًا، بل هو وعد. ووعد من؟ من الصادق الذي لا يخلف الميعاد. إنه وعد الصدق، لتطمئن القلوب.

أولا ً: تحليل الآية الكريمة

الأمر الأول: تحليل اسم الإشارة {أُولَٰئِكَ}

س1: لماذا استخدم القرآن اسم إشارة البعيد "أولئك" هنا؟

لاحظ معي هذه البلاغة المدهشة. "أولئك" يستعمل للبعيد. لكن المقصودين هنا هم المؤمنون المستقيمون. لماذا لم يقل "هؤلاء" للقريب؟ السر هو في تعظيم شأنهم ورفعة مقامهم. فالبعد الحسي هنا يرمز إلى بعد المنزلة وسمو الدرجة. كأنه يقول لك: هؤلاء في عليين، في مكان بعيد عن متناول الأوغاد. إنهم سادة عظماء، فارفع رأسك أيها المؤمن، فمكانك هناك. ألا تشعر بالفخر يغمرك وأنت تعلم أن هذا الوصف ينتظر كل مستقيم؟

س2: كيف يربط اسم الإشارة بين النماذج السابقة؟

"أولئك" إشارة جامعة. تجمع كل من ذُكر من قبل: "الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا"، و"الذي بلغ أربعين سنة فقال رب أوزعني". هذا الوعد ليس لصحابي واحد، ولا لنبي مرسل، بل هو لكل من يدخل في هذه الزمرة المباركة من الأولين والآخرين. أنت أيضاً، إذا كنت منهم، فأنت داخل في "أولئك".

الأمر الثاني: تحليل الكرم الأول {ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا}

المحور الأول: تحليل فعل "نتقبل"

س1: ما الفرق بين "نغفر" و"نتقبل"؟

إنه لأمر عظيم! المغفرة هي ستر الذنب والعفو عنه. أما القبول، فهو الرضا عن العمل، واصطفاؤه، و الثناء على فاعله. الله لم يقل "نغفر لهم أحسن ما عملوا"، لأن أحسن الأعمال لا تحتاج إلى مغفرة، بل تحتاج إلى قبول وثواب. فهو يتقبلها، أي يرضاها ويجازي عليها بأضعاف مضاعفة. هذا يريك عظمة المنزلة: أنت لم تغفر ذنوبك فقط، بل وصلت إلى درجة أن الله يتقبل منك أحسن أعمالك ويتخذها لنفسه. إنها ترقية شرف عظيمة!

س2: ما دلالة التعبير بصيغة المضارع "نتقبل" بدل الماضي؟

صيغة المضارع "نتقبل" تستحضر المشهد العظيم يوم القيامة. كأنما تنظر إليه سبحانه وهو يتولى بنفسه قبول أعمالهم، فيقول لملائكته: هؤلاء عبيدي، وأنا أتولى قبول أعمالهم. إنها صيغة تفيد الا ستمرار والتجدد، وتفيد العظمة في ذلك الموقف الرهيب. إنها صورة من صور الكرم المباشر من الله لعباده.

المحور الثاني: تحليل "أحسن ما عملوا"

س1: لماذا خص الله "أحسن" الأعمال بالقبول دون غيرها؟

هنا بشرى عظيمة، ودقة تشريعية مدهشة. العبد المؤمن يعمل أعمالا ً صالحة كثيرة، ولكنها تتفاوت. منه ما هو في أعلى درجات الإخلاص والإتقان، ومنه ما قد يشوبه شيء من سهو أو تقصير في الأ دب. في كرمه سبحانه، ينظر إلى أحسنها، فيقبلها، ويجازي عليها، ويجعلها معيارًا للجزاء. ويصبح ما دونها تبعًا لها. هذا من فضل الله ورحمته. فقد يقبل الله منك صلاةً خاشعة، فتكون شافعة لكل صلواتك التي سهوت فيها. إنه يدلك على أن الاستكثار من "الإحسان" في العبادة هو الطريق لنيل هذا الشرف.

الأمر الثالث: تحليل الكرم الثاني {وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ}

س1: ما سر التعبير بـ "نتجاوز" بدلا ً من "نغفر"؟

انظر إلى رحمة الله الواسعة. "التجاوز" مأخوذ من "الجواز" أي العبور والترك. كأن السيئات كانت طريقًا ، فتركها الله وعبر عنها، ولم يقف عندها. "نتجاوز" تعني أن الله يعلمها، ولكن يتجاهلها كرمًا. إنه لا يحاسبهم عليها، ولا يوبخهم بها، بل يتناساها، بل يبدلها حسنات لمن تاب. إنها كلمة تفيض بالحنان الإ لهي. فأنت بشر، تخطئ، ولكن الله كريم يتجاوز. ألا يجعلك هذا تحبه أكثر؟ ألا يدفعك هذا أن تكون "متجاوزًا" عن أخطاء الناس كما تجاوز الله عنك؟

س2: كيف تجتمع "نتقبل" و"نتجاوز" في صورة واحدة للمؤمن؟

هاتان الكلمتان ترسمان لوحة متكاملة لمصير المؤمن:

· "نتقبل أحسن ما عملوا": هذا جانب العطاء والفضل، حيث يعطيك فوق ما تستحق.

· "ونتجاوز عن سيئاتهم": هذا جانب العفو والصفح، حيث لا يحاسبك على ما اقترفت.
إنها لوحة يغلب فيها الضوء على الظلام. لو كنت انسانًا، ووُعدت من ملك بهذا، أفلا تطمئن؟

الأمر الرابع: تحليل الكرم الثالث {فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ}

س1: ما دلالة أنهم "في أصحاب الجنة" وليسوا "في الجنة" فقط؟

لم يقل: "ندخلهم الجنة". بل قال: "في أصحاب الجنة". هذا أبلغ وأعظم. فكلمة "في" للظرفية، تدل على أنهم مغمورون في زمرة أصحاب الجنة، مختلطون بهم، معدودون منهم. إنها عضوية شرف في نادي النبلاء الأبدي. هم ليسوا غرباء، بل هم في صفوة أهل الجنة. إنه إعلان عن الانتماء للرفقة العليا.

الأمر الخامس: تحليل خاتمة التوكيد {وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ}

س1: لماذا سماه "وعد الصدق"؟

كل وعد من الله صدق. ولكن تسميته هنا بـ "وعد الصدق" فيه تعظيم وتفخيم. يعني هذا هو الوعد الذي بلغ الغاية في الصدق، ليس فيه شائبة تخلف. وكأنه يقول: هذا فوق كل موعود، هو الصدق بعينه. ثم إن إضافة "الوعد" إلى "الصدق" فيه إشعار بأن المؤمنين وُعدوا في الدنيا على ألسنة الرسل بهذا، فكانوا على يقين أنه سيقع. وها هو اليوم يقع لهم فيقال: هذا هو وعد الصدق الذي طالما وُعدتموه. فانظر كيف هو مطابق لما سمعتم، لا ظلم اليوم.

ثانيًا: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل والمفاهيم من الآية

المحور الأول: كيف نقرأ الآية القراءة الواعية ونحولها إلى واقع حياة؟

أولا ً: التدبر القلبي في "نتقبل".

· التعلق بالقبول: في كل عمل صالح تعمله، لا تنشغل بكثرته، بل انشغل بقبوله. قل دائمًا: "اللّهم تقبل مني". هذا الشعور يملأ قلبك إخلاصًا وخشية وإحسانًا في العمل.

ثانيًا: التدبر العملي في "أحسن ما عملوا".

· الإحسان في كل شيء: هذه الآية تدعوك لأن يكون في كل عمل تعمله "أحسن" ما فيه. صلاتك: أتقنها. صدقتك: أخلصها. عملك: أبهر فيه. لأن ذلك "الأحسن" هو الذي سيكون معروضًا للقبول.

ثالثًا: التدبر النفسي في "ونتجاوز".

· سيكولوجية تجاوز الأخطاء: كما تجاوز الله عنك، تجاوز عن أخطاء الآخرين. هذه الآية تصنع في قلبك سعة صدر ورحمة. فإذا كان ملك الملوك يتجاوز، فمن أنت حتى لا تتجاوز؟

المحور الثاني: المفاهيم وكيفية تحويلها إلى واقع حياة

.1مفهوم ثقافة القبول.

· المفهوم: الهدف ليس مجرد العمل، بل أن يكون العمل مقبولا ً عند الله.
· في حياتنا العملية: غير نيتك في كل عمل من "أن أفعله" إلى "أن يُتقبل مني". هذا التحول النفسي يغير جودة حياتك كلها.

.2مفهوم الرجاء المطلق في الله.

· المفهوم: مهما تكن ذنوبك، فإن كرم الله في "التجاوز" أعظم.
· في حياتنا العملية: لا تقنط من رحمة الله، مهما عظمت ذنوبك في عينيك. هي صغيرة في جنب كرمه. عِشْ بالرجاء، ولكن لا تغتر، فالمعنيون بالآية هم المحسنون الذين سَعَوا.

.3مفهوم "وعد الصدق".

· المفهوم: كل موعود الله آتٍ لا ريب فيه.
· في حياتنا العملية: ابنِ حياتك على أساس أن وعد الله هو الحقيقة المطلقة الوحيدة. هذا يجعلك تبيع الفاني بالباقي، ولا تتردد في التضحية من أجل ما عند الله.

المحور الثالث: الدروس العملية لتأسيس الشخصية الإيمانية

.1درس الطمأنينة: المؤمن يفعل الخير ثم ينام قرير العين، لأنه يعلم أن الله سيختار أحسن عمله ويتجاوز عن سيئه.
.2درس التوازن بين الخوف والرجاء: "نتجاوز" تبعث الرجاء، و"أحسن ما عملوا" تبعث على الخوف من عدم القبول، فيبقى القلب معلقًا بالله.
.3درس الانتماء للصفوة: اسعَ لتكون من "أصحاب الجنة"، واجعلهم قدوتك، وعش لتلحق بالركب.
.4درس الصدق: كن مع الله صادقًا، ليصدقك الله وعده.

المحور الرابع: ما الذي يريده الله منا في هذه الآية؟

.1يريدنا أن نطمئن إلى عدله وكرمه، فلا نيأس ولا نجزع.
.2يريدنا أن نركز على "الإحسان" في العمل، لا على مجرد الكثرة.
.3يريدنا أن نوسع قلوبنا لخلقه ونتجاوز عن أخطائهم.
.4يريدنا أن نثبت على طريق الاستقامة، لأن العاقبة لهذا الوعد الجميل.

المحور الخامس: ما الذي تدعونا إليه الآية في حياتنا العملية؟

.1دعوة لمراجعة النية: اجعل شعارك: "اللهم إني أسألك قبول أحسن ما عملت، وتجاوز سيئاتي".
.2دعوة للإبداع والإتقان: ابحث في كل عمل عن "أحسنه".
.3دعوة لتصفية القلوب: تجاوز عن زلات الإخوة، واطلب لهم القبول عند الله.
.4دعوة للثقة في موعود الله: لا تنظر للتأخير في الإجابة، فوعد الله لا يتخلف.

المحور السادس: ما الذي نتعلمه من الآية في ضوء سياقها التاريخي؟

نزلت الآية في مكة، في زمن كان المؤمنون فيه يُعذّبون، ويسألون أنفسهم: هل سيُقبل منا كل هذا الجهد؟ هل سنُجزى على ما نحن فيه من صبر؟

.1بشرى بالتجاوز عن الهفوات: كان بعض المستضعفين قد يصدر منهم ما يضطرون إليه من كلمة الكفر تقية، أو غيرها من الهفوات .فجاءت هذه الآية برداء الرحمة لتخبرهم أن الله سيتجاوز عن سيئاتهم، وسينظر إلى أحسن أعمالهم.
.2وعد بالجنة مع السابقين: كان الفقراء يُهانون، فأخبرهم الله أنهم في صحبة أصحاب الجنة، وهم الصفوة، فلا تحزنهم نظرة المجتمع لهم.
.3تثبيت لقلب النبي ﷺ والمؤمنين: هذا الوعد الرباني كان يمنحهم طاقة هائلة للاستمرار.

المحور السابع: أهم المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية وتحويلها إلى طاقة بناء الإنسان والمجتمع و الحضارة الإسلامية

هذه الآية هي كنز من كنوز الطاقة التحويلية. إنها لا تصف الجزاء فحسب، بل تقدم نموذجًا للتعامل ا لإنساني الراقي. لنستخرج هذه النماذج على المستويات الثلاثة:

أولا ً: المفاهيم النفسية: صناعة الإنسان الواثق المتفائل

.1التخلص من عقدة الذنب واليأس) من "ونتجاوز عن سيئاتهم"(:

· المفهوم: الإنسان ليس مطالبًا بالكمال المطلق، بل بالسعي والتوبة. ويقينه بأن الله "يتجاوز" يحرره من جلد الذات المدمّر، ومن اليأس من المستقبل.
· تحويله لطاقة بناء الإنسان: هذا المفهوم ينتج "الإنسان التوّاب الفعّال". هو إنسان يخطئ، ولكنه ينهض سريعًا، لا تدمره أخطاء الماضي ولا تقعده. طاقته النفسية لا تهدر في دوامة الندم العقيم، بل تتحول إلى طاقة إيجابية للعمل الصالح. هو يعيش حالة من الصلح مع نفسه، لأنه في صلح مع ربه. هذا الإنسان هو القادر على العطاء المستمر.
.2الإحساس بالقيمة والاصطفاء) من "نتقبل عنهم أحسن ما عملوا"(:
· المفهوم: الله لا ينظر إلى الكم، بل إلى الكيف. هو ينظر إلى "أحسن" ما فيك، ويتقبله. هذا يمنحك شعورًا عميقًا بأنك مرئي بعين العناية، وبأن جهدك مُقدّر.
· تحويله لطاقة بناء الإنسان: هذا المفهوم يصنع "الإنسان المبدع". إذا كان الله سينظر إلى أحسن عملي، فلماذا لا يكون كل عملي في مستوى الإحسان؟ هذا الدافع الداخلي (رجاء القبول) هو أقوى محفز للإبداع والإتقان. إنه يحول العمل من واجب ثقيل إلى فن جميل يُراد به وجه الكريم.

ثانياً: المفاهيم الفكرية: صناعة العقل المنهجي الشامل

.1فقه الأولويات) من "أحسن ما عملوا"(:
· المفهوم: ليس المهم أن تعمل كل شيء، بل المهم أن تتقن أفضل ما تعمل. هذا يعلمنا فقه الأ ولويات، والتركيز على القمم لا على السفوح.
· تحويله لطاقة بناء المجتمع: تعميم هذا الفقه في المجتمع ينتج "مجتمع التخصص والإتقان". مجتمع لا يشتت أفراده طاقاتهم في كل اتجاه بشكل سطحي، بل يوجه كل فرد طاقته لإتقان مجاله. هذا يبني اقتصادًا قويًا، وعلومًا راسخة، وقضاءً عادلا ً، لأن الكل يسعى لأن يكون عمله من "أحسن" الأعمال التي تُقبل. هذه هي ثقافة الجودة الشاملة التي تنهض بالأمم.
.2فقه العدالة والرحمة) من "نتجاوز"(:
· المفهوم: القانون الإلهي ليس قائمًا على العقاب فقط، بل على التجاوز والإصلاح. هذا ميزان التشريع الرباني: القبول للإحسان، والتجاوز عن السيئات بعد التوبة.
· تحويله لطاقة بناء المجتمع: هذا الفقه يبني "مجتمع الرحمة والإنصاف". مجتمع لا يطارد صغائر الذنوب، ولا يهدم الناس بخطأ واحد، بل يتجاوز عن الهفوات، ويركز على تنمية الحسنات. هذا المجتمع يقل فيه العاقبون، ويكثر فيه المصلحون. القلوب فيه متآلفة، لأنها توقن أن ربها يتجاوز، فلماذا لا يتجاوزون؟

ثالثاً: المفاهيم التربوية: صناعة الجيل المتيقن بالوعد

.1التربية على "وعد الصدق":
· المفهوم: تربية الناشئة على الثقة المطلقة في موعود الله، في كل جزئية من حياتهم. وعد الله للنجاح للمجتهد، وعد الله للعزة للمؤمن، وعد الله بالجنة للمستقيم.
· تحويله لطاقة بناء الحضارة: جيل يتربى على أن "وعد الله صدق"، هو جيل الإرادة الصلبة. إنه جيل لا تثنيه العقبات، ولا تضعضعه الإخفاقات المؤقتة، لأنه ينظر إلى ما وراء الأفق. إنه يعمل وهو على يقين أن النصر آت، وأن الجنة آتية. هذا اليقين هو الذي صنع انتصارات المسلمين الأوائل، وهو الذي يبني حضارة لا تقهرها الصعاب، لأنها موصولة بالسماء بوعد الصدق.
.2التربية على توقي "السيئات" واستصغار "الحسنات":
· المفهوم: غرس في الناشئة أن الجنة ثمنها هو أن يجتهدوا في الإحسان، وألا يقنطوا من رحمة الله إذا وقعوا في السيئات، بل يبادروا بالتوبة فيتجاوز الله عنهم.
· تحويله لطاقة بناء الحضارة: هذا ينتج جيل الطهر والعمل. جيل يخاف الذنوب، فتحفظ أعراض المجتمع وأمواله، ولكنه لا يصاب بالإحباط إذا أخطأ، فيستمر في مسيرة البناء. هذا الجيل المتوازن، التقي الواثق برحمة الله، هو الذي يحمل مشعل الحضارة بأمانة، دون أن يحرقه التطرف، أو يميّعه التسيب.

رابعاً: كيف تتكامل هذه المفاهيم لتوليد طاقة البناء الحضاري الشامل؟

انظر إلى هذه المنظومة المتكاملة التي تقيم صرحًا حضاريًا فريدًا:

.1قاعدة الصرح: الفرد الواثق المتقن:
· الآية تنتج إنسانًا متصالحًا مع نفسه (بالتجاوز)، مبدعًا في عمله (للقبول)، واثقًا في مستقبله (بوعد الصدق). هذا هو المواطن الذي تبنى به الحضارات.
.2هيكل الصرح: المجتمع المتسامح المبدع:

· هؤلاء الأفراد حين يجتمعون، يقيمون مجتمعًا يفيض تسامحًا (بالتجاوز)، ويضج إتقانًا (بالقبول)، ويسير على بصيرة (بفقه الأولويات). هذا هو المجتمع المتماسك القادر على المنافسة الحضارية.
.3قمة الصرح: الحضارة الواثقة بوعد الله:
· هذا المجتمع، بهذا النفس المتسامح، والروح المتقنة، والعقل الواثق، يبني حتمًا "حضارة الوعد الصادق". حضارة لا تخاف المستقبل، ولا تنهار عند الأزمات، لأن بوصلتها هي وعد الله. إنها الحضارة التي تحمل للإنسانية جمعاء رسالة أمل، وتقول لهم: كما تجاوز الله عنا، فتجاوزوا. وكما تقبل الله أحسن أعمالنا، فأتقنوا. وكما صدقنا الله وعده، فثقوا. هذه هي حضارة الإسلام التي ننشدها.

الختام: رسالة إلى قلبك

أيها السائر على درب الاستقامة، المتعب من ثقل الزلات، المهموم من قلة الزاد، اسمع هذا النداء الإلهي جيدًا. "أُولَـٰئِكَ"... نعم أنت، إن كنت منهم. أنت ذلك الذي ينظر الله إلى أحسن ما فيك، فيتخذه، ويتجاوز عما سواه. لا تيأس. لا تقل: ذنوبي كثيرة. بل انظر كيف يعاملك الكريم.
إنه لا ينتظر منك الكمال، بل ينتظر منك "الإحسان" في المحاولة. يريد منك أن تصلي فتحسن صلاتك ، أن تصدق فتخلص صدقتك، أن تعمل فتتقن عملك. هذا "الأحسن" هو الذي سيبقى في صحيفتك، وهو الذي سيكون شفيعًا لما سواه. ثق في وعد ربك، فإنه "وعد الصدق". أحسن الظن بالله، وتجاوز عن خلقه، يعاملك الله بأكثر مما ترجو.
اخرج إلى دنياك، واجعل هذه الآية زادك. كلما أثقلتك الذنوب، تذكر "ونتجاوز عن سيئاتهم". وكلما شعرت بفتور في العمل، تذكر "نتقبل عنهم أحسن ما عملوا". نم قرير العين، فإن وعد الله لا يخلف، وأنت، إن شاء الله، من "أولئك".
المبحث الثاني
النموذج الثاني:
نموذج الأبناء العصاه
اولا
بعد أن عرض الله علينا لوحة "الإنسان البار" في أسمى تجلياته، بدءًا من وصية الله بالوالدين، ومرورًا بدعاء الصالحين في سن الأربعين، وانتهاءً بوعد القبول والتجاوز، يأتي بنا السياق القرآني إلى اللوحة المقابلة. إنه المشهد المؤلم، المظلم، الذي ترتجف له القلوب. مشهد "الإنسان العاق"، الذي رد الجميل نكرانًا، وقابل الإحسان كفرانًا. إنها آية تفضح منطق الكفر والجحود، وتكشف عن أصل كل شر: التكذيب بالبعث والاستهانة بوعد الله. إنها ليست مجرد قصة، بل هي مرآة مخيفة، يضعنا القرآن أمامها لنسأل أنفسنا: من أي الفريقين نحن؟ استعد، واجمع شتات قلبك، ولنستمع إلى هذا الحوار الموجع، حوار العقوق والإنكار، في قول الله الحق: {وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} (17).

المقدمة: بين البر والعقوق، مشهدان متناقضان

تأمل معي عظمة النظم القرآني. في الآيات الثلاث السابقة (15-16)، رأينا نبذة من سيرة البررة: "وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا..."، ثم "أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ...". وفجأة، ينتقل السياق إلى هذا النموذج البائس: "وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا". لماذا هذا الانتقال؟ إنها سنة القرآن في عرض الحق و الباطل، والخير والشر، جنبًا إلى جنب، ليتضح الفرق، وتقوم الحجة. هذه الآية تصور شخصًا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة، ولكن بدل أن يشكر الله ويبر والديه، قابل نعمة الله ونعمة والديه بالجحود و العقوق. في الآية السابقة رأينا منتهى الوفاء، وفي هذه الآية نرى منتهى الجفاء. إنها تضعك أمام خيارين لا ثالث لهما: إما أن تكون ذلك الداعي الشاكر، وإما أن تكون هذا العاق المكذب. فاختر لنفسك أين تضعها.

بيان تفسير الآية والمعنى العام لها أولا ً

ما هو المعنى الإجمالي الذي تخبرنا به هذه الآية؟
يخبرنا الله جل وعلا عن نموذج آخر من البشر، في مقابل النموذج الصالح الذي سبق. إنه الولد العاق،

الذي قال لوالديه – عندما دعواه إلى الإيمان بالبعث والجزاء – كلمة قبيحة هي أقصى ما يمكن أن يسمعه الوالدان من ابنهما: {أُفٍّ لَكُمَا}. وهي كلمة تضجر واستقذار وملل. إنه يتأفف من دعوتهما له إلى الحق. ثم يضيف إلى هذا العقوق تكذيبًا صريحًا بالبعث: {أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ} أي أتعداننني أن أبعث من قبري حيًا مرة أخرى؟ {وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي} أي قد مضت أمم كثيرة قبلي وماتوا، ولم يعد منهم أحد! فهو يستبعد عقلا ً أن يعود ميت بعد أن بلي.
وهنا تصل المأساة ذروتها. فأبواه المؤمنان – اللذان هو سبب شقائهما – يقفان موقفًا نبيلا ً مفعمًا بـ الشفقة والحب: {وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللهَ} أي يطلبان الغوث من الله لهدايته، ويدعوانه ويبذلان كل جهدهما. ثم يخاطبانه بلهجة المشفق الحنون: {وَيْلَكَ آمِنْ}، أي ويحك ويا حسرتك! آمن بـالله واليوم ا لآخر. {إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ}، إن ما وعدنا الله به من بعث وجزاء هو الحق الذي لا ريب فيه.
ولكن، ما هو رد فعله إزاء هذا الحب المتدفق؟ العناد والجحود: {فَيَقُولُ مَا هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ}، أي ما هذا الذي تسمعاني إياه إلا أكاذيب الأولين الموروثة، سطروها ولا حقيقة لها. إنها قسوة القلب التي لا قسوة بعدها. إنه مشهد يدمي القلب، ولكنه مشهد موجود في كل زمان ومكان. فلنقترب منه أكثر، لنأخذ العبرة، ونحذر أن نكون من أهله.

أولا ً: تحليل الآية الكريمة

الأمر الأول: تحليل قوله تعالى: {وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي}

المحور الأول: أداة العطف "وَالَّذِي" وربطها بالنموذج المقابل

س1: لماذا عطف هذا النموذج على النموذج السابق بـ "الواو"؟

"واو" العطف هنا هي واو الجمع في الحكم، وواو التضاد في الصورة .لقد ذكر الله "الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا"، ثم ذكر صاحب الدعاء البار، ثم أردفه بهذا النموذج .إنه يريك الطريقين، ثم يتركك تختار .إنها تقول لك: انظر إلى الفريقين، ثم احكم: أيهما تريد أن تكون؟ هذه الواو هي واو المقابلة، لتظهر قبح الباطل بجوار جمال الحق.

المحور الثاني: تحليل جريمة العقوق {قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا}

س1: ما هو المعنى اللغوي والنفسي لكلمة "أفٍّ"؟

"أفٍّ" اسم فعل مضارع بمعنى أتضجر وأتكره .هي نغمة صوتية، همهمة تخرج من الأنف، فيها كل معاني الاستقذار والاحتقار والتذمر .إنها أقل كلمة في اللغة، ولكنها أشدها إيلامًا عندما توجّه إلى من ربياك وأطعماك وسهرا عليك .في الآية السابقة قال الله: "وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا" .فقابله هنا بقوله: "أُفٍّ لَّكُمَا" .أيهما منك؟ البر أم العقوق؟ إن كلمة "أف" هي النقيض التام لـ"الإحسان" .انظر إلى جحود هذا الابن! لقد نسي تلك الآلام التي عانتها أمه: "حملته أمه كرهًا ووضعته كرهًا" .كل ذلك تلخص هنا في "أف"! ألا يقطّع قلبك ألمًا على تلك الأم التي سمعت هذه الكلمة من فلذة كبدها؟

س2: لماذا أفرد فعل "قَالَ" بينما الخطاب كان للوالدين "لِوَالِدَيْهِ"؟

قال "قَالَ لوالديه" ولم يقل "قالا له" أو "قال لهم". هو الذي بدأ بالعقوق. هما لم يبدآ بخصومة، بل هما دعواه إلى الله وذكراه بالبعث، فبادرهما هو بهذه الكلمة الجارحة. هذا يبين أن هذا الإبن هو المعتدي، وأن رد فعله القبيح لم يكن إلا نتيجة لخبث نفسه وجحوده.

المحور الثالث: تحليل التكذيب بالبعث {أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي}

س1: ما دلالة استفهامه الإنكاري "أَتَعِدَانِنِي"؟

استفهام إنكاري ساخر. إنه لا يستفهم ليفهم، بل ليسخر ويكذب. إنه يرى أن مجرد فكرة البعث هي فكرة مضحكة لا تستحق إلا السخرية. وهذا يفضح أصل المشكلة: إن جحود البعث هو الذي أفسد قلبه، لأن الذي لا يؤمن بيوم القيامة لا يرجو ثوابًا ولا يخاف عقابًا، فيصبح مثل البهيمة، لا همّ له إلا شهواته، فيضيق ذرعًا بوالديه لما تقدم بهما السن واحتاجا إليه، فيتضجر ويتأفف.

س2: كيف رد على حجة البعث بقوله "وقد خلت القرون من قبلي"؟

إنه يقول: هذه أمم قديمة، ماتت واضمحلت أجسادها، ولم يبعث منها أحد، فكيف أبعث أنا؟ إنه رد مبني على "الاستبعاد العقلي". وهو شبهة قديمة جديدة، رد عليها القرآن في مواضع كثيرة بأن الإعادة أهون من البدء، وأن الله على كل شيء قدير. ولكن هذا العاق يريد حجة ليرفض، فيتشبث بها.

الأمر الثاني: تحليل قوله تعالى: {وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ}

المحور الأول: تحليل جهاد الوالدين المؤمنين {وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللهَ}

س1: ما هو المعنى العميق لـ "يستغيثان الله"؟

"يستغيثان" من الغوث، وهو طلب النجدة والخلاص .هما لا يستغيثان من فقر أو مرض، بل يستغيثان الله من كفر ابنهما وعقوقه .إنهما يطلبان الخلاص له لا منه .إنهما يخافان عليه من النار لا من جفائه . هذا هو الحب الأبوي في أسمى صوره: عدونا هو الذي يسبنا ونحن ندعو الله له بالهداية .وهما في الوقت نفسه يستغيثان إلى الله أن يصبرهما على هذا الابتلاء .ألا ترى كم هو نبيل هذا المشهد، وكم هو مقزز مشهد الابن في المقابل؟

س2: لماذا استخدم الفعل المضارع "يستغيثان"؟

للدلالة على استمرارهما في هذا الدعاء. إنهما لا يملان ولا ييأسان. كلما أغلظ لهم الابن، فزعا إلى الله. حالة من اللهج الدائم بالدعاء، والطمع الدائم في هدايته. هذه هي قلوب المؤمنين، لا تيأس من روح الله. يا لها من مقارنة بين إيمان الوالدين وجحود الابن!

المحور الثاني: تحليل نداء الحب والشفقة {وَيْلَكَ آمِنْ}

س1: ما هو التناقض العجيب بين "ويلك" و "آمن"؟

"ويلك" كلمة تقال في مقام التهديد والوعيد .لكنها هنا، من فم الوالدين، ليست تهديدًا بل هي تعبير عن شدة الشفقة والخوف على الابن من العذاب .كأنهما يقولان: "ويحك يا ولدي، أعظم المصائب والويلات ستنزل بك إن لم تؤمن" .ثم مباشرة "آمن"، إنه نداء تحذير ورجاء معًا .يا للروعة! إنهما يريان ابنهما على شفا حفرة من النار، فيصرخان به محذرين ومشفقين: الهلاك كل الهلاك لك إن لم تؤمن، فأدرك نفسك وآمن!

س2: كيف يمثل هذا الموقف قمة المعركة بين الإيمان والكفر في الأسرة الواحدة؟

هذا مشهد يتكرر في كل زمان. صراع الأجيال ليس دائمًا حول نمط الحياة المادي، بل قد يكون حول الإيمان بالله واليوم الآخر. والد مؤمن، وأم مؤمنة، وابن كافر أو علماني أو مستهتر. الأبوان يستغيثان الله، ويحاولان بكل لهفة، ويقابلان بالإعراض. في هذه الآية درس لكل أب وأم: أخلصا الدعاء، واستمرا فيه، فو الله ما ضاع دعاء والد على ولده.

المحور الثالث: تحليل منطق الإيمان {إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ}

س1: لماذا ركز الوالدان على "وعد الله" وهو البعث؟

لأنهما فهما أن أصل مشكلة ابنهما هو التكذيب بالآخرة. فقالا له: "إن وعد الله حق"، أي أن ما وعد الله به من بعث وحساب وجنة ونار، هو الحق الثابت الذي لا يتخلف. لقد جاءا بهذا التوكيد المؤكد بـ"إنّ" ليواجها إنكاره، وليزرعا في قلبه ولو ذرة من شك في موقفه. إنهما يعالجان المشكلة من جذورها: أصلح إيمانك بالآخرة، تصلح كل أمورك.

المحور الرابع: تحليل الرد الجاحد {فَيَقُولُ مَا هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ}

س1: ما معنى "أساطير الأولين"؟

"أساطير" جمع أسطورة، وهي ما سطره الأولون من القصص الخرافية .هذا هو الرد الذي كان يقوله مشركو قريش للقرآن: "وقالوا أساطير الأولين اكتتبها" .فالابن العاق يستعمل نفس كلمات كفار مكة .إنه يصف دعوة والديه ووعدهما له بالبعث بأنها مجرد خرافات قديمة سمعوها من أجدادهم .إنه لا يقول: "أنا لم أقتنع"، بل يقول: "هذا باطل قديم" .إنه يصف الحق بالباطل، والنور بالظلام.

س2: ما هي "منتهى قسوة القلب" التي تظهر في هذا الرد؟

قسوة القلب ليست في أن يرفض الابن الدعوة فحسب، بل في أن يصف نصيحة والديه – المغموسة بالدموع والشفقة – بأنها "أساطير". إنه لا يجرح مشاعرهما فقط، بل يجرح إيمانهما. إنه يسفه معتقدهما. هذا هو الجحود الذي ينبع من قلب أظلم من الليل. ولهذا استحقوا العذاب المهين.

ثانياً: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل والمفاهيم من الآية

المحور الأول: كيف نقرأ الآية القراءة الواعية ونحولها إلى واقع حياة؟

أولا ً: التدبر القلبي في "أف".

· ضع نفسك مكان الوالدين: كلما هممت أن تقول كلمة ضجر لوالديك، تذكر كلمة "أف" في القرآن . تذكر أن هذه الكلمة هي شعار العاقين .استبدلها بكلمة طيبة، بابتسامة، بقبلة .هذا هو الجهاد الأكبر.

ثانياً: التدبر الفكري في حجج الكافرين.

· تحلل منطق العاق: "وقد خلت القرون من قبلي" .قارن هذا المنطق بما تسمعه اليوم من شبهات . ستجد أنه هو هو .هذا يجعلك واعيًا أن الشبهات قديمة، وأن ردود القرآن عليها كافية شافية.

ثالثاً: التدبر العملي في "يستغيثان الله".

· سلاح الوالدين: إذا كان أحد والديك أو كلاهما غير مستقيم، أو كان ولدك عاقًا أو كافرًا، فالوصفة القرآنية هي "يستغيثان الله" .ألح في الدعاء، وتضرع، ولا تيأس.

المحور الثاني: المفاهيم وكيفية تحويلها إلى واقع حياة

.1مفهوم خطورة التكذيب بالبعث.

· المفهوم: إنكار الآخرة هو أصل كل فساد وكل عقوق .ففاقد الأمل في الجزاء لا يبالي ما فعل.
· في حياتنا العملية: عزز إيمانك باليوم الآخر .قف كل يوم وقفة تتأمل فيها أهوال القيامة والجنة و النار .هذا الإيمان يضبط سلوكك مع الله والوالدين والناس.

.2مفهوم بر الوالدين في كل حال.

· المفهوم: البر ليس مقابلة الإحسان بالإحسان فقط، بل هو مقابلة الإساءة بالإحسان أحيانًا .هذان الوالدان قابلا "أف" بـ"يستغيثان الله" و"ويلك آمن" .هذا هو البر الممتد.
· في حياتنا العملية: مهما كان والديك، عاقين أو كافرين، فوصية الله أن تصاحبهما في الدنيا معروفًا، وأن تدعو لهما بالهداية، وأن لا تقل لهما "أف".

.3مفهوم أن الهداية بيد الله.

· المفهوم: الوالدان الصالحان لم يستطيعا هداية ابنهما .هذا درس لكل داعية ولكل أب وأم.
· في حياتنا العملية: بلغ، وانصح، وادعُ، ولا تيأس، ولكن لا تحمل نفسك فوق طاقتها .فالهداية بيد الله وحده.

المحور الثالث: الدروس العملية لتأسيس الشخصية الإيمانية

.1درس عاقبة الكبر: الكبر والإعجاب بالعقل هو الذي قاد هذا الابن إلى الجحيم، حين ظن أن عقله

أصدق من وعد الله .تواضع للحق.
.2درس خطورة الكلمة: كلمة "أف" صارت آية قرآنية يلعن بها كل عاق إلى يوم القيامة .فانتبه لما تقوله لوالديك.
.3درس الصبر على الدعوة: مهما قابلتك من إعراض، واصل، كما واصل أبواه معه.
.4درس الخوف من سوء الخاتمة: هذا الابن مات على كفره .فاجعل خوفك من سوء الخاتمة دافعًا لك للاستقامة.

المحور الرابع: ما الذي يريده الله منا في هذه الآية؟

.1يريدنا أن نتعظ بحال العاق، ونكون من الأبرار.
.2يريدنا أن نوقن بأن وعد الله حق، وألا نكون من المكذبين.
.3يريدنا أن نستخدم سلاح الدعاء في مواجهة كفر الأحباب وعقوق الأبناء.
.4يريدنا أن ندرك قيمة الوالدين، فنقدم لهما "الإحسان" لا "الأف".

المحور الخامس: ما الذي تدعونا إليه الآية في حياتنا العملية؟

.1دعوة لفحص اللسان: هل سقطت منك كلمة ضجر لوالديك؟ استغفر الله، وسارع بالاعتذار وتقبيل الرأس.
.2دعوة للاستغاثة بالله للأبناء: اجعل "يستغيثان الله" منهجك مع أبنائك الضالين .دعاؤك في السحر لهم لا يرد.
.3دعوة للاستعداد للآخرة: لا تكن ممن يقول: "وقد خلت القرون من قبلي" .كل آتٍ قريب، والموت باب الأبد.
.4دعوة للحوار بالحسنى: حتى عندما تختلف مع من حولك، لا تقل لهم "أف"، ولا تصف معتقداتهم بـ"أساطير"، بل قل: "آمنت بالله، وإنني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم".

المحور السادس: ما الذي نتعلمه من الآية في ضوء سياقها التاريخي؟

نزلت الآية في مكة، والمشركون يصفون القرآن بأنه أساطير الأولين. قيل إنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر قبل إسلامه، أو في أحد أقرباء عثمان بن عفان.

.1تسليط الضوء على جذور الكفر: الآية ربطت بين العقوق والكفر، فجعلت العقوق ثمرة للتكذيب بـ البعث .وهذا ينبه إلى أن منشأ الأخلاق السيئة هو فساد العقيدة.
.2إنذار للشباب المفتونين بدعوى آبائهم: كان في مكة شباب اتبعوا آباءهم على الشرك .فجاءت هذه ا لآية لتقلب الآية: هذا شاب عاق لأبوية المؤمنين، فالضلال ليس وراثة، بل اختيار.
.3تثبيت المؤمنين: الذين كان آباؤهم مشركين، تعلموا من الآية أن العبرة بالدينونة لله، وبأنهم على حق مهما كلفهم ذلك من عقوق مجتمعي.

المحور السابع: أهم المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية وتحويلها إلى طاقة بناء الإنسان والمجتمع و الحضارة الإسلامية

هذه الآية التي تبدو أنها تحكي مأساة فردية، تحمل في طياتها معادلات عظيمة لبناء الإنسان و المجتمع والحضارة. لنستخرج هذه المعادلات على المستويات الثلاثة:

أولا ً: المفاهيم النفسية: صناعة الإنسان البار المسؤول

.1الوعي بـ "تشريح العاق" لتفادي أمراضه) من "أف" و"أساطير"(:
· المفهوم: الآية تعرض لك تشريحًا نفسيًا للإنسان العاق الجاحد، لتجعلك تشمئز منه وتتحاشى أن تكون مثله.
· تحويله لطاقة بناء الإنسان: هذا المفهوم يصنع "الإنسان الناكر لذاته"، أي الإنسان الذي يمتلك وعيًا ذاتيًا نقديًا .إنه يراقب نفسه: هل بدأت تظهر عليه بذور التضجر من والديه؟ هل بدأ يستثقل نصائحهما ويصفها بالتخلف؟ هذا الوعي الوقائي يحميه من الانزلاق إلى الهاوية، ويبقيه في دائرة البر والوفاء .إنه يصنع إنسانًا سويًا نفسيًا، متصالحًا مع جذوره.
.2علاج "استبعاد البعث" وآثاره النفسية المدمرة) من "أن أُخْرَجَ"(:
· المفهوم: منشأ القلق الوجودي والعبثية هو الشك في البعث .العاق يعيش في قلق دفين يظهر في صورة عدوانية على أقرب الناس إليه.
· تحويله لطاقة بناء الإنسان: الإيمان الراسخ بـ "أن أُخْرَجَ" يصنع "الإنسان المتيقن" .هذا الإنسان

لا يعيش أزمة العبث، بل يعيش معنى واضحًا لحياته .هذا اليقين يحرره من القلق، ويجعله ودودًا رحيمًا، لأنه ينتظر عدل الله في الآخرة، فلا يحتاج أن يثور على واقعه أو على والديه .طاقته تتحول من التذمر إلى السعي للآخرة.

ثانياً: المفاهيم الفكرية: صناعة العقل الناقد للشبهات

.1كشف ضعف الشبهة المادية) من "وقد خلت القرون"(:
· المفهوم: الآية تعلمنا كيف نفحص الشبهات .حجة العاق) خلت القرون (قائمة على استبعاد إعادة الخلق .القرآن يعلمنا أن ننقد هذه الحجة بأن القدرة الإلهية لا تقاس بقوانين الطبيعة.
· تحويله لطاقة بناء المجتمع: تعليم المجتمع هذا النقد المنهجي للشبهات، يبني "مجتمع التحصين الفكري" .مجتمع لا ينهار إيمانه عند أول درس في العلوم الطبيعية، لأنه يفهم أن "خَلَتِ القرون" ليس دليلا ً على استحالة البعث، بل هو دليل على قانون الموت، وأن البعث خرق لهذا القانون بقدرة خ الق القانون .هذا مجتمع متماسك فكريًا.
.2التفريق بين "العلم" و"الأسطورة" في الميزان القرآني) من "أساطير الأولين"(:
· المفهوم: الكافر يسمي الحق أسطورة، والمؤمن يعرف أن "وعد الله حق" .ميزان القرآن يفرق بينهما: الحقيقة هي ما أخبر به الصادق، والأسطورة هي ما افتراه البشر.
· تحويله لطاقة بناء المجتمع: هذا يبني "مجتمع المعيارية الواعية" .مجتمع لا تنطلي عليه تسمية الباطل "علمًا متقدمًا" وتسمية الحق "أساطير الأولين" .فهو يزن المصطلحات بميزان الوحي .هذا المجتمع لا تهزه رياح الفلسفات المادية، ولا يستبدل قيمه لأن آخرين يسخرون منها.

ثالثاً: المفاهيم التربوية: صناعة الجيل البر المصلح

.1التربية على "الامتنان" لا "الاستثقال") من مقابلة "أف" بـ "الإحسان"(:
· المفهوم: علينا أن نربي الناشئة على رؤية تضحيات الوالدين، وتقديرها، والاعتراف بالجميل، لا على لومهم على تقصيرهم أو استثقال وجودهم.
· تحويله لطاقة بناء الحضارة: جيل يتربى على "الإحسان" للوالدين، هو جيل "الامتنان المجتمعي" . من تعلم أن يشكر والديه، سيتعلم أن يشكر معلميه، ويحترم كبار السن، ويقدر تضحيات من سبقوه . هذا الجيل يبني مجتمعًا متماسكًا بالعرفان، لا تمزقه الأثرة وحرب الأجيال .الحضارة التي تنهض هي التي تحترم من أسسوا لها وآباؤها وأمهاتها.
.2التربية على "الاستغاثة بالله" كأول الحلول) من "يستغيثان الله"(:
· المفهوم: في مواجهة أعتى المشكلات) كانحراف الابن(، كان رد فعلهما الأول والأخير هو الا ستغاثة بالله، قبل أي إجراء آخر.
· تحويله لطاقة بناء الحضارة: جيل يتربى على أن "الاستغاثة بالله" هي الملاذ الأول، هو جيل "التوكل الواعي"، الذي لا يعني تركه للعمل، بل اقترانه باللجوء إلى مصدر القوة الحقيقي .هذا الجيل يبني حضارة لا تنهار عند الأزمات، لأن أفرادها يلجأون في السراء والضراء إلى الله، فيمدهم بمدد من عنده، ويسكب في قلوبهم من السكينة ما يمكنهم من إيجاد الحلول.

رابعاً: كيف تتكامل هذه المفاهيم لتوليد طاقة البناء الحضاري الشامل؟

انظر إلى هذه المنظومة المتكاملة من الدروس المستفادة من هذا المشهد المأساوي:

.1بناء الإنسان) الوقاية من العقوق(:
· الآية تبني إنسانًا يخاف أن يكون عاقًا، فيراقب لسانه وقلبه مع والديه .إنسانًا يوقن بالبعث، فيتجه للعمل للآخرة لا للهدم في الدنيا .هذا هو المواطن الصالح، القوي بإيمانه، الودود بأهله.
.2بناء المجتمع) تمتين النسيج الأسري(:
· هؤلاء الأفراد حين يكونون أسرًا، ينتجون أسرًا قوية قائمة على البر والامتنان .الأسر هي خلايا المجتمع .مجتمع قائم على أسر متماسكة، لا يقبل أن يكون بينه عاق يستثقل والديه .إنه مجتمع متماسك، يحترم الكبير، ويرحم الصغير .مجتمع ينكر على العاقين جرمهم، كما أنكر عليهم القرآن بأبلغ بيان.
.3بناء الحضارة) حضارة الوعد الحق(:
· هذا المجتمع، بهذه الأسر المتماسكة، والعقول المحصنة ضد الشبهات، والأفراد المتوازنين نفسيًا، يبني حتمًا "حضارة البر والوفاء" .إنها حضارة إنسانية عريقة، لا تقوم على الصراع بين الأجيال، بل على تكاملها .إنها الحضارة التي صدرها للعالم "ووصينا الإنسان بوالديه إحسانًا"، فجاءت بأعلى قوانين حقوق الإنسان قبل أن يعرف العالم الغربي هذه المصطلحات بقرون .هذه هي الحضارة التي تستحق أن نحيا من أجلها.

الختام: رسالة إلى قلبك

أيها الشاب، وأيها الكبير، يا من لك والدين حيين، أو يا من لهما ميتين، اسمع. لقد أراك الله مشهدين: مشهد البار الداعي في الأربعين، ومشهد العاق الذي قال "أف". فأين أنت من هذين المشهدين؟
إذا كانت كلمة "أف" هي التي وسم بها القرآن العاقين، فكيف بمن يضرب والديه، أو يطردهما من بيته، أو يسبهما، أو يقاطعهما، أو يرسلهما إلى دار المسنين ليتخلص منهما؟ أولئك الذين ينتظرون موتهما ليرثوا أموالهما، أولئك الذين يحسبون أن تربيتهما دين يمكن سداده بمال، ثم يطوون صفحتهما! أتظن يا من تفعل هذا أن كلمة "أف" صغيرة عليك؟ لا والله، إنها كبيرة، ولكن جرمك أكبر، وعذابك أشد إن لم تتب.
لا تقل: قد فات الأوان. والداك إن كانا حيين، فبادر الآن. قبّل أقدامهما، واطلب منهما العفو، واجعل بقية عمرك في خدمتهما. وإن كانا قد ماتا، فصّل عليهما، واستغفر لهما، وأوصل رحمهما التي لا توصل إلا بهما. وإن كنت أنت ذلك الوالد الذي ابتلي بعاق، فلا تيأس. ها قد رأيت الأبوين يستغيثان الله. افعل مثلهما. ألح في الدعاء، واستغث بالغفور الرحيم. فرحمة الله أوسع، وقدرته على تغيير القلوب أكبر.
اخرج من ظلال هذه الآية، وقد عاهدت ربك ألا تكون أبدًا من "الذي قال لوالديه أفٍّ لكما"، بل أن تكون من "الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا" ومن "الذي قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك". عاهد ربك أن تكون ابنًا بارًا، أو أبًا رحيمًا، لعل الله أن يجعلك من "أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم". جعلني الله وإياك منهم.
ثانيا
وبعد، أيها العقل الذي ذاق مرارة مشهد العقوق، وأيها القلب الذي اهتز ألمًا لحال ذينك الوالدين المستغيثين، قف معي الآن لنشهد الخاتمة .مشهد لا يقل هيبة عن فواتح السورة، ولا يقل رهبة عن مشاهد القيامة .بعد أن عرض الله نموذج البار ونموذج العاق، وتركك في حيرة من أمرك: أيهما تختار؟ يأتي الحكم الفصل، والقانون الإلهي الذي لا يتخلف .إنها الآية التي تعلن بكل وضوح أن الأمر ليس مجرد اختيار شخصي، بل هناك حكم قد نزل، وقضاء قد سبق، وسنة إلهية مضت في الأولين، وستجري في الآخرين .إنها الآية التي تربط مصير هذا النموذج العاق بمصير أمم غابرة، وتضعه في سلسلة الخاسرين عبر التاريخ .استعد، وافتح عقلك وقلبك، ولنسمع معًا حكم العدل الإلهي في قوله الحق:} أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَـٰسِرِينَ.(18) {

المقدمة: من دائرة الاختيار إلى دائرة الحكم

تأمل معي دقة النظم القرآني .في الآية (16) قال الله عن الأبرار: "أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ..." .وهنا في الآية (18) يقول عن العاقّ وأشباهه: "أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ..." .نفس أداة الإشارة "أولئك"، لكن شتّان ما بين المشار إليهما! هناك "أولئك" تشير إلى سادة أهل الجنة، وهنا "أولئك" تشير إلى المحكوم عليهم بالعذاب .لقد رأيت في الآية السابقة حوارًا مؤلمًا، حوارًا بين إيمان الوالدين وكفر الابن .والآن، تنزل الآية الستار .لقد انتهى الحوار، وصدر الحكم .لقد كان الابن يظن أن تكذيبه بالبعث هو حرية فكرية، وأن "أف" هي مجرد كلمة، ولكن ها هو يكتشف أنه بهذا الموقف قد سجّل اسمه في سجل الخاسرين، وألحق بقافلة الهالكين من الجن والإنس .إنها لحظة التحول من "فرد" إلى "نموذج"؛ لم يعد هذا الابن مجرد شخص، بل صار "رمزًا" لفئة "حق عليهم القول" .هذه الآية هي إعلا ن بأن الكفر والعقوق ليسا مجرد خيار شخصي يمر بسلام، بل هما إعلان حرب على الله وسننه، وعاقبتهما الخسران المبين.

بيان تفسير الآية والمعنى العام لها أولا ً

ما هو المعنى الإجمالي الذي تريد هذه الآية أن تزرعه في قلبك؟
بعد أن حكى الله قصة الابن العاق المكذب بالبعث، يأتي التعقيب الإلهي ليقرر مصيره ومصير كل من شاكله .إنه يقول:} أُوْلَـٰٓئِكَ{، أي هذا الصنف العاق الجاحد وأمثاله،} ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ{، أي وجب عليهم وثبت فيهم القول الإلهي السابق، وهو الوعيد بالعذاب الذي سبق أن حكم به الله على أمثالهم من الكفرة .إنهم ليسوا بدعًا في التاريخ، بل هم} فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم{، أي هم داخلون في

زمرة أمم كثيرة مضت قبلهم وسلكت نفس الطريق،} مِّنَ ٱلجِنِّ وَٱلإِنسِ{، فالجريمة واحدة، والعقاب واحد .وما داموا قد ساروا على دربهم، فقد استوجبوا ما استوجبوه .ثم تختم الآية بالحكم القطعي: }إِنَّهُمْ كَانُواْ خَـٰسِرِينَ{، أي إنهم هم الخاسرون حقًا، خسروا أنفسهم وأهليهم ويوم القيامة، ولا خسران أعظم من خسرانهم .إنها آية جامعة مانعة، تعلن أن ثمّة قانونًا إلهيًا ثابتًا: الكفر والاستكبار يؤديان حتمًا إلى صاحبهما في سجل الخاسرين، بصرف النظر عن اسمه أو جنسه أو زمانه.

أولا ً: تحليل الآية الكريمة

الأمر الأول: تحليل منطوق الحكم} أُوْلَـٰئِكَ ٱلذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلقَوْلُ{

المحور الأول: دلالة تكرار اسم الإشارة "أولئك" وتضاد المرجع

س1: لماذا تكرر اسم الإشارة "أولئك" في الآية (16) وهنا في الآية(18) ؟

سبق أن قلنا في الآية السابقة أن "أولئك" للبعيد، وهي للتعظيم .وهنا تأتي "أولئك" مرة أخرى، ولكن يا للفرق! هناك استُعملت للتعظيم والتشريف، وهنا استُعملت للتحقير والإبعاد .كأنما تسمع قائلا ً يقول: "أولئك الأدنيا، أولئك الأرذال، أبعدوهم عن رحمة الله" .إنه أسلوب بلاغي بديع: الكلمة واحدة، لكن دلالتها تنصرف بحسب المشار إليه .في الجنة: "أولئك" بمعنى السادة .وفي النار: "أولئك" بمعنى الأ رذال .هذا التضاد في الاستخدام يريك البون الشاسع بين مصير الفريقين.

المحور الثاني: تحليل "حَقَّ عَلَيْهِمُ القَوْلُ"

س1: ما هو "القول" الذي حق عليهم؟

"القول" هنا هو كلمة العذاب والوعيد التي سبق أن قضاها الله وأخبر بها، مثل قوله تعالى:} لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ .{وقوله:} وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلقَوْلُ فِيۤ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ .{فـ"القول" هو الحكم الإلهي النافذ بأن من كفر واستكبر فمصيره إلى جهنم .كلمة "حَقّ" تعني ثبت ووجب وقوعه، فهو أمر محتوم لا راد له .لقد تجاوزوا مرحلة الإنذار، ودخلوا مرحلة توقيع العقوبة.

س2: لماذا قال "حق عليهم القول" بدل "حق عليهم العذاب"؟

إنه تعبير عن أن هذا العذاب لم يأتِ عشوائيًا، بل هو تنفيذ لوعد إلهي سابق .الله أنذرهم على ألسنة الرسل بأن من يكفر فله النار .فلما كفروا، حق عليهم هذا القول، أي وجب تنفيذه .إنه إظهار للعدل الإ لهي .فالله لا يظلم أحدًا، بل ينفذ ما أوعده به، بعد أن أقام الحجة .إنها رسالة تطمئن المؤمن، وتخيف الكافر.

المحور الثالث: تحليل "فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم"

س1: ما معنى "في أمم" وما دلالة هذا الظرف؟

"في" للظرفية .فهذا العاق وأشباهه ليسوا أول من كفر، بل هم داخلون في زمرة أمم كثيرة ."في أمم" تعني أنهم مغمورون في غمار أولئك الأمم، معدودون فيهم، في الخسة والخسران .إنه تقليل من شأنهم: حتى في الهلاك، ليسوا مميزين، بل هم أتباع وقطيع في ركب الغاوين .يا له من إذلال! إنهم كانوا في الدنيا يطلبون التميز، فيحشرون في الآخرة مع السفلة والمجرمين.

س2: ما دلالة قوله "قد خلت من قبلهم"؟

"خلت" أي مضت وهلكت .وهذا فيه تهديد ضمني: أنتم أيها المكذبون المعاصرون، ستمضون وتهلكون كما مضى أسلافكم .وفيه تثبيت للنبي ﷺ والمؤمنين بأن هذا هو ديدن الكافرين عبر التاريخ، فلا تحزنوا عليهم .إن التاريخ يعيد نفسه، وكما هلك أولئك، سيهلك هؤلاء.

المحور الرابع: تحليل "مِنَ الجِنِّ وَالإِنسِ"

س1: لماذا ذكر الجن والإنس معًا في مقام العذاب؟

لأن التكليف شامل، والعقاب شامل .الجن مكلفون مثل الإنس، فيهم المؤمن والكافر .وإذا كان الجن قد اشتركوا في الكفر، فهم إذن شركاء في العقاب .ذكر الجن هنا يزيد في هول المشهد؛ فهو يريك أن هذا المصير ليس مقتصرًا على عالم البشر، بل عالم الجن الموازي أيضًا يعج بأمثال هؤلاء الخاسرين . إنها "أممية الكفر" التي تقابلها "أممية الإيمان" في الجنة .إنه إظهار لعظمة العدل الإلهي، فإنه كما شملت رحمته الفريقين، شمل عدله الفريقين.

المحور الخامس: تحليل خاتمة الحكم} إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ{

س1: لماذا اختار الله وصف "خاسرين" دون غيرها من الأوصاف؟

"الخاسر" هو الذي نقص نفسه، وضيع رأس ماله .هؤلاء خسروا أنفسهم، إذ كان بإمكانهم أن يكونوا من الفائزين بالجنة، فإذا بهم يختارون الخلود في النار .لقد خسروا أهليهم، إذ لن ينفعوهم يوم القيامة .وخسروا أعمارهم التي قضوها في الكفر والعناد ."إنهم كانوا خاسرين" جملة مؤكدة ب-"إنّ"، تفيد ثبوت الخسران لهم، وأنه وصفهم الملازم .ما أخسرها من تجارة! باعوا الجنة بالنار، والرضا بـ السخط.

س2: ما العلاقة بين الخسران وبين ما ورد في الآية السابقة من "أساطير الأولين"؟

في الآية السابقة، العاق وصف وعد الله بأنه "أساطير الأولين"، أي أحلام لا قيمة لها .هنا، يرد عليه القرآن بأنه هو وأمثاله هم "الخاسرون" .فمن وصف وعد الله بأنه أسطورة، فهذا هو حكمه: الخسران المبين .إنه يخسر الحقيقة في الدنيا، ويخسر نفسه في الآخرة .إنها مفارقة عجيبة: هو ظن أنه رابح بعقله وحريته، ليتبين أنه أخسر الخاسرين.

ثانيا: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل والمفاهيم من الآية

المحور الأول: كيف نقرأ الآية القراءة الواعية ونحولها إلى واقع حياة؟

أولا ً: التدبر القلبي في "حق عليهم القول".

· الخوف من السنة الإلهية: تأمل أن هناك لحظة يتحول فيها الإنذار إلى إيقاع .ليس كل من عصى يعاقب فورًا، ولكن إذا استمر في غيّه "حَقّ عليه القول" .هذا يجعلك تسارع بالتوبة، فلا تدع الغفلة تتراكم حتى يصدر الحكم.

ثانيا: التدبر العقلي في "في أمم".

· سيكولوجيا القطيع: لا تنسق وراء الجماهير .تذكر أن أممًا كثيرة "قد خلت" في طريق الضلال، فهلكت .الكثرة ليست دليلا ً على الصحة .كن مع الحق ولو كنت وحدك، ولا تكن مع الباطل ولو كنت في أمم.

ثالثا: التدبر العملي في "خاسرين".

· حساب الأرباح والخسائر: انظر لكل شهوة أو معصية أو موقف كبر، على أنها صفقة .واسأل نفسك: ما الذي سأربحه؟ لحظة متعة؟ وما الذي سأخسره؟ رضا الله، الجنة، نفسي .ستجد أنك الخاسر الأكبر إن فارقت الحق .هذه النظرة التجارية الإيمانية تضبط سلوكك.

المحور الثاني: المفاهيم وكيفية تحويلها إلى واقع حياة

.1مفهوم سنة الله في الهالكين.

· المفهوم: لله سنن لا تتبدل .من سلك طريق الكفر والعقوق، سيلحق بركب الخاسرين لا محالة.
· في حياتنا العملية: ثق تمام الثقة بأن الظالم سيهلك، وأن العاق سيجازى .لا تغتر بإمهال الله للظالمين .هذا اليقين يمنحك صبرًا على البلاء، ويمنعك من الظلم.

.2مفهوم الخسارة الحقيقية.

· المفهوم: الخسارة ليست في فوات المال أو الصحة، بل في فوات رضا الله والجنة .الكافر هو الخاسر الحقيقي.
· في حياتنا العملية: غيّر بوصلتك في تقييم النجاح والفشل .الناجح هو من نجا من النار وأُدخل الجنة .الفاشل هو من دخل النار ولو كان أغنى الأغنياء .عِش بهذا المقياس.

.3مفهوم وحدة مصير الباطل.

· المفهوم: الباطل واحد، ومصيره واحد، سواء كان من الجن أو الإنس.
· في حياتنا العملية: لا يغرنك تحالف قوى الباطل العالمية .تحالف الجن والإنس على الباطل قديم، ومصيرهم معلوم: الخسران .أنت في جبهة الحق، وجبهة الحق منصورة.

المحور الثالث: الدروس العملية لتأسيس الشخصية الإيمانية

.1درس الإسراع بالتوبة: لا تنتظر حتى "يحق عليك القول".
.2درس التفرد بالحق: لا تكن تابعًا لقطيع الهالكين "في أمم".
.3درس إعادة تعريف الربح: استثمر عمرك في طاعة الله، فهو الربح الأوحد.
.4درس الاستهانة بالباطل: مهما كان الباطل قويًا، فإن مصيره إلى زوال وخسران، فاستصغره في قلبك.

المحور الرابع: ما الذي يريده الله منا في هذه الآية؟

.1يريدنا أن نعتبر بمن سبقنا، فلا نكون نسخة مكررة من الهالكين.
.2يريدنا أن نخاف من "حق القول" فنراقب أنفسنا.
.3يريدنا أن نوقن بعدالته، وأن كلمته نافذة.
.4يريدنا أن ننظر إلى الدنيا بمنظار الآخرة، فالرابح الحقيقي هو من فاز بالجنة.

المحور الخامس: ما الذي تدعونا إليه الآية في حياتنا العملية؟

.1دعوة للتأمل في مصارع الغابرين: اقرأ التاريخ، واسمع أخبار الأمم، لتتعظ.
.2دعوة للحذر من الرفقة السيئة: أنت من تصنع اختياراتك، ولكن انظر إلى أي زمرة ستنتمي.
.3دعوة للتجارة الرابحة مع الله: كل عمل صالح هو ربح، وكل معصية هي خسارة.
.4دعوة للثبات: إذا شعرت بالغربة في وسط أمم الضالين، فتذكر أنك في الطريق الصحيح، وأنهم هم "الخاسرون" لا أنت.

المحور السادس: ما الذي نتعلمه من الآية في ضوء سياقها التاريخي؟

نزلت الآية والمؤمنون في مكة يرون طغيان كفار قريش، ويرون أنهم على ملة آبائهم .فيأتي هذا الحكم الإلهي:

.1لتسليتهم وتثبيتهم: بأن هؤلاء ليسوا إلا حلقة في سلسلة طويلة من الخاسرين، وأن عاقبتهم حتمًا إلى بوار.
.2لإقامة الحجة: أن الله لم يظلمهم، بل هم الذين ظلموا أنفسهم، وأن "القول" إنما "حَقّ عليهم" بعد أن "حقت عليهم كلمة العذاب".
.3لبيان أن الإسلام لا يقوم على العصبية: فالمقياس هو الإيمان والكفر، لا النسب، ولذلك كان الحكم يشمل الجن والإنس.

المحور السابع: أهم المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية وتحويلها إلى طاقة بناء الإنسان والمجتمع و الحضارة الإسلامية

هذه الآية التي تبدو أنها مجرد حكم على الكافرين، تحمل في أعماقها أبعادًا تحويلية هائلة، قادرة على إعادة صياغة الإنسان، وتوجيه المجتمع، وإطلاق الطاقة الحضارية .لنستخرجها:

أولا ً: المفاهيم النفسية: صناعة الإنسان الباحث عن النجاة

.1تفعيل "الخوف النافع") من "حَقّ عَلَيْهِمُ القَوْلُ"(:
· المفهوم: الخوف من أن يصل الإنسان إلى نقطة اللاعودة، حيث يحق عليه العذاب .هذا الخوف ليس خوفًا مرضيًا، بل هو خوف محفز وواق.
· تحويله لطاقة بناء الإنسان: هذا المفهوم يصنع "الإنسان اليقظ" .هو إنسان لا يركن إلى الأماني الكاذبة، بل يراقب نفسه باستمرار، ويسأل: أين أنا من خط النار؟ هذا الوعي يدفعه للمسارعة في الخيرات، واجتناب المحرمات، ويجعله دائم التوبة والاستغفار، فلا يتراكم في قلبه الران .إنه إنسان حي الضمير.
.2التحرر من وهم "القطيع") من "فِي أُمَمٍ"(:
· المفهوم: إدراك أن كونك ضمن الأغلبية لا يعني أنك على صواب .أمم كثيرة هلكت وهي في طريقها .هذا يحررك من "عقدة القطيع" والخوف من التميز بالحق.
· تحويله لطاقة بناء الإنسان: هذا المفهوم ينتج "الإنسان المستقل" .هو إنسان لا تذوب شخصيته في الجماعة، ولا يبيع مبادئه ليكون مقبولا ً .إنه يفكر بنفسه، ويختار الحق ولو كان وحده .هذا الإ نسان هو القادر على الابتكار والقيادة، لأنه لا يخشى أن يكون مختلفًا .طاقته لا تذهب في تقليد الآ خرين، بل في إيجاد طريقه الخاص نحو الله.

ثانيا: المفاهيم الفكرية: صناعة العقل التاريخي الواعي

.1قراءة التاريخ بعين السنة الإلهية) من "قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمْ"(:
· المفهوم: التاريخ ليس مجرد أحداث عشوائية، بل هو مسرح لسنن الله .هلاك الأمم السابقة ليس مجرد حوادث، بل تجسيد لقانون "حق عليهم القول".
· تحويله لطاقة بناء المجتمع: تعليم المجتمع هذه النظرة للتاريخ، يبني "مجتمع العبرة والعظة" . مجتمع يقرأ الماضي ليفهم الحاضر ويخطط للمستقبل .هو لا يسير معصوب العينين، بل يرى آثار أقدام الهالكين فيتجنب طريقهم .هذا الوعي التاريخي يمنع المجتمع من تكرار أخطاء من سبقوه، ويمكنه من بناء نهضة على أسس صلبة.
.2مبدأ المسؤولية الفردية في مقابل المسؤولية الجمعية) من "الجِنّ وَالإنس"(:
· المفهوم: العذاب يشمل الجن والإنس، كل فرد مسؤول عن اختياره .لا يغني جنس عن جنس، ولا أمة عن أمة.
· تحويله لطاقة بناء المجتمع: هذا يبني "مجتمع المسؤولية الفردية" .مجتمع لا يلقي أحد فيه بـ اللوم على أجداده أو بيئته فحسب، بل يعلم أن كل إنسان محاسب على عمله .هذا يحفز كل فرد على الإصلاح من نفسه، وعلى العلم والعمل .إنه مجتمع ديناميكي، حيث الكل يعمل، لأن الكل يعلم أنه سيُسأل.

ثالثا: المفاهيم التربوية: صناعة الجيل الرابح

.1التربية على الميزان الحقيقي للربح والخسارة) من "خَاسِرِينَ"(:
· المفهوم: غرس مفهوم أن "الرابح" ليس من جمع المال، بل من اشترى الآخرة بالدنيا .و"الخاسر" هو من باع الآخرة بالدنيا.
· تحويله لطاقة بناء الحضارة: جيل يتربى على هذا الميزان، هو جيل الاستثمار الأمثل .إنه يوجه طاقاته نحو ما يبقى) العلم النافع، العمل الصالح .(وفي المقابل، يزهد في البهرجة الفارغة والاستهلاك المدمر .هذا الجيل الاقتصادي الراشد، الذي لا يبذر ولا يسرف، ويبني اقتصادًا أخلاقيًا قويًا.
.2التربية على حتمية الجزاء) من "حَقّ عَلَيْهِمُ"(:
· المفهوم: ترسيخ الإيمان بأن العدالة الإلهية حتمية، وأن العمل السيء لابد أن يعقبه جزاء، وعاجلًا أم آجلا ً سوف "يحق القول".
· تحويله لطاقة بناء الحضارة: جيل يتربى على أن الظلم عاقبته وخيمة، وأن الإحسان عاقبته حميدة، هو جيل الالتزام الأخلاقي الذاتي .إنه لا يرتكب الجرائم خوفًا من كاميرا أو عقاب بشري، بل لأنه موقن أن "قول الله" سيحق .هذا يبني حضارة الأمن والأمان، حيث تزدهر الثقة، ويقل الفساد، ويطمئن الناس على حقوقهم.

رابعا: كيف تتكامل هذه المفاهيم لتوليد طاقة البناء الحضاري الشامل؟

انظر إلى هذه المنظومة المتكاملة التي تنتجها هذه الآية القصيرة في مبناها، العظيمة في معناها:

.1بناء الإنسان) الفرد اليقظ المستقل(:
· الآية تنتج إنسانًا يقظًا يخاف أن يحق عليه القول، مستقلًا عن ضغط الجماهير، واعيًا لحقيقة الربح والخسارة .هذا هو المواطن الصالح، القوي بدينه، الواعي بذاته.

.2بناء المجتمع) المجتمع العادل المتعلم(:
· هؤلاء الأفراد حين يجتمعون، ينتجون مجتمعًا يقرأ التاريخ) للتعلم من الأمم الخالية(، ويتحمل فيه كل فرد مسؤوليته) فلا تواكل(، ويعلي من شأن الآخرة على الدنيا .هذا مجتمع متعلم، منتج، عادل، لا يغتر بالكثرة ولا يخدعه البريق.
.3بناء الحضارة) حضارة الاستثمار الباقي(:
· هذا المجتمع، بهذه المواصفات، يبني حتمًا "حضارة الرابحين" .إنها حضارة لا تقوم على الاستغلا ل والجشع) الخسران الحقيقي(، بل على الاستثمار في الإنسان والقيم .إنها الحضارة التي تقدم للعالم نموذجًا فريدًا: الإنسان المتوازن الذي يفوز بالدنيا والآخرة معًا، ويتجنب أن يكون من الخاسرين الذين ملأوا التاريخ بجثثهم .هذه هي الحضارة التي وعدنا الله بها، والتي تبدأ من قلب فرد فهم قوله: "أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ ...إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَـٰسِرِينَ".

الختام: رسالة إلى قلبك

أيها السائر في درب الحياة، يا من تسمع نداء الحق، وتقرأ مصارع الغابرين، قف واسأل نفسك سؤالا ً واحدًا: أين تريد أن تكون؟ أفي زمرة أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا، أم في زمرة أولئك الذين حق عليهم القول؟
لقد رأيت كيف أن شابًا قال لوالديه "أف" وكذب بالبعث، انتهى به المطاف إلى أن صار اسمه في سجل الخاسرين، ملحقًا بأمم من الجن والإنس .إنها ليست مجرد قصة، بل هي تحذير .تحذير من أن الكبر، والجحود، وعقوق الوالدين، والتكذيب بيوم القيامة، هي طريق مختصرة نحو هذا المصير.
لا تقل إن الأمر بعيد، فكل لحظة تمر عليك وأنت في غفلة، تقربك من أن "يحق عليك القول" .لا تقل إنك في أمان لأن أكثر الناس من حولك يفعلون مثلك، فكم من "أمم قد خلت" كانت على هذا الظن فهلكت.
اجعل هذه الآية نبراسًا .إذا وسوس لك الشيطان بأن الكفر أسهل، وأن الإيمان تقييد، تذكر: "إنهم كانوا خاسرين" .إذا دعاك هواك إلى عقوق والديك، تذكر: "أولئك الذين حق عليهم القول" .كن من الرابحين، ولا تكن من الخاسرين .اختر لنفسك أن تكون في الرفيق الأعلى، لا في الدرك الأسفل .عاهد ربك الآن ، أن تكون ممن قال فيهم: "أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها"، لا ممن قيل فيهم: "أولئك الذين حق عليهم القول".
المبحث الثالث
اخى الحبيب :-
بعد ان نقلت لنا الايات مشاهد البر والعقوق،ليخفق القلب بين رجاء القبول وخوف الخسران، لقد آن الأوان أن نرتقي من "صورة الأفراد" إلى "قانون الجزاء" .بعد أن عرض الله نموذج البار ونموذج العاق، وبيّن مصير كلٍّ منهما، يأتي الآن ليضع الميزان الكوني، ويكشف عن حقيقة العدالة الإلهية المطلقة .إنها الآية التي تجيب عن كل سؤال يدور في خلدك: كيف يُجازى الناس وهم متفاوتون في أعمالهم؟ هل يضيع عمل أحد؟ هل يُظلم أحد؟ تعال معي، فتح سمعك وقلبك وعقلك، لتسمع الجواب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه:} وَلِكُلٍّ دَرَجَـٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَـٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ.(19) {

المقدمة: من تفاصيل القصة إلى دستور الجزاء

تأمل معي الموقع البديع لهذه الآية .لقد سبقها حديث عن الصنفين: البار الذي قال "رب أوزعني"، و العاق الذي قال "أف لكما" .ثم جاء ذكر جزاء البارين: "أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم" .وجاء ذكر جزاء العاقين: "أولئك الذين حق عليهم القول ...إنهم كانوا خاسرين" . وهنا، بعد أن عرض النموذجين والجزاءين، يأتي الله ليقرر قاعدة كلية، وقانونًا عامًا، يشمل الفريقين وكل إنسان عبر التاريخ .إنها كلمة فاصلة، دستور العدالة الإلهية الذي يقوم عليه الحساب والجزاء .إنه يخبرك أن الأمر ليس عشوائيًا، بل هو نظام دقيق، مبني على الوزن والميزان .هذه الآية هي "خاتمة المطاف" في هذه المجموعة من القصص، وهي تملأ قلبك طمأنينة بأن كل دقيقة من عملك، وكل خاطر من خواطرك، وكل نية في قلبك، هي محسوبة، وهي التي تحدد درجتك، ولن يضيع منها شيء ، ولن يظلمك أحد.

بيان تفسير الآية والمعنى العام لها أولا ً

ما هو المعنى الإجمالي الذي تهديه لك هذه الآية؟

بعد ذكر جزاء الفريقين، يأتي هذا الحكم العام ليشمل كل مكلف، من الإنس والجن، الأولين والآخرين . يقول الله جل وعلا:} وَلِكُلٌّ {أي لكل واحد من الفريقين) الأبرار والفجار (ولكل فرد من أفراد البشر، }دَرَجَـٰتٌ {أي منازل ومراتب ومنازل متفاوتة .هذه الدرجات ليست اعتباطية، بل هي} مِّمَّا عَمِلُواْ {ناشئة عن أعمالهم ومحصلة أعمالهم .خيرها وشرها، صغيرها وكبيرها .فالجزاء من جنس العمل .والغاية من هذا التفاوت في الدرجات هو:} وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَـٰلَهُمْ {أي ليعطيهم الله أجور أعمالهم وافية كاملة، لا ينقص منها مثقال ذرة .وهذا التوفية لا تكون إلا بالمقابلة الدقيقة بين العمل والجزاء .ثم يختم الآية بالمبدأ الأعظم:} وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ {أي لا ينقصون من ثواب حسناتهم، ولا يزاد عليهم في عقاب سيئاتهم .كل إنسان يجازى بما تستحقه نفسه .إنها آية تقوم على ثلاثة أركان: مبدأ التفاوت) درجات(، ومبدأ العادلية) مما عملوا(، ومبدأ عدم الظلم) لا يظلمون .(وهذا هو دستور الجزاء في الإسلام.

أولا ً: تحليل الآية الكريمة

الأمر الأول: تحليل الركن الأول:} وَلِكُلٍّ دَرَجَـٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ{

المحور الأول: تحليل شمولية "وَلِكُلٍّ"

س1: لماذا استخدم الله لفظ "وَلِكُلٍّ" بدون ذكر المشار إليه؟

"وَلِكُلٍّ" أي لكل واحد من المذكورين من قبل) الأبرار والفجار(، ولكل فرد من بعدهم .هذا التنكير و العموم يشمل كل إنسان وكل جان، لا يخرج منه مَلَكٌ ولا نبي .فحتى الأنبياء والصديقون والشهداء داخلون في هذا العموم .هذا الشمول يجعلك تستشعر أنك شخصيًا معني بهذه الآية .أنت لك درجات من عملك .إنها تخاطبك مباشرة: أيها الإنسان، درجتك غدًا عند الله هي محصلة ما عملته اليوم .فماذا أعددت؟

س2: ما هي الرسالة النفسية من هذا التعميم؟

الرسالة هنا هي أن العدالة الإلهية شاملة لا تستثني أحدًا .فلا يظن أحد أنه سينجو بلا حساب، ولا ييأسن أحد من رحمة الله .الكل سينال جزاءه بدقة .هذا الشعور يمنحك الأمان النفسي، لأنك تتعامل مع إله عادل حكيم، لا تتحكم في محكمته الوساطات والمجاملات .إنه يملأ قلبك الأمل إذا كنت من ا لأبرار، ويملؤه الخوف إذا كنت من الفجار، وكلاهما دافعان للعمل.

المحور الثاني: تحليل "دَرَجَـٰتٌ"

س1: لماذا استخدم القرآن لفظ "درجات" دون غيرها من الألفاظ؟

"درجات" جمع درجة، والدرجة هي المنزلة في الارتفاع أو الانخفاض .إنها تستعمل للمراتب العالية)درجات الجنة (والمنازل المنخفضة) دركات النار .(إن هذا اللفظ يرسم صورة بصرية في ذهنك: سلم طويل، بعضه يصعد إلى أعلى عليين، وبعضه يهبط إلى أسفل سافلين .كل إنسان يقف على درجة محددة بحسب عمله .إنها تصور أن التفاوت بين الناس في الآخرة هو كالتفاوت بين الدرج في السلم، مما يحفزك على الارتقاء .فالطموح الإيماني يدفعك ألا ترضى بالدرجة الدنيا، بل تسعى لأعلى الدرجات.

س2: كيف يكون تفاوت الدرجات في الجنة والنار؟

في الجنة: درجات بعضها فوق بعض ."انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا ً" .فأهل الجنة ليسوا سواء، بل كل بحسب عمله .أعلاهم منزلة من كان أتقاهم وأحسنهم عم لا ً .وفي النار: دركات، "إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار" .فكلما زاد كفر المرء وطغيانه، هبط في دركات النار .فسبحان من جعل التفاوت في الدنيا إشارة لما في الآخرة.

المحور الثالث: تحليل "مِّمَّا عَمِلُواْ"

س1: ما دلالة "مِن" في قوله "مما عملوا"؟

"مِن" هنا للسببية أو النشوء .أي أن تلك الدرجات ناشئة ومتولدة من أعمالهم، وهي عين جزائها .العمل

هو البذرة، والدرجة هي الثمرة .وهذا يربط الجزاء بالعمل ربطًا محكمًا .فلا تصل إلى درجة إلا عبر جسر العمل.

س2: ما هو الأثر التربوي العملي لهذا الربط بين الدرجات والأعمال؟

هذا الربط هو أكبر حافز للعمل .إنه يقتلع من قلبك الأماني الكاذبة، ويحولك إلى إنسان عملي منتج . فالدرجات لا تشترى بالتمني، ولا توهب بالمحسوبية، بل تنال بسعي وكدح: "وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ (39) وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ (40) ثُمَّ يُجْزَىٰهُ الْجَزَآءَ الْأَوْفَىٰ" .عندما تستقر هذه الحقيقة في قلبك، سترى كيف تتحول كل لحظة من حياتك إلى فرصة لرفع درجتك.

الأمر الثاني: تحليل الركن الثاني:} وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ{

المحور الأول: تحليل لام التعليل "وَلِيُوَفِّيَهُمْ"

س1: لماذا عطف الله هذا الركن بالواو، وذكر فيه لام التعليل؟

التقدير: وجعلنا لكل درجات، وفعلنا ذلك "لِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ" .فالغاية العظمى من تفاوت الدرجات هي إظهار كمال العدل الإلهي .فلو كان الجزاء واحدًا للجميع، لم تتحقق التوفية الكاملة .ولكن لما اختلفت الأعمال، اختلف الجزاء، ليأخذ كل عامل جزاءه وافيًا.

س2: ما معنى "التوفية" في اللغة والشرع؟

"التوفية" هي إعطاء الشيء وافيًا تامًا كاملا ً لا نقص فيه .الله يوفّي أعمالهم، أي يعطيهم جزاءها كاملا ً محسوبًا بدقة، دون أن يبخس أحدًا شيئًا من حقه .إنه سبحانه لا يكتفي بأن يجازي، بل يوفّي الجزاء .والتوفية أبلغ من مجرد الإعطاء، لأنها تعني استيفاء الحق كله حتى آخر ذرة.

المحور الثاني: تحليل "أَعْمَٰلَهُمْ"

س1: ما هو المقصود بـ "أعمالهم"؟

كل ما عملوه في الدنيا، صغيرًا كان أو كبيرًا، خفيًا أو ظاهرًا، خيرًا أو شرًا ."فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ (7) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ" .فالجزاء ليس على بعض الأعمال دون بعض، بل هو على جميع الأعمال .هذا الشمول يجعل المؤمن في يقظة دائمة، فلا يحقرن من المعروف شيئًا، ولا يحقرن من الإثم شيئًا.

س2: كيف تجتمع التوفية مع مضاعفة الحسنات؟

الله يوفّي الأعمال، أي يعطي الجزاء العادل .ولكن من كرمه، أن الحسنة يضاعفها إلى عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة .فهل هذا زيادة على التوفية؟ لا، لأن التوفية هي إعطاء أصل الجزاء، والمضاعفة هي تفضل وزيادة من كرمه .فالعدل أن يوفّى المحسن أجر عمله، والفضل أن يزاد . وأما المسيء فيجزى بعمله فقط، لا يزاد عليه عقاب.

الأمر الثالث: تحليل الركن الثالث:} وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ{

المحور الأول: تحليل النفي المؤكد "لَا يُظْلَمُونَ"

س1: ما دلالة الجملة الاسمية المؤكدة بـ "هم"؟

"وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ" جملة اسمية، والجمل الاسمية تفيد الثبوت .إنها تفيد أن نفي الظلم عنهم ثابت دائم لا يتغير، وصفة ملازمة لقضاء الله فيهم .إنها تأكيد على أن العدل هو الأصل في الجزاء الإلهي.

س2: ما هو تعريف "الظلم" المنفي عن الله هنا؟

الظلم وضع الشيء في غير موضعه .والظلم المنفي هو كل أنواعه:

· لا ينقص المحسن من ثوابه.
· لا يزاد المسيء في عقابه.
· لا يحمل أحد ذنب أحد.
· لا يعاقب أحد بلا ذنب.
· لا يضيع عمل عامل.

إن هذا النفي العام يمنح قلبك طمأنينة مطلقة، فلا خوف من حيف، ولا جزع من ضيم .أنت في محكمة لا يعتريها خطأ ولا هوى ولا ظلم.

المحور الثاني: العلاقة بين هذه الجملة وما سبقها

س1: لماذا أردفت "توفية الأعمال" و"الدرجات" بنفي الظلم؟

حتى لا يتوهم متوهم أن تفاوت الدرجات قد يكون فيه ظلم .فالله يبين أن هذا التفاوت هو عين العدل، ولو جوزي المسيء كالمحسن لكان هذا هو الظلم .فتفاوت الدرجات قائم على تفاوت الأعمال، و الجزاء مطابق للعمل، وهذا هو العدل المحض.

ثانياً: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل والمفاهيم من الآية

المحور الأول: كيف نقرأ الآية القراءة الواعية ونحولها إلى واقع حياة؟

أولا ً: التدبر الفكري في "دَرَجَـٰت".

· تصور السلم الإيماني: تخيل سلمًا طويلا ً، قاعدته في الأرض وقمته في أعلى الجنة .كل عمل ص الح تفعله، هو خطوة تصعد بها .كل معصية تقع فيها، هي خطوة تهبط بها .هذه الصورة الذهنية تجعلك ترى أثر أعمالك آنيًا، وتجعلك في حالة سعي دائم للارتقاء.

ثانياً: التدبر العملي في "مِّمَا عَمِلُوا".

· استثمار كل لحظة: طبق هذه الآية في حياتك العملية .كل كلمة طيبة هي درجة .كل صدقة خفية هي درجة .كل صلاة خاشعة هي درجة .فلا تمر لحظة دون أن تكسب فيها درجة تعلي بها منزلتك عند الله.

ثالثاً: التدبر النفسي في "لَا يُظْلَمُونَ".

· الاسترخاء في كنف العدالة: اطمئن تمامًا .حياتك ليست عبثية، وأعمالك لن تذهب سدى .ربك عادل رحيم .هذا الاسترخاء النفسي يمنحك صفاء الذهن، ويحرر طاقتك للإبداع والعمل، بدل القلق والتوتر.

المحور الثاني: المفاهيم وكيفية تحويلها إلى واقع حياة

.1مفهوم الاستحقاق الإلهي.

· المفهوم: لا مكان للمحسوبية أو الوراثة في الآخرة .كل إنسان ينال ما يستحق بناء على عمله وجهده.
· في حياتنا العملية: اعتمد على عملك وكدحك، لا على نسبك أو أموالك .أنت ابن عملك، لا ابن أبيك فقط.

.2مفهوم الاقتصاد الأخروي.

· المفهوم: الآخرة هي سوق التجارة الكبرى .العملات الرائجة فيها هي الحسنات، والصفقات الخاسرة هي السيئات .والكل يربح أو يخسر بحسب ما قدم.
· في حياتنا العملية: اعتبر كل يوم هو صفقة تجارية مع الله .في نهاية اليوم، اسأل نفسك: هل

ربحت أم خسرت؟ وخطط ليوم غد لتكون أرباحك أعلى.

.3مفهوم العدالة المطلقة.

· المفهوم: الله لا يظلم أحدًا .هذا يمنحك شعورًا بالأمان، ويدفعك للعدل مع الآخرين.
· في حياتنا العملية: كن عادلا ً في أهلك، في عملك، في حكمك على الناس .تخلق بأخلاق الله ما استطعت، فـ "إن الله يحب المقسطين".

المحور الثالث: الدروس العملية لتأسيس الشخصية الإيمانية

.1درس الطموح الروحي: لا ترضَ من الجنة بالدخول فقط، بل اسعَ لأعلى درجاتها، فالفردوس الأعلى لمن جد واجتهد.
.2درس تركيز المسؤولية: أنت مسؤول عن درجتك، لا يشغلك سواك .لا تقل: فلان يعمل أقل مني وله أكثر، فـ"كلٌ" له درجاته مما عمل.
.3درس مراقبة الصغائر: بما أن الدرجات مما عملوا، فإن صغائر الأعمال تصنع الدرجات .لا تحقرن حسنة ولا سيئة.
.4درس الرجاء في عدل الله: إذا شعرت أنك مظلوم في الدنيا، فتذكر "وهم لا يظلمون" في الآخرة، فستأخذ حقك يوم القيامة وافيًا.

المحور الرابع: ما الذي يريده الله منا في هذه الآية؟

.1يريدنا أن نغير نظرتنا للحياة، فندرك أننا في دار عمل وامتحان.
.2يريدنا أن نوقن أن الجزاء من جنس العمل، لكي نضبط سلوكنا.
.3يريدنا أن نسعى للارتقاء في مدارج الكمال باستمرار.
.4يريدنا أن نطمئن إلى عدالته المطلقة، فنعبده عن حب وخوف ورجاء.

المحور الخامس: ما الذي تدعونا إليه الآية في حياتنا العملية؟

.1دعوة للعمل الدؤوب: التدين ليس مجرد شعائر، بل هو حياة كلها عمل لله.
.2دعوة للعدالة في كل شيء: في البيت، في السوق، في الحكم.
.3دعوة لليقين بأن الظالم لن يفلت: مهما طال الزمان، فسيجازى على ظلمه.
.4دعوة للتنافس في الخير: "وفي ذلك فليتنافس المتنافسون" .تنافس في الدرجات العلى.

المحور السادس: ما الذي نتعلمه من الآية في ضوء سياقها التاريخي؟

نزلت الآية وفي مكة فريقان: المستضعفون من المؤمنين، والمستكبرون من الكفار .كان الكفار يسخرون من فقراء المؤمنين، ويظنون أنهم إن كان هناك آخرة، فسيكونون فيها سادة كما في الدنيا .فجاءت هذه الآية:

.1لتهدم هذا الوهم: "ولكل درجات مما عملوا" .الدرجات يوم القيامة ليست بالمال والنسب، بل بالعمل . فضل الفقراء المؤمنين على الأغنياء الكافرين بدرجات عظيمة.
.2لتثبيت المؤمنين: "وهم لا يظلمون" .كل ما تعانونه من ظلم في الدنيا، سينقلب في ميزان الآخرة . ستوفون أجوركم كاملة، وسيوفى الظالمون عقابهم كاملا ً.
.3لتربية المؤمنين على ثقافة العمل: لا تنتظروا معجزة تنزلكم الجنة، بل اعملوا واجتهدوا واصعدوا في درجات الكمال.

المحور السابع: أهم المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية وتحويلها إلى طاقة بناء الإنسان والمجتمع و الحضارة الإسلامية

هذه الآية التي تبدو موجزة، هي في الحقيقة ميثاق عمل، ودستور تحفيز، وطاقة هائلة لصناعة الإ نسان والمجتمع والحضارة .لنستخرج هذه الطاقة على المستويات الثلاثة:

أولا ً: المفاهيم النفسية: صناعة الإنسان الفعّال الإيجابي

.1تفعيل دافع الإنجاز) من "وَلِكلٍّ دَرَجَـٰتٌ"(:
· المفهوم: الحياة سباق للدرجات .الإنسان ليس مجرد ناجٍ أو هالك، بل هو في مراتب متفاوتة .

هذا يخلق دافعًا داخليًا للارتقاء المستمر.
· تحويله لطاقة بناء الإنسان: هذا المفهوم يصنع "الإنسان الطموح روحيًا ودنيويًا" .إنه لا يرضى بـ الدون، ولا يقنع بالحد الأدنى من العبادة أو العمل .هو دائم البحث عن التميز والإحسان .طاقاته متجددة دائمًا، لأنه يرى أن كل يوم يحمل فرصة لدرجة أعلى .هذا الإنسان هو المحرك لأي نهضة.
.2التوازن بين الخوف والرجاء) من "مِمَّا عَمِلُوا" و"لَا يُظْلَمُونَ"(:
· المفهوم: الخوف من أن تكون أعمالك سببًا في الدركات، والرجاء في أن تكون سببًا في الدرجات .واليقين بأنك لن تظلم، يجعل الخوف والرجاء متوازنين.
· تحويله لطاقة بناء الإنسان: هذا ينتج "الإنسان المتوازن نفسيًا" .هو ليس مغترًا بعمله، ولا آيسًا من رحمة ربه .يعمل ويجتهد، ويسلم النتيجة للعادل الحكيم .هذا التوازن يحميه من القلق والاكتئاب، ويجعل صحته النفسية في أحسن حالاتها.

ثانيًا: المفاهيم الفكرية: صناعة العقل النقدي العادل

.1رفض الحتمية الطبقية) من "مِمَّا عَمِلُوا"(:
· المفهوم: مصير الإنسان ليس محدّدًا بجنسه أو عرقه أو طبقته، بل بعمله .هذا ينسف كل فلسفات الحتمية الطبقية التي تقول إن ابن الفقير سيبقى فقيرًا، وابن الغني سيبقى غنيًا.
· تحويله لطاقة بناء المجتمع: هذا يبني "مجتمع تكافؤ الفرص" .المجتمع القرآني لا يعترف بالوراثة الطبقية كقدر محتوم .كل فرد يمكنه أن يرتقي بعمله إلى أعلى الدرجات .هذا المفهوم يدفع المجتمع كله للعمل، ويقضي على الإحباط واليأس عند الفقراء، وعلى الكسل والاتكال عند الأغنياء.
.2منطق المسؤولية الفردية) من "وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ"(:
· المفهوم: كل إنسان يحاسب على عمله الخاص، ولا يحمل وزر أحد .هذا يبني عقلية مسؤولة، لا تلقي باللوم على الغير.
· تحويله لطاقة بناء المجتمع: هذا يبني "مجتمع المسؤولية الشخصية" .أفراد هذا المجتمع لا يلقون باللائمة على الآباء، أو الأجداد، أو الاستعمار، أو الظروف، بل يحاسبون أنفسهم أولًا، ويسألون: ماذا عملنا لنرتقي؟ هذا المجتمع هو الذي يتحرك نحو التغيير الإيجابي، لأنه يؤمن بأن التغيير يبدأ من الداخل.

ثالثًا: المفاهيم التربوية: صناعة الجيل العامل المتيقن

.1التربية على ثقافة الجدارة) من "مِمَّا عَمِلُوا"(:
· المفهوم: المكانة والمنزلة تستحقان بالعمل، لا بالتمني .التعليم، الوظيفة، المكانة الاجتماعية، كلها تبنى بالجدارة والعمل.
· تحويله لطاقة بناء الحضارة: جيل يتربى على أن "الدرجات مما عملوا"، هو جيل الكفاءة والإتقان .في هذه الحضارة، يرتفع الإنسان بقدر ما يقدم، لا بقدر ما يمتلك .هذا يدفع الجميع للتنافس في العلم والإبداع والإنتاج، فتزدهر الحضارة علميًا واقتصاديًا.
.2التربية على اليقين والطمأنينة) من "لَا يُظْلَمُونَ"(:
· المفهوم: تربية الناشئة على أن هناك عدالة مطلقة في نهاية المطاف، حتى لو رأوا ظلمًا في الدنيا .هذا يمنحهم بوصلة أخلاقية لا تتغير.
· تحويله لطاقة بناء الحضارة: هذا يبني حضارة المبادئ .جيل لا يتزعزع أمام إغراءات الدنيا، لأنه يوقن أن الخسارة الحقيقية هي خسارة الآخرة، وأن الظالم لن يفلت .هذا الجيل هو الذي يبني حضارة تقوم على الحق والعدل، وتضحي من أجل المبادئ، ولا تبيع آخرتها بدنيا غيرها.

رابعًا: كيف تتكامل هذه المفاهيم لتوليد طاقة البناء الحضاري الشامل؟

انظر إلى هذه المنظومة المتكاملة التي تنتجها هذه الآية الواحدة:

.1بناء الإنسان) الفرد الساعي المتوازن(:
· الآية تنتج إنسانًا طموحًا يسعى للدرجات العلى، متوازنًا بين الخوف والرجاء، واثقًا في عدل ربه . هذا هو المواطن الصالح، الناجح في ذاته، المطمئن في قلبه.
.2بناء المجتمع) مجتمع الجدارة والمسؤولية(:
· هؤلاء الأفراد حين يجتمعون، ينتجون مجتمعًا يقوم على الجدارة والاستحقاق، بعيدًا عن المحسوبية والطبقية .مجتمع يتحمل كل فرد فيه مسؤوليته عن تطويره، ولا يلقي باللوم على غيره . هذا مجتمع منتج، عادل، متحرك نحو الأفضل.
.3بناء الحضارة) حضارة العمل والصعود(:
· هذا المجتمع، بهذه المواصفات، يبني حتمًا "حضارة الدرجات العلى" .إنها حضارة لا تعرف السكون

، بل هي في صعود دائم، لأن أفرادها في صعود دائم في سلم الإيمان والعمل والإنتاج .إنها الحضارة التي تجعل من الدنيا مزرعة للآخرة، ومن العمل عبادة، ومن الإتقان فريضة .هذه هي الحضارة التي تليق بأمة اقرأ.

الختام: رسالة إلى قلبك

أيها السائر في دروب الحياة، يا من تتعب وترجو، وتعمل وتخاف، وتخطئ وتتوب، اسمع الرسالة جيدًا .إن الله قد وضع لك الميزان في هذه الآية .إنه يخبرك أن حياتك كلها، بكل تفاصيلها، هي عملية بناء لدرجتك في الجنة أو النار .ليست هناك لحظة واحدة تذهب سدى .كل حسنة ترفعك، وكل سيئة تنزل بك.
لا تقل: هذا عمل صغير، فكم من درجة نالها عبد بعمل صغير كان خالصًا لله .لا تقل: هذه ذنوبي قد أهلكتني، فباب التوبة مفتوح، وكل توبة هي درجة في سلم الصعود .لا تحزن إن رأيت الظالمين في الدنيا في درجات عالية، فدرجاتهم الحقيقية هي الدركات، وسيعلمون يوم لا ينفعهم مالهم ولا جاههم.
انظر إلى عملك اليوم .ما هي الدرجة التي أنت عليها الآن؟ اسعَ جاهدًا أن تكون غدًا في درجة أعلى .
صلِّ صلاة خاشعة، فتلك درجة .تصدق بصدقة خفية، فتلك درجة .ابرر والديك، فتلك درجة .اطلب علمًا، فتلك درجة .امسح رأس يتيم، فتلك درجة .الحياة مليئة بالفرص للارتقاء، فلا تضيعها.
اخرج إلى دنياك، واجعل هذه الآية نبراسك .كلما تكاسلت، تذكر: "وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا" .أتريد أن تكون في الدرك الأسفل، أم في الفردوس الأعلى؟ الخيار لك، والعمل بيدك، والله لا يظلمك مثقال ذرة .
فاختر لنفسك، واصعد، واصعد، حتى تلقى الله في أعلى عليين، في جنات النعيم.
المبحث الرابع
أيها الحبيب الذي أبحر في ميزان العدالة الإلهية في الآية الماضية، وأدرك أن لكل درجات مما عملوا، وأيقن أن الله لا يظلم مثقال ذرة، ها نحن نقف الآن على المشهد الذي تتجسد فيه هذه العدالة. مشهد مهيب، لا يمر على قلبك مرور الكرام، بل يصدم وجدانك، ويهز أعماقك. إننا لسنا في رحاب قصة جديدة، بل انتقلنا فجأة إلى ساحة القيامة. ها هو يوم الفصل، يوم الحسرة، يوم العرض على النار. إنه المشهد الذي تتحقق فيه "الدرجات" التي تحدثنا عنها، وتتحقق فيه "التوفية" التي وعد الله بها. هذه الآية لا تصف الجحيم فحسب، بل تصف أعمق أنواع العذاب: عذاب التوبيخ، عذاب الهوان، عذاب أن ترى النعيم قد انقلب حسرة، والعزة قد انقلبت ذلة. استعد، وتأهب، ولنقف معًا بخشوع أمام هذا المشهد المهيب، في قول الحق جل وعلا: {وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ} (20).

المقدمة: حيث يتحول الزمن من الحكاية إلى الحقيقة

تأمل معي هذا الانتقالة العبقرية في السياق القرآني. كنا مع نماذج بشرية في الدنيا: البار، والعاق. ورأينا حكم الله فيهم: القبول والتجاوز لأولئك، والخسران لهؤلاء. ثم جاء دستور الجزاء العام: "وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا". ثم فجأة، وبحرف العطف "الواو"، ينقلك القرآن نقلة زمانية ومكانية هائلة. أنت الآن لست في مكة، ولا في أي مكان في الدنيا. أنت في يوم القيامة. "وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ". إنها لحظة التنفيذ. لقد صدر الحكم في الآية السابقة ب"حق عليهم القول"، وها هو الحكم يُنفذ. هذه الآية تفضح قيم الدنيا كلها، وتقلب موازينها. إنها تعلن أن كل ما كانوا يتمسكون به من طيبات الدنيا وزخارفها، قد صار وبالا ً عليهم، وسببًا لهذا التوبيخ المرير. إنها تريك الحقيقة عارية: الدنيا متاع، والغفلة عنها وعن الله هي الخسران الحقيقي.

بيان تفسير الآية والمعنى العام لها أولا ً

ما هو المعنى الذي تريد هذه الآية أن تنقشه في قلبك؟
يخبرنا الله تعالى عن مشهد هائل من مشاهد يوم القيامة، فيقول: واذكر أيها النبي، وليتذكر كل مؤمن ، {وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ}. إنهم لا يُساقون إليها مباشرة، بل "يُعرضون" عليها. عرضًا يشاهدون فيه أهوالها، ويقتربون من لهبها، فيزداد رعبهم وحسرتهم. وفي هذا الموقف الرهيب، يسمعون التوبيخ الإلهي: {أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا}. هذا الخطاب موجه من

الله أو من الملائكة للكافرين. إنه توبيخ على استنفاد اللذائذ في الدنيا: لقد استوفيتم طيباتكم في الدنيا، وأخذتم حظكم منها بالكامل، واستمتعتم بها استمتاع البهائم، ولم تقدموا لآخرتكم شيئًا. لم يكن تمتعكم شكرًا لله، بل كان غفلة وطغيانًا.
ثم يأتي النداء الحاسم: {فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ}. اليوم، لا طيبات ولا استمتاع. اليوم تلقون جزاءكم: عذابًا مقرونًا بأشد أنواع الهوان والذل، جزاءً وفاقًا. ثم يبين سبب استحقاق هذا العذاب المهين: {بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ}. إنه الاستكبار، رفض الحق، التعاظم على الخلق، الظلم والعلو في الأرض بغير وجه حق. {وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ}. والفسق هو الخروج عن طاعة الله، و التمرد على أوامره، والانغماس في المعاصي والذنوب. هاتان العلتان: الكبر والفسق، هما اللتان أوصلتا أصحابهما إلى هذا المصير المخزي.

أولا ً: تحليل الآية الكريمة

الأمر الأول: تحليل مشهد العرض {وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ}

المحور الأول: دلالة الظرفية الزمانية "وَيَوْمَ"

س1: ما سر حرف العطف "الواو" في بداية الآية؟

هذه الواو تعطف هذا المشهد المهيب على ما قبله من أحكام الدنيا. كأنها تقول: هذا الذي أخبرناكم به من جزاء الفريقين في الدنيا، سيتمثل أمام أعينكم يوم القيامة. إنها تنقلك نقلة شعورية من عالم الغيب النسبي (أخبار الدنيا) إلى عالم الغيب المطلق (الآخرة). إنها واو الاستئناف العظيم، الذي يفتح ستارة المسرح الأخروي.

المحور الثاني: تحليل "يُعْرَضُ" بصيغة المبني للمجهول

س1: لماذا قال "يُعرض" بصيغة المبني للمجهول؟

لأن الفاعل معلوم، وهو الله سبحانه وتعالى، أو الملائكة بأمره. والتركيز ليس على من يعرضهم، بل على "عرضهم" هم وما فيه من إذلال. "يُعرض" تعني أنهم يُساقون ويُوقفون عليها، ويُمرّون بها، فيعاينون أهوالها. إنه عرض مهين، يصورهم وكأنهم قطعان تُساق إلى المهلكة. ألا تشعر برعشة من هذا المشهد؟ إنهم ليسوا داخلها بعد، بل على أعتابها، يُعاينون العذاب قبل أن يذوقوه، فيكون المشهد بحد ذاته عذابًا فوق العذاب.

المحور الثالث: التعبير بـ "الَّذِينَ كَفَرُوا"

س1: لماذا خصهم بالذكر هنا بعد العموم في الآية السابقة؟

الآية السابقة كانت عامة: "ولكل درجات". أما هنا فالمشهد خاص بفريق "الذين كفروا". إنه انتقال من القانون العام إلى التطبيق الخاص على المجرمين. وهو يريك أن "الذين حق عليهم القول" هم هؤلاء الذين يُعرضون على النار. فانظر كيف يتحقق الوعد!

الأمر الثاني: تحليل التوبيخ الإلهي {أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا}

المحور الأول: معنى "أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ"

س1: ما هي الطيبات التي أذهبوها؟

الطيبات هي الملذات المباحة من مطعم ومشرب وملبس ومسكن، بل وحتى الحلال الذي استنفدوه في غير شكر. "أذهبتم" تعني أفنيتم واستوعبتم. إنه توبيخ على الانشغال بالتنعم والتلذذ، وجعل الدنيا غاية لا وسيلة. لقد استنفدوا لذاتهم كاملة في الدنيا، فلم يعد لهم نصيب في طيبات الآخرة. إنه يشبه قوله ﷺ: "يأكل المسلم في معي واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء". شتان بين من يأكل

ليستعين على الطاعة، ومن يأكل لغاية الأكل!

س2: لماذا أضاف "وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا" مع أن "أذهبتم" قد تفيد المعنى نفسه؟

للتأكيد على أنهم لم يذهبوا الطيبات في الضرورات فحسب، بل تجاوزوا ذلك إلى الاستمتاع المطلق و التفكه واللهو. "الاستمتاع" هو طلب المتعة بكل صورها. كأنهم عاشوا للذة فقط، لا لله. إنه توبيخ على جعل اللذة غاية الحياة، وهذه هي عين الكفر بالآخرة. أين نحن من هذا؟ كم نعيش للذة فقط، وننسى أننا في دار عمل؟

المحور الثاني: مفهوم الزهد الذي تقدمه الآية

س1: هل تذم الآية أصل التمتع بالطيبات؟

كلا! المؤمن يأكل ويشرب ويتمتع، ولكن بضابطين: ألا يشغله عن الله، وأن يكون في الحلال، قاصدًا به التقوي على الطاعة. الآية تذم "إذهاب" الطيبات، أي استنفادها كلها في الدنيا، والانصراف عن الآ خرة. إنها تذم جعل الدنيا "دار القرار". فالمؤمن يأخذ من طيبات الدنيا بقدر، ولا يجعلها همه، ويدخر ل لآخرة. الكافر همه الدنيا، فيستنفد لذاته فيها، ثم يلقى الله مفلسًا. هذا هو الفرق: التمتع الذي هو وسيلة للشكر والقوة على الطاعة، والتمتع الذي هو غاية في ذاته.

الأمر الثالث: تحليل الجزاء {فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ}

المحور الأول: الفاء السببية "فَالْيَوْمَ"

س1: ما دلالة الفاء هنا؟

فاء السببية، تدل على أن هذا العذاب هو نتيجة حتمية لما سبق من إفناء الطيبات والاستمتاع والا ستكبار والفسق. اليوم هو يوم الجزاء، وقد وقع الجزاء. "فاليوم" أي في هذا اليوم العظيم، لا دنياكم التي كنتم تلهثون وراءها.

المحور الثاني: تحليل "عَذَابَ الْهُونِ"

س1: ما هو "عذاب الهون"؟

"الهون" هو الذل والهوان والصغار. إنهم لا يعذبون فقط، بل يعذبون مع إهانة وتحقير واحتقار. كأنهم كانوا يتكبرون في الأرض، فيجزيهم الله بأن يذلهم ويهينهم يوم القيامة. عذابهم ليس موجعًا فحسب، بل هو مهين. "الهون" أشد من مجرد العذاب؛ لأنه عذاب الجسد والروح معًا. الجسد يحترق، والروح تُسحق بالإهانة. إنه جزاء موفور من جنس العمل: استكبرتم، فذوقوا الهون.

الأمر الرابع: تحليل سببَي العذاب {بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ}

المحور الأول: ذنب الاستكبار "بِغَيْرِ الْحَقِّ"

س1: ما هو الاستكبار بغير الحق؟

الاستكبار هو رؤية النفس فوق الآخرين، وفوق الحق. "بغير الحق" تعني أنهم كانوا يتكبرون بلا سند و لا حجة. الاستكبار على الحق هو أعظم الجرائم. إنه الذنب الذي أخرج إبليس من الجنة. هؤلاء استكبروا عن عبادة الله، وعن اتباع رسله، واحتقروا المؤمنين. ولهذا كانت عقوبتهم "عذاب الهون" الذي يذهب بكبرياءهم.

المحور الثاني: ذنب الفسق "وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ"

س1: ما هو الفسق المقصود هنا؟

الفسق هو الخروج عن الطاعة. إنه يشمل كل المعاصي والذنوب، سواء كانت تتعلق بحق الله أو بحق العباد. الاستكبار هو داء القلب، والفسق هو ثمرته الظاهرة على الجوارح. فاجتمع لهم خبث الباطن وظلم الظاهر، فاستوجبوا العذاب المهين. تأمل: أليس فينا شيء من هذا؟ كم نستكبر عن قبول النصيحة؟ كم نفسق عن طاعة الله ليل نهار؟ إنه تحذير.

ثانياً: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل والمفاهيم من الآية

المحور الأول: كيف نقرأ الآية القراءة الواعية ونحولها إلى واقع حياة؟

أولا ً: التدبر القلبي في "وَيَوْمَ يُعْرَضُ".

· عش المشهد: أغمض عينيك وتخيل أنك تُعرض على النار. كيف سيكون شعورك؟ هذا الخيال النافع يجعلك تستعد لهذا اليوم، وتجعل حياتك كلها مراجعة مستمرة.

ثانياً: التدبر العملي في "أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ".

· مراجعة الاستهلاك: انظر إلى نمط حياتك. كم من أموالك ووقتك تنفقه على شهواتك؟ هل أنت مستنفذ للطيبات أم مدّخر للآخرة؟ ضع ميزانية لنفسك: جزء للدنيا وجزء للآخرة.

ثالثاً: التدبر النفسي في "تَسْتَكْبِرُونَ" و"تَفْسُقُونَ".

· كشف دوافع النفس: راقب قلبك. هل تشعر بالكبر عندما تُنصح؟ هل ترفض الحق لأنه جاء على لسان من هو أقل منك شأنًا؟ هل تتمادى في معصية خفية وتقول: "هذا فسق بسيط"؟ هذه بوادر العذاب المهين.

المحور الثاني: المفاهيم وكيفية تحويلها إلى واقع حياة

.1مفهوم زهد التوازن لا زهد الحرمان.

· المفهوم: ليس المقصود ترك الطيبات، بل عدم جعلها غاية وعدم الانشغال بها عن الآخرة.
· في حياتنا العملية: استمتع بالحلال، واشكر الله عليه، واجعل نيتك أن تتقوى به على طاعة الله. ولا تجعل الدنيا أكبر همك.

.2مفهوم الاستكبار: بوابة الهوان.

· المفهوم: الكبر في الدنيا يقود حتمًا إلى الذل في الآخرة.
· في حياتنا العملية: تواضع لله ولعباده. اقبل النصيحة، واعترف بخطئك. تذكر أن عذاب الهون ينتظر المستكبرين.

.3مفهوم الحسرة على الفائت.

· المفهوم: أشد أنواع العذاب أن ترى ما كان يمكن أن تناله من النعيم، لكنك صرفته فيما يفنى، ثم تعذب على تفريطك.
· في حياتنا العملية: استثمر شبابك، صحتك، فراغك، ومالك. لا تنتظر حتى الندم. بكر بالعمل الصالح قبل أن يأتي يوم لا تندم فيه على ما فات.

المحور الثالث: الدروس العملية لتأسيس الشخصية الإيمانية

.1درس مراقبة النية في المباحات: حتى أكلك وشربك ونومك يمكن أن يكون عبادة أو وبالا ً، بحسب النية.
.2درس الخوف من الخاتمة: هذه الآية تخوفك من أن تكون ممن قال فيهم: "أذهبتم طيباتكم" .عش

بهذا الخوف.
.3درس محاربة الكبر: استعذ بالله من الكبر، واحفظ لسانك، وطأطئ رأسك لله.
.4درس التعلق بالآخرة: اجعل الآخرة مثواك ومنيتك وفكرك الدائم.

المحور الرابع: ما الذي يريده الله منا في هذه الآية؟

.1يريدنا أن نخاف من مشهد العرض على النار، فنعمل لتجنبه.
.2يريدنا أن نعيد ترتيب أولوياتنا، فلا نجعل الدنيا أكبر همنا.
.3يريدنا أن ننبذ الكبر والفسق، ونتحلى بالتواضع والتقوى.
.4يريدنا أن نتذكر دائمًا أن كل متعة في الدنيا منفصلة عن الله، ستنقلب حسرة يوم القيامة.

المحور الخامس: ما الذي تدعونا إليه الآية في حياتنا العملية؟

.1دعوة للمحاسبة اليومية: حاسب نفسك كل ليلة: ماذا أذهبت اليوم من طيبات؟ وماذا قدمت لآخرتي؟
.2دعوة للاقتصاد في الاستهلاك: لا تسرف في الملذات، واجعل لك حظًا من الصيام والجوع أحيانًا، لتعرف قدر النعمة، ولا تستنفد طيباتك.
.3دعوة لنبذ الكبر: في البيت، في العمل، في الشارع .كن سهلا ً لينًا.
.4دعوة للإقلاع عن الفسق: تب إلى الله من كل معصية، كبيرة أو صغيرة، في السر والعلانية.

المحور السادس: ما الذي نتعلمه من الآية في ضوء سياقها التاريخي؟

نزلت الآية في مكة، حيث كان صناديد قريش في قمة استمتاعهم بالدنيا، واستكبارهم على الحق، وفسقهم في أعراضهم وأموالهم. كانوا يأكلون ويشربون ويطوفون بالبيت عراة، ويسخرون من فقراء المؤمنين.

.1التهديد الصريح: كانت هذه الآية نذيرًا لهم بأن هذا الاستمتاع سينقلب وبالا ً، وأن هذا الكبر سينقلب ذلة.
.2تثبيت المؤمنين: في مقابل حرمانهم في الدنيا، رُسِم لهم أن عذاب الهون ليس لهم، بل للمستكبرين .فصبروا على طيبات فاتتهم، واثقين بما عند الله.
.3تعليم المؤمنين فلسفة الحياة: الحياة ليست دار متاع، بل دار تكليف .هذا الدرس كان ضروريًا لبناء الشخصية المسلمة القادرة على التضحية.

المحور السابع: أهم المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية وتحويلها إلى طاقة بناء الإنسان والمجتمع و الحضارة الإسلامية

هذه الآية الكريمة تقدم "صاروخًا" تفجيريًا لطاقات إيجابية هائلة، لو أحسن فهمها وتطبيقها. إنها ليست مجرد وعيد، بل هي خريطة تحرر. لنستخرج هذه الطاقة على المستويات الثلاثة:

أولا ً: المفاهيم النفسية: صناعة الإنسان القوي الشجاع

.1التحرر من عبودية اللذة) من "أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ"(:
· المفهوم: التهديد بأن استنفاد الملذات هو نذير شؤم، يدفع إلى إعادة تعريف "المتعة". المتعة الحقيقية ليست في الاستهلاك، بل في الإنجاز والعطاء.
· تحويله لطاقة بناء الإنسان: هذا المفهوم ينتج "الإنسان القوي". هو إنسان لا تستعبده شهوته، ولا تتحكم فيه معدته. يتحكم في رغباته، ولا تتحكم فيه. طاقاته لا تذهب في تلبية نداء الجسد فحسب ، بل تتجه نحو الإبداع والعمل الصالح. إنه يمتلك زمام نفسه، وهو القادر على مواجهة التحديات، لا الذي ينهار عند أول حرمان من لذة. هذا هو الإنسان القيادي.
.2العلاج النفسي للكبر) من "تَسْتَكْبِرُونَ"(:
· المفهوم: تذكر أن عاقبة الكبر هي "عذاب الهون"، أي الذل والمهانة، يزرع في النفس رقابة ذاتية ضد هذا المرض العضال.
· تحويله لطاقة بناء الإنسان: هذا المفهوم يصنع "الإنسان المتواضع". تواضعه يجعله محبوبًا، قريبًا من الناس، قابلا ً للتعلم منهم. الكبر يغلق أبواب المعرفة، والتواضع يفتحها كلها. الإنسان المتواضع يبني علاقات اجتماعية ناجحة، ويكون قائدًا بالفطرة، لأن الناس تحب من يتواضع لها. طاقة الكبر تدمّر، وطاقة التواضع تبني.

ثانياً: المفاهيم الفكرية: صناعة العقل الواعي بفلسفة الحياة

.1فهم فلسفة المتعة في الإسلام) الدنيا وسيلة لا غاية(:
· المفهوم: الآية ترسم فلسفة الإسلام بوضوح: الدنيا دار عمل، والطيبات فيها وسيلة للتقوي، لا غاية تطلب لذاتها. جعلها غاية هو عين الكفر والغفلة.
· تحويله لطاقة بناء المجتمع: تعميم هذا الفقه في المجتمع يبني "مجتمع الاستثمار". مجتمع لا يكون همه الأكبر الاستهلاك والترف، بل الاستثمار في التعليم والصحة والبنية التحتية. الأفراد و المؤسسات توجه أموالها وطاقاتها نحو ما ينتج وينفع ويدوم، لا نحو ما يستنفد ويفنى. هذا المجتمع ينمو اقتصاديًا ومعرفيًا بشكل مطرد، لأنه يوظف موارده للبناء لا للهدم.
.2فقه عاقبة الظلم والفسق) من "بِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ"(:
· المفهوم: ترسيخ العلاقة الحتمية بين الفسق والاستكبار في الدنيا، والهوان والعذاب في الآخرة. هذا الفقه يبني وعيًا أخلاقيًا متجاوزًا للقوانين الوضعية.
· تحويله لطاقة بناء المجتمع: هذا يبني "مجتمع الأخلاق العليا". أفراده يلتزمون بالقيم ليس خوفًا من عقاب بشري، بل يقينًا في عدالة السماء. هذا المجتمع يقل فيه الفساد، وتزدهر فيه الأمانة، ويشعر فيه الناس بالأمن على حقوقهم وأعراضهم. هذا هو مجتمع العدالة الحقة.

ثالثاً: المفاهيم التربوية: صناعة الجيل العفيف الصابر

.1التربية على تأخير الإشباع) من "أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا"(:
· المفهوم: تعليم الناشئة أن يؤجلوا بعض رغباتهم ومتعهم، وأن يصبروا على الطيبات أحيانًا، ليس حرمانًا، بل تدريبًا على التحكم في النفس، وادخارًا لما هو أعظم.
· تحويله لطاقة بناء الحضارة: جيل يتربى على الصبر وتأخير الإشباع، هو جيل الإنجازات الكبرى. كل نهضة علمية أو حضارية تحتاج إلى باحثين ومفكرين يضحون بلذائذهم الوقتية من أجل أهداف سامية. هذا الجيل لا يغرق في ثقافة "الاستمتاع الفوري"، بل يزرع ويبني ويشق طريقه بصبر، فتكون ثمرة عمله حضارة راسخة.
.2التربية على التواضع وتجنب الكبر) من "بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ"(:
· المفهوم: تربية الجيل على مخاطر الكبر، وتعليمه أن الكبرياء لله وحده، وأن التواضع هو شعار المؤمنين.
· تحويله لطاقة بناء الحضارة: جيل متواضع هو جيل متعلم متعاون. الكبر يجعل الإنسان يرفض النصيحة، ويستنكف عن سؤال من هو أعلم منه، ويحتقر العمل اليدوي. أما الجيل المتواضع، فيتعلم من كل أحد، ويعمل في كل مجال، ويحترم كل إنسان. هذا الجيل هو الذي يبني حضارة إنسانية مترابطة، لا طبقية متكبرة تسحق الفقراء.

رابعاً: كيف تتكامل هذه المفاهيم لتوليد طاقة البناء الحضاري الشامل؟

انظر إلى هذا الصرح الحضاري الذي تشيده هذه الآية:

.1بناء الإنسان: الفرد القوي المتواضع.
· الآية تنتج إنسانًا حرًا من عبودية الشهوة (لم يستنفد طيباته)، قويًا على هواه، متواضعًا لربه ولخلقه. هذا هو اللبنة الأولى الصالحة.
.2بناء المجتمع: المجتمع المنتج الأخلاقي.
· هؤلاء الأفراد يشكلون مجتمعًا لا يكنز الأموال للاستمتاع الفاحش، بل يستثمرها في البناء. مجتمعاً لا ينتشر فيه الفسق والكبر، بل تسوده الأخلاق والتواضع.
.3بناء الحضارة: حضارة الزهد الإيجابي والعزة بالله.
· هذا المجتمع يبني حتمًا "حضارة العزة الحقيقية". إنها حضارة لا تقاس قوتها بناطحات السحاب والاستهلاك المادي فقط، بل تقاس بمدى تحرر أفرادها من العبودية للمادة، وامتلاكهم لزمام أنفسهم. إنها حضارة تعطي الدنيا حجمها الحقيقي (مزرعة الآخرة)، فتبني وتعمر، ولكن لا تغرق في الترف المهلك. هذه الحضارة هي التي تستطيع أن تقدم للعالم نموذجًا إنسانيًا فريدًا، يجمع بين التقدم المادي والروحي، وبين قوة الإرادة ولين التواضع.

الختام: رسالة إلى قلبك

أيها المسكين، يا من تركض خلف الدنيا كل يوم، يا من تظن أن السعادة في جمع المال، وفي المأكل والمشرب، وفي نيل الشهوة بعد الشهوة، قف قليلا ً. اسمع هذا النداء الذي يأتيك من يوم القيامة: "أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا". إنه نداء تحذير، نداء تذكير. إنه يخبرك أن كل لقمة أكلتها بنهم دون شكر، وكل متعة نلتها بغفلة عن الله، وكل لحظة استمتاع قضيتها في غير طاعة، قد صارت الآن حسرة وندامة.
لا تفهم خطأ: الله لا يأمرك بالرهبانية، ولا يحرم عليك زينة الدنيا. لكنه يحذرك أن تكون عبدًا لهذه الزينة، وأن تجعلها غايتك، وأن تستنفد فيها كل رصيد عمرك.
ضع لنفسك ميزانًا: "اليوم أذهب من طيباتي بقدر ما أتقوى به، ولا أستنفد". "اليوم أتواضع لله ولخلقه، ولا أستكبر على حق". "اليوم أترك فسقًا، وأفعل طاعة". بهذا، تتحول حياتك إلى رحلة نحو الجنة، لا رحلة استمتاع تنتهي إلى "عذاب الهون".
تذكر، وأنت واقف على باب الله، أن كل حسنة خفية، وكل شهوة تركتها لله، وكل تكبر حطمته في نفسك، وكل فسق أقلعت عنه، هو طيبات تدخرها ليوم أنت أحوج ما تكون فيه إلى الطيبات. فاجعل دنياك مزرعة لآخرتك، تزرع فيها اليوم، لتحصد غدًا في جنات النعيم، لا أن تستنفد الزرع كله هنا، ثم تلقى الله صفر اليدين. جعلني الله وإياك من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، ومن الذين لم تلههم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، ومن الذين يخافون يوم العرض على النار، فيعملون له ما ينجيهم.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقطع الثالث

المبحث الأول

وبعد، أيها العقل الذي جال في مشاهد القيامة، وأيها القلب الذي اهتز لتوبيخ "أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ"، لقد آن لنا أن ننتقل من مشهد الجزاء إلى مشهد الإنذار .من الذي حذر أولئك المعذبين قبل أن ينزل بهم العذاب؟ من هو ذلك الرسول الذي جاءهم منذ قرون طويلة، في قلب الصحراء، ليحول بينهم وبين هذا المصير المهين؟ ها هو القرآن يأخذك في رحلة إلى أعماق التاريخ، إلى زمن عاد، إلى "الأحقاف"، حيث قام نبي كريم، ورسول عظيم، بمهمة واحدة، هي ذات المهمة التي يقوم بها كل ا لأنبياء .إنها آية تدعوك إلى أن تتذكر، أن تعتبر، وأن ترى كيف أن سنة الله واحدة، وكيف أن الإنذار سبق العذاب، وكيف أن الا ستجابة هي التي تصنع الفارق .استعد، وافتح عقلك وقلبك، ولنسافر معًا إلى هناك، في قول الحق جل وعلا:} وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ.(21) {

المقدمة: من ساحة الجزاء إلى منصة الإنذار

تأمل معي هذا الربط القرآني العجيب .كنا قبل لحظة في يوم القيامة، نرى الكافرين يُعرضون على النار، ويُوبخون توبيخًا يقطع نياط القلوب .ثم فجأة، يأمر الله نبيه محمدًا ﷺ، ومن خلفه كل مؤمن، أن "يذكر" .لماذا هذه النقلة؟ لأن الحكمة تقتضي أن نعرف "لماذا" وصل أولئك إلى هذا المصير .ألم يُنذَروا؟ ألم يرسل الله إليهم من يحذرهم؟ بلى، والله .لقد أرسل الله هودًا إلى عاد، فأعرضوا .ونوحًا إلى قومه، فأعرضوا .وصالحًا إلى ثمود، فأعرضوا .ثم هاهم أولاء يُعذبون .هذه الآية تقول لك: قبل أن تشتكي من ظلم القدر، أو تستغرب من هلاك الأمم، تذكر أن الله أقام الحجة عليهم، وأرسل إليهم أخًا شفيقًا ، ناصحًا أمينًا، حذرهم وأنذرهم .إنها حكمة "اذكر"، لكي تعتبر ولا تكون من الهالكين، ولكي تشكر نعمة أن أرسل إليك محمدًا ﷺ، فآمنت به.

بيان تفسير الآية والمعنى العام لها أولا ً

ما هو المعنى الذي تريد هذه الآية أن تحفره في ذاكرتك؟

يأمر الله تعالى نبيه محمدًا ﷺ، ويأمر كل من يقرأ القرآن، أن يتذكر بالخبر والعبرة قصة "أخي عاد" .والأخوة هنا ليست في الدين، بل في النسب، فهو هود عليه السلام، الذي أرسله الله إلى قبيلة عاد .كانوا يسكنون "الأحقاف"، وهي الرمال الطويلة المعوجة في جنوب الجزيرة العربية، حيث كانت لهم مدائن ذات عماد لم يخلق مثلها في البلاد} .إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ{، أي واقفًا في أرضهم، بين ظهرانيهم، يحذرهم عذاب الله .ويخبرنا الله أن إنذار هود هذا لم يكن بدعًا في التاريخ، بل} وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ{، أي مضت رسل كثيرة من قبله، ومضت من بعده، كلهم جاءوا بنفس الدعوة .فما هي هذه الدعوة الجامعة؟} أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ{، أن وحدوا الله، وأفردوه بالعبادة، ولا تشركوا به شيئًا .وهذه الدعوة مقرونة بالتحذير المشفق:} إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ .{إنه النذير الشفيق، يخاف عليهم من يوم القيامة، يوم العرض على النار، الذي رأينا طرفًا من أهواله .هذه هي الرسالة: توحيد وإنذار .وهي رسالة كل نبي .فهل من معتبر؟

أولا ً: تحليل الآية الكريمة

الأمر الأول: تحليل الأمر الإلهي} وَاذْكرْ{

المحور الأول: دلالة "اذكر" في سياق السورة

س1: لماذا جاء الأمر "واذكر" هنا، وما هي وظيفته النفسية؟

بعد أن عرض الله مشهدًا مرعبًا من أهوال القيامة، يأتي الأمر بالتذكر .وهذا توجيه تربوي عظيم ."اذكر" هنا ليست لمجرد استحضار معلومة تاريخية، بل هي لاستثارة عاطفة الاعتبار .إنها تقول لك: لا تكن كالذي يسمع أخبار الهالكين ثم يمر عليها مر الكرام .بل قف، وتأمل، واجعل قصة هؤلاء حية في قلبك ."اذكر" أي اجعل هذا في دائرة وعيك دائمًا .فذكرى مصرع الظالمين تثبت المؤمن، وتردع الطاغي .هذه الكلمة هي مفتاح باب العبرة.

الأمر الثاني: تحليل} أَخَا عَادٍ{

المحور الأول: التعبير بـ "أخوّة النسب" لا "أخوّة الدين"

س1: لماذا قال الله "أخا عاد" ولم يقل "هودًا" أو "رسول عاد"؟

إنها لمسة بيانية عظيمة ."أخوهم" أي واحد منهم، من قبيلتهم، يعرفون نسبه، ويعرفون شرفه وصدقه .لم يكن غريبًا عنهم، لم يأت من أمة بعيدة، بل هو منهم، من دمهم ولحمهم .هذه "الأخوة" تزيد من فداحة جرمهم، فهم لم يكذبوا غريبًا، بل كذبوا أخاهم! وهي أيضًا تظهر علو شفقته: هو أخ لهم، فحرصه عليهم كان كحرص الأخ على إخوته، يخاف عليهم، ويتمنى لهم النجاة .انظر كيف اختار القرآن الكلمة الأكثر دفئًا ليكشف عن قسوة قلوبهم حين أعرضوا.

الأمر الثالث: تحليل} إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ{

المحور الأول: "إذ" واستحضار الماضي الحي

س1: ما دلالة استخدام "إذ" الظرفية هنا؟

"إذ" هي ظرف لما مضى من الزمان، لكنها في السياق القرآني تستحضر الماضي وكأنه حيٌ أمامك .وكأن الله يقول لك: تذكر ذلك الوقت الذي كان فيه هود قائمًا في وادي الأحقاف، صوته يجلجل بالحق، وهم حوله معرضون .إنها تحول القصة من خبر تاريخي بارد إلى مشهد درامي حي، فتعيشه وكأنك تراه.

المحور الثاني: معنى "أنذر" وأهميتها

س1: لماذا استخدم الفعل "أنذر" دون "بشّر" أو "أخبر"؟

لأن الموقف الذي هم فيه كان يستدعي التخويف والتحذير .هم غارقون في الكفر والطغيان ."أنذر" أي خوفهم وحذرهم عاقبة أمرهم .الإنذار هو أول خطوات الدعوة للمعرضين: أن توقظهم من غفلتهم بصيحة النذير .وفيه إقامة للحجة: فلو لم ينذرهم، لكان لهم عذر .ولكن بعد أن أنذرهم، قامت الحجة، واستوجبوا العذاب.

المحور الثالث: "بِالْأَحْقَافِ" ودلالة المكان

س1: لماذا ذكر المكان تحديدًا) الأحقاف(؟

"الأحقاف" هي الرمال الطويلة الملتوية، وهي موطن قوم عاد .ذكر المكان يفيد عدة معان:

1.توثيق تاريخي: يثبت أن هذه القصة حقيقة واقعة في مكان محدد.

2.تذكير بالنعمة: الأحقاف كانت أرضهم وديارهم ونعمتهم، وفيها طغوا، وفيها هلكوا.

3.إظهار شجاعة هود: هو بينهم، في أرضهم، وتحت سلطانهم، ومع ذلك أنذرهم .إنها جرأة الحق في وجه الباطل.

الأمر الرابع: تحليل} وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ{

المحور الأول: وحدة الرسالة عبر التاريخ

س1: ما معنى "من بين يديه ومن خلفه"؟

أي من قبله ومن بعده .هناك رأيان في التفسير:

.1أن الرسل الذين مضوا من قبله) كنوح (أنذروا أقوامهم، فاستجابوا أو هلكوا .وهو جاء على سنتهم، ليس بدعًا.

.2أن أممًا كثيرة جاءتها النذر من قبله، وستأتيها من بعده، وكلهم يدعون إلى التوحيد.

والخلاصة أن هودًا ليس نبيًا وحيدًا، بل هو في ركب طويل من المنذرين .وهذا يزرع في قلب الداعية الطمأنينة بأنه ليس وحده، ويسير على طريق سار عليه إخوانه الأنبياء.

س2: ما هي الرسالة للمشركين من هذه العبارة؟

تقول لهم: لا تحتجوا بأنكم لم تعرفوا رسلا ً من قبل .ها هم الرسل كانوا قبله وبعده، فلماذا لم تعتبروا؟ إنها توبيخ على تجاهل التاريخ، وكأنهم كان يجب أن يكونوا على علم بأن الله يرسل الرسل، وأن سنة الإهلاك للكافرين مستمرة.

الأمر الخامس: تحليل خلاصة الدعوة} أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ{

المحور الأول: التوحيد هو الرسالة الكبرى

س1: لماذا كانت هذه هي خلاصة إنذاره؟

لأن التوحيد هو أصل الدين وقاعدته .به بدأ كل رسول ."أن لا تعبدوا إلا الله" أي انبذوا الأصنام، ووحدوا الله .هذه الكلمة هي مفرق الطرق بين الجنة والنار .هي التي قال فيها: "إن الله لا يغفر أن يشرك به" .لقد اختصر هود عليه السلام الدين كله في هذه الكلمة، لأنها إذا صحت، صلح ما بعدها .وإن فسدت، فسد كل شيء.

الأمر السادس: تحليل التحذير المشفق} إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ{

المحور الأول: خوف الناصح الشفيق

س1: ما دلالة قوله "إني أخاف عليكم"؟

هذه هي عاطفة النبوة .إنه لا يشمت بهم، ولا يتمنى هلاكهم، بل يخاف عليهم ."أخاف عليكم" أي أنا أشفق عليكم وأرحمكم، وأريد لكم النجاة .خوفه ليس خوفًا على نفسه منهم، بل خوفًا عليهم من أنفسهم .إنه خوف المربي والأب والأخ .يا له من قلب! يقابلونه بالسخرية والجحود، وهو يخاف عليهم من العذاب.

المحور الثاني: "عذاب يوم عظيم"

س1: ما هو "اليوم العظيم" الذي حذر منه؟

هو يوم القيامة .وصفه بالعظيم لتهويله وتفظيعه ."عظيم" في كمّ العذاب، عظيم في كيفه، عظيم في هوله، عظيم في دوامه .إنه يذكرهم أن هناك يومًا تتطاير فيه العقول من الفزع، يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون .وهل هذا إلا ما رأينا طرفًا منه في قوله "ويوم يعرض الذين كفروا على النار"؟! لقد كان إنذاره مبنيًا على تفاصيل ذلك اليوم المهول.

ثانياً: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل والمفاهيم من الآية

المحور الأول: كيف نقرأ الآية القراءة الواعية ونحولها إلى واقع حياة؟

أولا ً: التدبر القلبي في "أخا عاد".

· أخوّة المسؤولية: عندما ترى من حولك يغرقون في المعاصي، اشعر نحوهم بعاطفة الأخوّة .كن "أخًا" لهم، ناصحًا شفيقًا، لا محتقرًا شامتًا .انصحهم من قلبك، وخَفْ عليهم من عذاب الله.

ثانياً: التدبر العملي في "أن لا تعبدوا إلا الله".

· تحرير حياتك من كل معبود: طبق هذه الكلمة في حياتك .تخلص من كل "صنم" عصري: المال، الجاه، الهوى، الشهرة، التعلق المفرط بالناس .واجعل حياتك كلها خالصة لله.

ثالثاً: التدبر الدعوي في "إني أخاف عليكم".

· أسلوب الرحمة في الدعوة: اجعل أسلوبك مع المدعوين قائمًا على الخوف عليهم والشفقة بهم .لا تعنفهم، لا تحتقرهم، بل أشفق عليهم .قل لهم بلسان الحال والمقال: "إني أخاف عليكم".

المحور الثاني: المفاهيم وكيفية تحويلها إلى واقع حياة

.1مفهوم وحدة الرسالة السماوية.

· المفهوم: كل الأنبياء جاؤوا بدين واحد، هو الإسلام بمعناه العام) التوحيد.(

· في حياتنا العملية: كن حلقة متصلة في سلسلة المؤمنين عبر التاريخ .اعتز بهذا الانتماء العريق، واعلم أنك على طريق إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد.

.2مفهوم سنة الله في الإنذار قبل العذاب.

· المفهوم: الله لا يعذب أحدًا إلا بعد أن يقيم عليه الحجة بإرسال الرسل.

· في حياتنا العملية: اقبل العذر ممن لم تبلغه الدعوة الصحيحة .واجعل كل همك تبليغ الدين للناس، لتكون حجة لهم لا عليهم، وتنجيهم من العذاب.

.3مفهوم الخوف النبوي الرحيم.

· المفهوم: الخوف على الناس من العذاب هو علامة صدق الداعية وإخلاصه.

· في حياتنا العملية: نقّ قلبك من الحقد والغل والشماتة .املأه بالرحمة للناس، حتى لأولئك الذين يخاصمونك.

المحور الثالث: الدروس العملية لتأسيس الشخصية الإيمانية

.1درس الوضوح: كن واضحًا في دعوتك، مثل "أن لا تعبدوا إلا الله".

.2درس الشجاعة: قف في "أحقاف" الباطل وحدك، وأنذر بالحق، ولا تخف.

.3درس الاقتداء: هود قدوة لكل داعية .تعلم منه الصبر، والشفقة، والثبات.

.4درس التذكير الدائم: "واذكر" تعني أن المؤمن دائمًا يستحضر قصص الأنبياء لتثبيت قلبه.

المحور الرابع: ما الذي يريده الله منا في هذه الآية؟

.1أن نعتبر بقصص الأولين، فلا نكون نسخة جديدة من المكذبين.

.2أن نركز في دعوتنا على التوحيد، فهو الأساس الذي يبنى عليه كل شيء.

.3أن نتحلى بالشفقة على الخلق، حتى وهم في غمرة الضلال.

.4أن نبلغ رسالة الإسلام بمنتهى الأمانة، كما بلغها هود لقومه.

المحور الخامس: ما الذي تدعونا إليه الآية في حياتنا العملية؟

.1دعوة للتأمل في التاريخ: اقرأ قصص الأنبياء، واجعلها منهج حياة.

.2دعوة لإخلاص العبادة لله: اسأل نفسك الآن: هل في قلبي شيء من عبادة غير الله؟

.3دعوة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: بكل شفقة ورحمة، لا بعنف وكراهية.

.4دعوة للخوف من يوم عظيم: عش حياتك وكأن كل يوم هو استعداد ليوم القيامة.

المحور السادس: ما الذي نتعلمه من الآية في ضوء سياقها التاريخي؟

نزلت الآية في مكة، والمشركون يعاندون، ويكذبون، ويسخرون .وكانت قصة عاد وهود تضرب أطنابها في ذاكرة العرب، لأن عادًا كانوا من العرب البائدة.

.1إقامة الحجة على قريش: أنتم أيها المشركون، تفتخرون بعاد، وترون آثارهم .هذا أخوهم هود جاءهم بالتوحيد فكذبوه، فأهلكهم الله .فماذا تنتظرون أنتم وقد جاءكم أخوكم محمد؟

.2تثبيت النبي ﷺ: "واذكر" فيها تسلية للنبي ﷺ: لست وحدك، فهذا هود من قبلك قال: "إني أخاف عليكم"، فردوا عليه، فصبر .فاصبر كما صبروا.

.3تعليم المؤمنين: تاريخكم يا معشر المؤمنين حافل بالرجال الذين واجهوا الطغاة .أنتم امتداد لهم، فلا تهنوا ولا تحزنوا.

المحور السابع: أهم المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية وتحويلها إلى طاقة بناء الإنسان والمجتمع والحضارة الإسلامية

هنا نصل إلى جوهر الاستفادة الحضارية من هذه الآية الكريمة .إن قصة "أخي عاد" ليست مجرد قصة، بل هي معادلة لصناعة الأمة .لنستخرجها على المستويات الثلاثة:

أولا ً: المفاهيم النفسية: صناعة الإنسان الشفيق الشجاع

.1الجمع بين الشفقة والشجاعة) من "أخا عاد" و"أنذر"(:

· المفهوم: هود عليه السلام يمثل قمة التوازن النفسي: هو "أخ" في شفقته، و"منذر" في شجاعته .لا تأخذه في الله لومة لا

ائم، ولا تفارق قلبه الرحمة بقومه.

· تحويله لطاقة بناء الإنسان: هذا ينتج "الإنسان المصلح الرحيم" .إنه إنسان قوي في الحق، ولكنه رحيم بالخلق .لا تستبد به القسوة تحت غطاء الغيرة على الدين، ولا يمنعه التخوف من مشاعر الآخرين عن قول كلمة الحق .طاقته متوازنة، يستطيع أن يقود ويوجه وينصح دون أن يكسر النفوس .هذا هو المربي، والقائد، والوالد المثالي.

.2دافع الخوف البناء) من "إني أخاف عليكم"(:

· المفهوم: خوف هود ليس خوفًا مَرَضِيًا، بل هو دافع إيجابي ناتج عن المحبة والحرص .تحويل هذا الخوف إلى طاقة إنذار وإصلاح.

· تحويله لطاقة بناء الإنسان: هذا يصنع "الإنسان المسؤول اجتماعيًا" .هو إنسان لا يعيش لذاته، بل يحمل همّ مجتمعه . يخاف عليهم من العواقب الوخيمة، فيسعى جاهدًا لإنقاذهم .هذه الروح هي التي تدفع الأطباء والمربين والمصلحين لبذل أعمارهم في خدمة الناس.

ثانياً: المفاهيم الفكرية: صناعة العقل التاريخي الموحّد

.1فقه السنن التاريخية) من "وقد خلت النذر"(:

· المفهوم: التاريخ ليس عبثًا، بل هو تكرار للسنن .بعثة هود ليست حدثًا معزولا ً، بل هي نموذج متكرر: إنذار، تكذيب، هلا ك.

· تحويله لطاقة بناء المجتمع: تعميم هذا الفقه يصنع "مجتمع الوعي السنني" .مجتمع يقرأ الأحداث الجارية بعين البصيرة، فيعرف أن الصراع بين الحق والباطل سنة، وأن التمكين للمؤمنين بعد الابتلاء سنة، وأن هلاك الطغيان بعد الإمهال سنة .هذا المجتمع لا تهزه الأحداث، ولا ييأس من الشدة، ولا يغتر بالرخاء، لأنه يفهم القوانين التي تحرك التاريخ.

.2عقلية "المركزية التوحيدية") من "ألا تعبدوا إلا الله"(:

· المفهوم: التوحيد هو مركز الدعوة ومحورها .كل الإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لا بد أن تنبثق من هذه الكلمة.

· تحويله لطاقة بناء المجتمع: هذا يبني "مجتمع البوصلة الواحدة" .مجتمع لا تتفرق به السبل، ولا تتشعب به الأهواء .كل أفراده يتحركون نحو غاية واحدة: توحيد الله وإفراده بالعبادة .هذه الوحدة الفكرية تحمي المجتمع من التمزق الداخلي، وتجعل جهوده متراكمة نحو هدف أسمى، فتكون النهضة صلبة وقوية.

ثالثاً: المفاهيم التربوية: صناعة الجيل النذير الرحيم

.1التربية على الاقتداء بالنماذج) من "واذكر"(:

· المفهوم: منهج القرآن يقوم على تربية الأمة من خلال عرض نماذج بشرية عظيمة) الأنبياء (لتكون قدوات عملية ."اذكر"

تعني استحضر هذه القدوات في عملية التربية.

· تحويله لطاقة بناء الحضارة: جيل يتربى على قصص الأنبياء، هو جيل القدوات الحية .شباب لا تشغلهم نجوم الرياضة و الفن عن نجوم السماء من الرسل .هذا الجيل يبحث عن العظمة في التضحية والصدق والثبات على المبدأ، فيتشكل وجدانه على معاني البطولة الحقيقية .هذا الجيل هو الذي يبني حضارة قيمية، لا تفتنها بهارج الحضارة المادية الزائفة.

.2التربية على الحجة والبيان) من "إذ أنذر قومه"(:

· المفهوم: هود لم يهدد قومه بالسيف، بل أنذرهم بالحجة والبيان .التربية على أن الكلمة الصادقة هي أعظم أداة للتغيير.

· تحويله لطاقة بناء الحضارة: هذا يبني جيل الحوار والإقناع .جيل لا يؤمن بالعنف وسيلة للإصلاح، بل يؤمن بالكلمة الطيبة، والحجة الدامغة، والأسلوب المشفق .في هذه الحضارة، تسود ثقافة الحوار، ويحل البيان محل التصفية الجسدية، ويسعى الجميع لإصلاح ما فسد بالحسنى .هذه هي حضارة الرحمة.

رابعاً: كيف تتكامل هذه المفاهيم لتوليد طاقة البناء الحضاري الشامل؟

انظر إلى هذا الصرح الحضاري الذي أقيمت أعمدته على كلمة "واذكر أخا عاد":

.1قاعدة الصرح: الفرد الشفيق الشجاع:

· الآية تنتج إنسانًا يجمع بين الشفقة على الخلق والشجاعة في الحق، حاملا ً لهمّ مجتمعه، خائفاً عليهم من سوء العاقبة . هذا هو المواطن الذي تبنى به الأمم.

.2هيكل الصرح: المجتمع الموحد الواعي:

· هؤلاء الأفراد حين يجتمعون، ينتجون مجتمعًا محوره التوحيد، قارئًا للتاريخ بوعي، متجهًا نحو غاية واحدة .هذا هو المجتمع المتماسك فكريًا، الصامد أمام رياح الفتن.

.3قمة الصرح: حضارة القيم والبيان:

· هذا المجتمع، بهذه الأسس، يبني حتمًا "حضارة البيان والرحمة" .إنها حضارة تقدم للعالم نموذجًا مختلفًا عن حضارة القوة المادية الغاشمة .إنها حضارة تقوم على إقامة الحجة، وإشاعة الرحمة، وتحرير الإنسان من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد . هذه هي الحضارة التي بدأها "أخو عاد" منذ آلاف السنين، وسيبقى المؤمنون على دربه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

الختام: رسالة إلى قلبك

أيها القارئ الكريم، يا من تقرأ قصة "أخي عاد"، توقف واسأل نفسك: أين أنت من هود؟ هود كان أخًا لقومه، ناصحًا لهم، خائفًا عليهم .فهل أنت "أخ" لإخوتك، "أب" لأبنائك، "جار" لجيرانك، بمعنى الشفقة والنصح والرحمة؟ أم أنك غارق في ذاتك، لا يهمك إلا نفسك، لا تخاف على أحد، ولا تحمل هم أحد؟

ثم اسأل نفسك: أين أنت من دعوة "ألا تعبدوا إلا الله"؟ هل صارت هذه الكلمة هي مركز حياتك وبوصلة أفعالك؟ هل خلعت من قلبك كل معبود سوى الله، من هوى، ومال، وشهوة، وجاه؟ تذكر أنك إن لم تعبد الله وحده، فأنت عبد لكل شيء إلا الله.

اخرج من هذه الآية وقد جعلت هودًا عليه السلام قدوتك في دعوتك، في شفقتك، في صبرك، في وضوح رسالتك .كن "أخًا" لكل ضال، تحاول أن تنقذه .وكن "نذيرًا" لكل غافل، تحاول أن توقظه .واجعل شعارك دائمًا مع من حولك: "إني أخاف عليكم" .عندها، ستذوق حلاوة الأخوة الإيمانية، وستكون جديرًا بحمل لواء الدعوة إلى الله، حتى تلقى الله في زمرة هود وإخوانه من النبيين، في مقعد صدق عند مليك مقتدر

المبحث الثاني

بعد أن نقلت لنا الايه مشهد سيدنا هود وهو ينذر قومه : "إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ"، ها نحن نقف الآن على المشهد الأكثر إيلامًا في كل قصة نبي. إنه مشهد "الرد". لقد قلتَ كلمة الحق، وبذلتَ النصيحة، وأشفقتَ من قلبك، فماذا كان الجواب؟ لقد كان جوابًا يقطر كبرًا واستهزاءً واستعجالا ً للعقوبة. إنها الآيتان اللتان تكشفان عن طبيعة المعركة الأبدية بين الرسل وأقوامهم، وتضعان أمامك دستور "الرد" على المسيء، ودستور "التفويض" لله. استعد، وافتح عقلك وقلبك، ولنستمع إلى هذا الحوار الخالد بين الحق والباطل، في قول الله جل وعلا: {قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (22) قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (23)}.

المقدمة: حيث يصطدم البيان بالطغيان

تأمل معي هذا المشهد الموجع. في الآية السابقة، رأينا هودًا عليه السلام، واقفًا في وادي الأحقاف، بكل شفقة الأخوة وحرص النبوة، وهو يقول لقومه: "يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ"، وهو يقول: "إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ". فماذا كان ردهم؟ لم يقولوا: "دعنا نتفكر في كلامك"، ولا "نحن نريد آية". بل اتهموه في نواياه، واستخفوا بإنذاره، وتحدوه أن يأتيهم بالعذاب فورًا. إنه منطق الكبر والجهل، منطق من ألف الباطل واستثقل سماع الحق. وهنا، في هذا المشهد، يقف هود عليه السلام الموقف النبوي العظيم. إنه لا يسب، ولا يشتم، ولا يدعو عليهم، بل يفوض الأمر إلى الله، ويعلن بكل ثبات أن مهمته البلاغ لا أكثر، وينسب جهلهم لهم، لا عنادًا، بل جهلا ً بحقيقة العذاب وطبيعة التعامل مع الله. إنها مدرسة في فقه ا لأولويات، ومدرسة في فقه الدعوة إلى الله، ومدرسة في فقه الصبر على أذى الآخرين.

بيان تفسير الآيتين والمعنى العام لهما أولا ً

ما هو المعنى الذي تريد هاتان الآيتان أن تزرعانه في نفسك؟

يخبرنا الله تعالى عن رد قوم عاد على نبيهم هود عليه السلام بعد أن أنذرهم. {قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا}، أي قالوا له: يا هود، هل أتيتنا لتصرفنا وتبعدنا عن عبادة آلهتنا التي وجدنا عليها آباءنا؟ إنهم يتهمونه بأنه يريد أن "يأفكهم"، أي يصرفهم ويكذبهم ويخدعهم. هذه تهمة لا تقل بشاعة عن تهمة "سحر مبين" و"افتراه" التي رماها مشركو قريش للنبي محمد ﷺ. هم يظنون أن هودًا يريد سلبهم آلهتهم، لا أن ينقذهم من عذاب الله. ثم ينتقلون من التهمة إلى التحدي السافر: {فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ}. إنهم يستعجلون العذاب استهزاءً وتكذيبًا. يقولون له: إن كنت صادقًا في أن العذاب سيقع بنا، فأتنا به الآن، فأرنا إياه! يا لقلة الحياء من الله! ويا لسوء الأدب مع أنبيائه!

وهنا يأتي رد هود عليه السلام، رد النبوة الخاشع، الذي يعلم أن الأمر بيد الله لا بيده: {قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ}. أي أن أمر العذاب، وزمنه، وكيفيته، ليس لي فيه شيء، بل علمه عند الله وحده. أنا لست من يملكه فأأتيكم به، بل هو بيد الله الذي

أرسلني. ثم يحدد مهمته بكل وضوح: {وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ}. وظيفتي هي البلاغ، وقد بلغتكم. ثم يختتم كلامه بكلمة توجع: {وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ}. لست أراكم قومًا مكذبين فحسب، بل قومًا تجهلون. جهلتم عظمة الله فاستعجلتم عذابه ، وجهلتم شفقتي فاتهمتموني، وجهلتم سنن الله في إملائه للظالمين، وجهلتم وقع العذاب وبأسه.

أولا ً: تحليل الآيتين الكريمتين

الأمر الأول: تحليل الآية الثانية والعشرين: {قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ}

المحور الأول: تحليل الاتهام الباطل {أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا}

س1: ما هو المعنى العميق لكلمة "لتأفكنا"؟

"تأفكنا" من الإفك، وهو الكذب والصد عن الحق .واستعمال صيغة المضارعة تفيد أنه يريد أن يصرفهم صرفًا مستمرًا بالكذب والاحتيال .يا له من اتهام صارخ! إنهم يقولون لنبيهم: أنت كذاب، وغرضك ليس هدايتنا، بل خداعنا وصرفنا عن ديننا الحق)بزعمهم .(إنهم يقلبون الحق باطلا ً، والشفقة غشًا، والنصح خديعة .أين هم من قوله في الآية السابقة "إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ"؟ لقد قابلوها بـ "لِتَأْفِكَنَا" .هذا هو الفرق بين قلب النبي وقلوب المكذبين.

س2: ما دلالة تخصيص الذكر بـ "آلهتنا"؟

التركيز على "آلهتنا" يدل على أنهم يرون في هذه الآلهة شيئًا عزيزًا عليهم، وتاريخًا وآباءً. هي بالنسبة لهم عقيدة وموروث. ولهذا شعروا أن دعوة هود "أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ" هي هجوم على أقدس مقدساتهم. فرسالة التوحيد، رغم كونها الحق، تبدو للذي ألف الشرك وكأنها خطر داهم يريد أن يسلبهم تراثهم.

المحور الثاني: تحليل استعجال العذاب {فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ}

س1: لماذا استعجلوا العذاب؟

هذا هو سلاح العاجز الذي لا يملك حجة. لقد أفحمهم منطق هود، وأذابت كلماته الثلج من قلوبهم، فلم يجدوا ردًا إلا التحدي الأرعن: أرنا العذاب. إنه ليس تحديًا ناتجًا عن شجاعة، بل ناتج عن جهلين: الجهل بعظمة العذاب، فظنوا أنه شيء هين يمكن

تحمله. والجهل بحلم الله، فظنوا أن عدم استعجال العقوبة هو دليل على بطلان النبوة. إنها عقلية "المكابرة".

س2: ما العلاقة بين قولهم هذا وقول مشركي قريش؟

هو ذاته! لقد قال مشركو قريش للنبي ﷺ: "اللهُمّ إن كانَ هَذَا هُوَ الحَقّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السّمَاء أَوِ ائتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ". إنه منطق الطاغية عبر التاريخ. حين يضيق صدره بالحجة، يطلب القوة. وهذا يكشف عن أنهم لم يكونوا باحثين عن الحق، بل متبعين للهوى.

الأمر الثاني: تحليل الآية الثالثة والعشرين: {قَالَ إِنَّمَا العِلْمُ عِندَ اللهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ}

المحور الأول: تحليل تفويض العلم لله {إِنَّمَا العِلْمُ عِندَ اللهِ}

س1: ما دلالة أداة الحصر "إنما" في هذا الرد النبوي؟

"إنما العلم عند الله" حصر قاطع .إنه يقطع الطريق على أي توهم بأن النبي يملك خزائن العذاب .هو يقول لهم: أنا لا أعلم متى يقع العذاب، ولا كيف يقع .أنا رسول، ولست شريكًا لله في تدبيره .هذا التفويض هو قمة الأدب، وهو قمة الحجة .كأنه يقول: إن كنت صادقًا في رسالتي، فلا يلزم من صدقي أن أنا الذي أنزل العذاب .العذاب موعده عند مرسلي.

س2: كيف يجمع هذا الرد بين الأمانة والتواضع؟

الأمانة في قوله "إنما العلم عند الله"، فهو لا يتجاوز ما أذن الله له به. والتواضع في تجرده من أي قدرة ذاتية. إنه يعلمهم أن العباد كلهم سواء أمام الله، حتى الأنبياء، لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا.

المحور الثاني: تحليل تحديد الوظيفة {وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ}

س1: ما الفرق بين "أبلغكم" و"أنذركم" التي استعملها قبلا ً؟

"أنذركم" كان في مقام الدعوة والتحذير .أما "أبلغكم" فهي في مقام إقامة الحجة وإعلان انتهاء المهمة .كأنه يقول: لقد أنذرتكم سابقًا، والآن وقد كذبتم واستعجلتم، فدوري انتهى .أنا مبلغ فقط، وقد بلغت .إنها إشارة إلى أن العذاب قد يكون قريبًا، لأن مهمة الإنذار قد انتهت وحلت محلها مهمة البلاغ الذي تقوم به الحجة.

س2: كيف يطبق الداعية هذا المعنى في حياته؟

الداعية الناجح هو من يفرغ طاقته في "البلاغ"، دون أن يتعلق قلبه بـ "النتائج". مهمتك أن تقول الحق، لا أن تفرضه على الناس. مهمتك أن تبذل ما بوسعك لإيصال الرسالة، لا أن تجبر القلوب على الاستجابة. كن مثل هود، قل: "وأبلغكم ما أرسلت به"، ثم كل أمرك لله.

المحور الثالث: تحليل وصفهم بـ "التجهيل" {وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ}

س1: لماذا وصفهم بالجهل دون الكفر أو العناد؟

"تجهلون" أبلغ في المقام من "تكفرون" .لأن جحودهم ودعواهم تنم عن جهل مطبق:

1. جهلوا عظمة الله فاستعجلوا عذابه.
2. جهلوا وقع العذاب فاستخفوا به.
3. جهلوا سنن الله في إملائه للظالمين.
4. جهلوا أن مهمة الرسول البلاغ لا الإهلاك.
5. جهلوا أن العذاب إذا جاء لا يرد.

إنها كلمة جامعة مانعة، تدل على أن مصيبتهم الأولى ليست في سوء قصدهم فحسب، بل في فراغ عقولهم من المعرفة الحقة بالله. ولذلك فالعلاج هو العلم، لا الجدال. وهذه لمعة بيانية عظيمة: فالعناد نتيجة، والجهل هو السبب.

س2: ما الرسالة التربوية في وصف المسيء بأقبح صفاته بطريقة لائقة؟

هود لم يشتم، ولم يسب، بل وصف واقعهم: "تجهلون". هذا هو أدب الأنبياء في الحوار. أنت أيضًا، عندما تناقش مخالفًا، لا تقل له: "أنت أحمق"، بل قل: "أنت لم تفهم المسألة بعد" أو "هذا رأي مبني على جهل بحقيقة كذا". هذا الأسلوب يحفظ ماء الوجه، ويبقي على جسور التواصل، ويجعل منك ناصحًا لا متسلطًا.

ثانياً: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل والمفاهيم من الآيتين

المحور الأول: كيف نقرأ الآيتين القراءة الواعية ونحولها إلى واقع حياة؟

أولا ً: التدبر القلبي في "أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا".

· تأمل ألم الداعية: ضع نفسك مكان هود .كم يؤلمك أن تقابل شفقتك ونصحك باتهامك بالخداع والكذب؟ هذا التأمل يعلمك الصبر على الناس، ويهون عليك جراح كلماتهم.

ثانياً: التدبر العملي في "فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا".

· لا تستعجل العقاب لأحد: إذا ظلمك أحد، لا تدع عليه بسرعة .تذكر أن استعجال العذاب هو شعار الكفار .أما المؤمن، فيصبر ويفوض الأمر لله.

ثالثاً: التدبر السلوكي في "وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ".

· حدد نطاق مسؤوليتك: في عملك، في أسرتك، في دعوتك، اعرف حدودك .بلّغ ما تستطيع، ولا تقتل نفسك همًا على ما لا تملكه من نتائج .هذه هي صحتك النفسية.

المحور الثاني: المفاهيم وكيفية تحويلها إلى واقع حياة

.1مفهوم حصر العلم بيد الله.

· المفهوم: الغيب، ومنه موعد العقوبات والنصر، بيد الله وحده.

· في حياتنا العملية: لا تجزم بمواعيد للمستقبل، ولا تيأس إن تأخر النصر .قل دائمًا: "إنما العلم عند الله".

.2مفهوم فقه الأولويات) البلاغ قبل النتيجة.(

· المفهوم: أولوية الداعية هي البلاغ، لا إكراه الناس على الهداية.

· في حياتنا العملية: أنفق طاقتك في إتقان التبليغ، لا في الحسرة على عدم الاستجابة.

.3مفهوم الجهل كأصل للانحراف.

· المفهوم: أصل كل ضلال هو الجهل بالله وسننه.

· في حياتنا العملية: حارب الجهل في نفسك وفي غيرك بالعلم الشرعي والعلم الكوني .كن متعلماً دائمًا.

المحور الثالث: الدروس العملية لتأسيس الشخصية الإيمانية

.1درس التوازن في الدعوة: اجمع بين الحجة القوية والشفقة العظيمة.

.2درس ضبط اللسان: عند الغضب، لا تسب، بل صف الواقع بلغة مهذبة.

.3درس قوة اليقين: هود واثق من ربه، فلم يهزه استهزاؤهم .ابنِ يقينك بالله لتصمد.

.4درس تفويض الأمر لله: لا تنشغل بعقاب من أساء إليك، فالله هو العليم الحكيم.

المحور الرابع: ما الذي يريده الله منا في هذه الآيتين؟

.1يريدنا أن نفهم أن مهمة المصلح هي البلاغ، لا إجبار الناس على الصلاح.

.2يريدنا أن نتواضع لله، فلا ندعي علم الغيب ولا القدرة على التغيير.

.3يريدنا أن نصف المخالفين بأوصافهم الحقيقية) الجهل (لا بالألفاظ النابية.

.4يريدنا أن نتعلم من ردود الكفار على أنبيائهم، لنكون أقوى حجة وأكثر صبرًا.

المحور الخامس: ما الذي تدعونا إليه الآيتان في حياتنا العملية؟

.1دعوة للثبات: لا تنهار إذا اتهمك الناس بالخداع أو التطرف بسبب تمسكك بالتوحيد.

.2دعوة للعلم: كن عدوًا للجهل في كل صوره .تعلم العقيدة الصحيحة لترد على شبهات "الآلهة" المعاصرة.

.3دعوة لترك الجدال العقيم: إذا رأيت المخاصم ينتقل من الحجة إلى الاستهزاء والتحدي، فاتبع سنة هود: أنهِ الحوار بما ينفع، وقل: "إنما العلم عند الله".

.4دعوة للتركيز على البلاغ: أنت مطالب بإبلاغ الرسالة، لا بتحويل القلوب .افرح بأنك بلغت، ولا تحزن على من أعرض.

المحور السادس: ما الذي نتعلمه من الآيتين في ضوء سياقها التاريخي؟

نزلت هذه القصة في مكة تثبيتًا للنبي ﷺ والمؤمنين، وتعريضًا بمشركي قريش الذين قالوا مثل قول عاد تمامًا.

.1تسلية النبي ﷺ: لست وحدك يا محمد في هذا الطريق .هذا هود من قبلك اتهموه "لتأفكنا" وقالوا "فأتنا بما تعدنا" .أنت تسير على الطريق الصحيح.

.2بيان أن التحدي بالعذاب سنة الكافرين: قريش لم تبدع شيئًا جديدًا، بل كررت أفعال من سبقها .وهذا يعلمنا أن ندرس التاريخ كي نتعرف على السنن.

.3توجيه المؤمنين إلى الرد الأمثل: علمهم القرآن كيف يردون على استعجال المشركين للعذاب: "إنما العلم عند الله".

المحور السابع: أهم المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية وتحويلها إلى طاقة بناء الإنسان والمجتمع والحضارة الإسلامية

الآن، وقد وعينا التفاصيل، لنستخرج الشيفرات الحضارية الكامنة في هذا المشهد. إن رد هود عليه السلام هو كنز للمنهجية ا لإصلاحية. لنستخرج هذه الطاقة:

أولا ً: المفاهيم النفسية: صناعة الإنسان الصبور الواثق

.1المناعة ضد الإساءة) من "لِتَأْفِكَنَا"(:

· المفهوم: إدراك أن الإساءة والاتهامات الباطلة هي أمر طبيعي في طريق المصلحين .هذا الفهم يحصن النفس من الانهيار.

· تحويله لطاقة بناء الإنسان: هذا الإدراك يبني "الإنسان الصامد" .هو الذي يستطيع أن يسمع كلمة "مخادع" أو "متطرف" أو "رجعي" وهو مبتسم، لأنه يعلم أنها مجرد ردود فعل جاهلة .طاقاته لا تستنزف في الحزن أو الغضب، بل تبقى موجهة للبناء والإنتاج.

.2التوازن بين المسؤولية والتحرر) من "وَأُبَلِّغُكُم"(:

· المفهوم: مهمتي هي البلاغ، والنتائج بيد الله .هذا يخلق توازنًا بين الإحساس بالمسؤولية) فأنا مكلف (والتحرر من عقدة النتائج) فأنا غير مسيطر.(

· تحويله لطاقة بناء الإنسان: هذا المفهوم ينتج "الإنسان الفعّال المتوكل" .هو إنسان يبذل قصارى جهده، وينام الليل قرير العين، لأنه يوقن أنه أدى ما عليه .لا يقتله القلق، ولا يحرقه الإحباط، فيكون دائم العطاء، طويل النفس في خدمة دينه ومجتمعه.

ثانياً: المفاهيم الفكرية: صناعة العقل المنهجي الموضوعي

.1تشخيص الداء لا الشتيمة) من "قَوْمًا تَجْهَلُونَ"(:

· المفهوم: هود لم يقل: "أنتم ملاعين" أو "أنتم أشرار" .بل وصف حالتهم: "تجهلون" .هذا منهج فكري قائم على تشخيص المشكلة) الجهل (لتحديد العلاج) العلم.(

· تحويله لطاقة بناء المجتمع: تعميم هذا المنهج في المجتمع يبني "مجتمع الحلول" .مجتمع لا يضيع وقته في السباب و اللعنات والشعارات الحماسية الفارغة .إنه يحلل المشكلات الاجتماعية) الفساد، التخلف، التفكك (ليجد أسبابها الجذرية)الجهل بالدين، ضعف التربية، غياب العدالة(، ثم يوجه طاقاته لحل تلك الأسباب .هذا هو مجتمع البناء والتقدم.

.2فقه "العلم عند الله" في التعامل مع الغيبيات والمستقبل:

· المفهوم: التفريق بين ما يستطيع الإنسان معرفته) التكاليف (وما لا يستطيعه) مواعيد العقوبات والنصر .(هذا يوفر طاقة فكرية هائلة.

· تحويله لطاقة بناء المجتمع: هذا الفقه يبني "مجتمع التخطيط الواقعي" .مجتمع لا يظل ينتظر الفرج أو الخلاص بـ النبوءات والتكهنات .إنه يعمل ويخطط ويأخذ بالأسباب، ويفوض النتائج لله .لا يشغله السؤال: "متى ننتصر؟" بقدر ما يشغله السؤال: "ماذا أعددنا للنصر؟" .هذه العقلية هي التي تبني حضارة العلم والعمل.

ثالثاً: المفاهيم التربوية: صناعة الجيل المبلغ الواعي

.1التربية على "فقه البلاغ") من "وَأُبَلِّغُكُم"(:

· المفهوم: تربية الناشئة على أن لكل إنسان رسالة يؤديها بحسب موقعه، وأن عليه أن يتقن أداء هذه الرسالة دون أن يتعلق قلبه بالنتائج التي لا يملكها.

· تحويله لطاقة بناء الحضارة: جيل يتربى على "فقه البلاغ"، هو جيل المسؤولية والإتقان .الطبيب يبذل جهده في علاج المريض، ويتقبل نتيجة الشفاء أو الموت بقدر الله .المعلم يبذل جهده في تعليم الطالب، ولا يصاب بالإحباط إن فشل طالب . هذا الجيل يعمل بإخلاص وإتقان، فينتج أعلى جودة ممكنة، دون أن يصاب بالإرهاق النفسي .هذه هي طاقة الاستمرار الحضاري.

.2التربية على "الأدب في الخلاف") من أسلوب هود(:

· المفهوم: تعليم الأبناء كيفية الرد على المسيء بأدب .هود اتهم بالخداع، فقال: "إنما العلم عند الله ...ولكنكم قوم تجهلون" .لم يشتم، لم يقذف، لم يهدد.

· تحويله لطاقة بناء الحضارة: جيل يتربى على هذا الأدب، هو جيل الحوار الحضاري .إنه جيل يحترم مخالفه، ويصف المشكلة لا الشخص، ويبني علاقات إيجابية حتى مع الخصوم .هذا الجيل قادر على إدارة التنوع في المجتمع، ونشر ثقافة السلام الاجتماعي، وتفكيك الأزمات بالحكمة لا بالعنف .هذه هي الحضارة الإنسانية الراقية.

رابعاً: كيف تتكامل هذه المفاهيم لتوليد طاقة البناء الحضاري الشامل؟

انظر إلى هذا الصرح الحضاري الذي أسسه نبي كريم في أحرف قليلة:

.1قاعدة الصرح: الفرد الصامد المتوازن:

· الآيتان تنتجان إنسانًا لا تهزه الإساءات) صامد(، ويوازن بين مسؤوليته وتوكله) متوازن(، ويؤدي عمله بإتقان) مبلغ .(هذا هو المواطن الصالح، القوي بإيمانه، الحكيم في تعامله.

.2هيكل الصرح: المجتمع المحلل البناء:

· هؤلاء الأفراد حين يجتمعون، ينتجون مجتمعًا يركز على حل المشكلات عبر تشخيص أسبابها) الجهل(، ويعمل بواقعية وتخطيط دون انتظار التدخلات الغيبية .هذا مجتمع علمي، تخطيطي، منتج.

.3قمة الصرح: حضارة الصبر والأدب:

· هذا المجتمع، بهذا النفس الطويل، وبهذا الأدب الرفيع، يبني حتمًا "حضارة الحجة والبيان" .إنها حضارة لا تنهار عند أول ريح معارضة، ولا تنحدر إلى مستنقع السباب والصراعات اللفظية .إنها حضارة ترتفع فوق الجراح، وترد على الإساءة بالإ حسان، وعلى الاتهام بالحجة، وعلى الجهل بالعلم .هذه هي الحضارة التي تحمل رسالة الله إلى العالمين.

الختام: رسالة إلى قلبك

أيها الداعية، أيها المصلح، أيها المؤمن الذي يحمل في قلبه همّ الدين والناس، اسمع. لقد رأيت الرد الذي تلقاه هود عليه السلا م، ورأيت كيف رد هو. ألا تشعر أن قصته هي قصتك؟ كم من مرة نصحت فيها أحدًا فقابل نصيحتك باتهامك بالخداع أو التخلف؟ كم من مرة حذرت فقوبلت بالاستهزاء والتحدي: "فأتنا بما تعدنا"؟

لا تحزن، ولا تيأس. ليكن هود عليه السلام هو معلمك وقدوتك. تعلم منه أن تفوض الأمر لله: "إِنَّمَا العِلمُ عِندَ اللهِ". لا تشغل بـ الك متى ينتقم الله من الظالمين، ومتى ينصرك. علم ذلك عند الله. وركز طاقتك في ما كلفك الله به: "وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ". بلغ الرسالة بأسلوبك، بخلقك، بعملك، بدعوتك. بلغها واصبر، ولا تنتظر من الناس ثناء ولا قبولا ً.

وعندما يسيء إليك من تدعوه، لا تنس أن خلف كفره وعدائه جهلا ً عميقًا. عامل الناس على قدر عقولهم، وقل في نفسك: "وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ"، واعمل على إزالة هذا الجهل بالحكمة والموعظة الحسنة.

اخرج إلى دنياك، وقد وضعت عن كاهلك عبء النتائج، وامتلأ قلبك بسكينة التفويض لله. بلغ، واصبر، وأحسن، وتواضع، وانتظر الفرج من "العَزِيزِ الحَكِيمِ"..

المبحث الثالث

، أيها العقل الذي رأى لتوّه رد الطغيان على النذارة، وأيها القلب الذي سمع بأذن بصيرته صوت هود وهو يقول: "إِنَّمَا العِلمُ عِندَ اللهِ"، لقد آن الأوان أن نرى "كيف" يتحقق علم الله، و"كيف" ينزل عذابه بعد أن استعجلوه .ها هو المشهد المهول .مشهد لا تكاد تسمعه حتى يقشعر له بدنك .مشهد يتحول فيه الأمل إلى هلاك، والفرح إلى رعب، والسحابة التي ينتظرونها لتروي أرضهم العطشى، تتحول إلى ريح فيها عذاب أليم .إنه مشهد يخبرك أن سنة الله لا تتخلف، وأنه إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون .استعد، واقبض على قلبك، ولنعش معًا لحظات نزول العذاب الذي تحدوا به واستخفوا به، في قول الحق جل وعلا:} فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (24) تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي القَوْمَ المُجْرِمِينَ.{(25)

المقدمة: حيث يتحول الاستعجال إلى وبال

تأمل معي هذا المشهد الرهيب .في الآية التي قبلها، سمعنا قوم عاد يقولون لهود بكل صلف وتحدٍ: "فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ" .استعجلوا العذاب، وظنوا أنه لن يأتي، أو أنه إن أتى فسيأتون به؟! وها قد حانت اللحظة} .فَلَمَّا رَأَوْهُ{، أي رأوا العذاب الذي وُعدوا به .لم يأتهم على هيئة صاعقة من السماء دفعة واحدة، بل جاءهم في صورة تخادعهم .جاءهم كسحابة! سحابة ضخمة "عارض"، تمتد في الأفق .فرحوا، استبشروا، قالوا: هذا سحاب فيه مطر يروي أرضنا .ويا للهول! إن العذاب قد ينزل عليك في صورة النعمة، والهلاك قد يلبس ثوب الأمل .هذه هي سنة الله في الاستدراج .ثم فجأة، ينكشف الأمر .إنها ليست سحابة ممطرة، بل هي "رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ" .ريح لا تحمل الماء بل الدمار، لا تبرد الأجساد بل تمزقها} .تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا{، تهدم كل ما تمر عليه، لا تبقي ولا تذر .ثم تأتي النهاية:} فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ .{لقد أصبحوا خبرًا بعد أن كانوا عينًا .أصبحوا جثثًا هامدة، لا يُرى إلا بيوتهم الخالية، شواهد على عظمة الله وقدرته .ثم يختم الله هذا المشهد بـ التعقيب الكوني:} كَذَٰلِكَ نَجْزِي القَوْمَ المُجْرِمِينَ .{هذه سنة الله، وهذا جزاء كل مجرم طغى واستكبر.

بيان تفسير الآيتين والمعنى العام لهما أولا ً

ما هو المعنى الإجمالي الذي تريد هاتان الآيتان أن يزرعانه في قلبك؟

بعد أن تحدى قوم عاد نبيهم هودًا واستعجلوا العذاب، أمسك الله عنهم المطر سنين عديدة حتى اشتد عطشهم وقحطهم .ثم أرسل عليهم سحابة عظيمة في الأفق، فلما رأوها متجهة إلى أوديتهم، ظنوا أنها تحمل الخير والغيث، ففرحوا وقالوا: "هَٰذَا

عَارِضٌ مُمْطِرُنَا" .ولكن الله يكشف الحقيقة: "بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ" .إنه ليس غيثًا، بل هو العذاب الذي استعجلتموه حين قلتم: "فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا" .إنها "رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ" .ريح شديدة الهبوب، بالغة البرودة، تحمل معها كل ألوان العذاب الموجع . هذه الريح} تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا{، أي تخرب وتهدم كل ما مرت عليه من أبنية وأموال وأنفس .والدمار هنا شامل: "كُلَّ شَيْءٍ" من البشر والديار والأشجار .والنتيجة:} فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ{، أي ماتوا جميعًا، وأصبحت مساكنهم خاوية على عروشها، لا يُرى فيها من ساكنيها أحد .وهذا هو قانون الجزاء:} كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ .{هكذا يفعل الله بكل من أجرم وأصر على إجرامه.

أولا ً: تحليل الآيتين الكريمتين

الأمر الأول: تحليل الآية الرابعة والعشرين:} فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ{

المحور الأول: تحليل بداية العذاب} فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ{

س1: ما دلالة "لما" في بداية الآية؟

"لما" ظرفية شرطية، تفيد الربط الزمني .فهي تربط بين استعجالهم للعذاب في الآية السابقة، وبين رؤيتهم له في هذه الآية . كأنه يقول: فلما بلغ كفرهم ذروته، واستعجالهم أقصاه، حانت لحظة الرد .إنها توحي بأن العذاب جاء "تمامًا" بعد أن استكملوا أسباب الهلاك.

س2: ما سر جمال ورهبة التعبير بـ "عارضًا مستقبل أوديتهم"؟

"عارض" هو السحاب العظيم الذي يعترض الأفق ويعم السماء ."مستقبل أوديتهم" أي متجه نحو مساكنهم وديارهم .هذا الوصف يرسم لوحة فنية مدهشة: تراهم وقوفًا، عيونهم شاخصة إلى الأفق، يرون سحابة عملاقة تقترب منهم .قلوبهم تخفق فرحًا، إذ حسبوها غيثًا بعد جفاف .وهنا تكمن المفارقة الإلهية المذهلة: أعظم آمالهم) المطر (هو بعينه أعظم آلامهم) العذاب .(لقد جاءهم الموت في ثوب الحياة.

المحور الثاني: تحليل خيبة الأمل} قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا{

س1: لماذا أورد الله قولهم هذا بصيغة الماضي؟

"قالوا" أي أنهم نطقوا بذلك، وهذا يصور لك كم كانوا واثقين .لقد أعلنوها بصوت عالٍ، متباهين، متبشرين .هذا التعبير يكشف عن قمة استدراج الله لهم .لقد وصلوا إلى درجة من الاغترار جعلتهم يقطعون بأنه مطر .ولو عرفوا الحقيقة، لطار عقلهم من الرعب.

س2: ما دلالة وصف العارض بأنه "ممطرنا"؟

"ممطرنا" أي حامل مطرنا .إنهم ينسبونه لأنفسهم: "ممطرنا" لا "ممطر الأرض" .هذا يعكس شدة فرحهم به، فقد ظنوه خيرًا خاصًا بهم، استجابة لاحتياجهم .وهنا يبلغ الاستدراج ذروته: الله يعطيهم ما ظنوه خيرًا، فيتحول إلى أشد الشر.

المحور الثالث: تحليل التصحيح الإلهي} بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ{

س1: ما تأثير حرف الإضراب "بل" هنا؟

"بل" للإضراب الانتقالي، وهو هنا يفيد الانتقال من شيء إلى ضده تمامًا .كأنه يهدم أحلامهم الدنيئة بواقع مرعب: لا تفرحوا، ليس هذا بممطركم! "بل هو" العذاب الذي طلبتموه! إنها صدمة نفسية هائلة .تحويل الآمال إلى آلام، والاستبشار إلى خوف . هذا هو أبلغ أنواع العقوبة.

س2: "ما استعجلتم به" – لماذا أضيف العذاب إلى استعجالهم؟

فيه منتهى التبكيت ."ما استعجلتم به" أي هذا هو الشيء الذي كنتم تستحثونني عليه وتقولون "فأتنا بما تعدنا" .لقد ألححتم في طلبه، وها هو قد جاءكم .فذوقوا الآن ما سألتموه! هذه العبارة تزيد من ألم العذاب، لأنه عذاب مقرون بالخزي والعار على غبائهم.

المحور الرابع: تحليل حقيقة العذاب} رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ{

س1: لماذا عبر عن العذاب هنا بـ "ريح"؟

تأمل كيف تحولت الصورة من سحابة ممطرة إلى ريح مدمرة .الرياح عادة تأتي بالسحاب، ولكن هذه الريح لا تأتي بماء، بل تأتي بـ "عذاب أليم" .وفي آيات أخرى وُصفت: "بِرِيحٍ صَرْصَرٍ" أي شديدة البرودة والصوت، "عَاتِيَةٍ" أي شديدة الهبوب .فهي ريح باردة قاسية، تمزق كل شيء .إنها ليست أداة رحمة، بل أداة نقمة.

س2: ما معنى "فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ"؟

"فيها" أي في هذه الريح ذاتها، ليس مجرد أن الريح تسبب العذاب، بل هي نفسها تحمل العذاب .هي وعاء للعذاب ."أليم" أي مؤلم موجع .إنها لا تدمر الأجساد فحسب، بل تؤلمها أشد الإيلام قبل التدمير .ففي كل ذرة من ذرات هذا الريح عذاب.

الأمر الثاني: تحليل الآية الخامسة والعشرين:} تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ{

المحور الأول: تحليل شمولية التدمير} تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا{

س1: ما هو معنى "تدمر"؟

"تدمر" أي تهلك وتخرب وتدك .التدمير إهلاك كلي، لا تبقي مبنى قائمًا ولا كائنًا حيًا ."كل شيء" من أنفسهم، وأموالهم، وديارهم، وزروعهم .إنه هلاك شامل .لقد طغوا وتكبروا على كل شيء، فجاء التدمير ليشمل كل شيء.

س2: ما دلالة قيد "بأمر ربها"؟

هذا هو الفارق بين التدمير العبثي والتدمير العقابي ."بأمر ربها" تعني أن هذه الريح ليست عاصفة طبيعية عابرة، بل هي جند من جنود الله .إنها بأمره، مسخرة لإهلاكهم .هذا يبهت من يدّعون أن هلاك عاد كان كارثة طبيعية بحتة .هي طبيعية في شكلها، لكنها إلهية في توجيهها وتوقيتها.

المحور الثاني: تحليل المشهد الأخير} فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ{

س1: ما سر التعبير بـ "أصبحوا"؟

"أصبحوا" تدل على أن العذاب وقع عليهم ليلا ً أو في يوم ما، فلما طلع الصباح، كانت المفاجأة .أصبحوا وقد صاروا أثرًا بعد عين .أصبحوا جثثًا طريحة .و"صبح" هو وقت المفاجآت، وقت انكشاف الحقائق .ففي الصباح، ظهر أنهم لم يكونوا شيئًا.

س2: لماذا قال "لا يرى إلا مساكنهم"؟

"لا يرى" أي لا يبصر الرائي .فكأن الناظر إلى ديارهم لا يقع بصره إلا على مساكنهم الخالية .أين الرجال؟ رحلوا .أين الأموال؟ تبخرت .لم يعد هناك أي أثر للحياة .مساكن فارغة، شاهدة على أنهم كانوا هنا، فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون .إنها صورة موحشة: بيوت بلا سكان، مدينة بلا حياة .هذا هو مصير الطغيان.

المحور الثالث: تحليل خاتمة القانون الإلهي} كذَٰلِكَ نَجْزِي القَوْمَ المُجْرِمِينَ{

س1: لماذا وصفهم بـ "المجرمين" هنا؟

"المجرمين" من أجرام في اللغة هو القطع، ومنه الجريمة لأنها قطيعة للحق .هم قوم قطعوا ما أمر الله به أن يوصل، وأفسدوا في الأرض .هذا الوصف هو العلة .فمجرد جريمتهم في حق أنفسهم وحق الله وحق غيرهم، استوجبت هذا الجزاء . إنها قاعدة: الجزاء من جنس العمل.

س2: ما دلالة أن هذه هي "سنة" في الجزاء؟

"كذلك نجزي" أي مثل هذا الجزاء العظيم، نجزيه لكل قوم مجرمين، في كل زمان ومكان .إنها سنة ماضية .وهذا ليس تهديدًا فحسب، بل هو طمأنة للمؤمنين .أيها المؤمن المظلوم، لا تحزن .إن الله سيجزي المجرمين كما جزى عادًا .سنة الله لا تتخلف.

ثانياً: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل والمفاهيم من الآيتين

المحور الأول: كيف نقرأ الآيتين القراءة الواعية ونحولها إلى واقع حياة؟

أولا ً: التدبر القلبي في "بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ".

· لا تستعجل البلاء: احذر أن تدعو على نفسك أو على غيرك بالموت أو المرض أو الخراب .فقد يستجيب الله لك ويكون ما طلبته سبب هلاكك .كن عبدًا صابرًا.

ثانياً: التدبر العملي في "يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ".

· زيارة المقابر والآثار: زُرْ قبور الطغاة، اذهب إلى أماكن هلاك الأمم) سواء رأيتها أو قرأت عنها(، وقل لنفسك: هؤلاء كانوا هنا، أين هم الآن؟ ماذا بقي لهم؟ هذا يزهدك في الدنيا، ويكسر كبرياءك.

ثالثاً: التدبر النفسي في "كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ".

· العلاج النفسي بالمشاهدة: عندما تشعر بالغبن من ظلم ظالم، استحضر مصارع المجرمين .هذا يبرد غيظ قلبك، ويمنحك سكينة وثقة في عدالة الله.

المحور الثاني: المفاهيم وكيفية تحويلها إلى واقع حياة

.1مفهوم الاستدراج بالنعمة.

· المفهوم: قد يأتي البلاء في صورة النعمة.

· في حياتنا العملية: عندما تحصل على ما تظنه خيرًا، فاحمد الله، ولكن فتش في نفسك: هل أنا بعيد عن الله؟ أتكون نعمة استدراج؟ الخوف من الاستدراج يجعلك دائم التوبة.

.2مفهوم الجندية الإلهية للكون.

· المفهوم: الريح والبراكين والزلازل ليست طبيعة عمياء، بل جنود لله، يأمرها فتطيع.

· في حياتنا العملية: لا تنظر إلى الكوارث نظرة مادية بحتة، بل اعتبر بها .واخش الله أن تسخر منك جنوده يومًا.

.3مفهوم الخلو بعد الملء.

· المفهوم: "لا يرى إلا مساكنهم" أبلغ رسالة عن أن الإنسان يرحل ويبقى الأثر .فالموت نهاية كل حي.

· في حياتنا العملية: ابنِ دنياك، ولكن لا تجعلها كل همك .اعمل لآخرتك، فإنك راحل وسيبقى بيتك لغيرك.

المحور الثالث: الدروس العملية لتأسيس الشخصية الإيمانية

.1درس الاستعجال: لا تستعجل قضاء الله، فله حكمة في الإمهال.

.2درس الحذر من الاغترار: لا تغتر بظواهر الأمور، فرب سحابة ممطرة هي ريح مدمرة.

.3درس الزهد في الدنيا: تذكر أن الدنيا دار فناء، لتتعلق بدار البقاء.

.4درس اليقين بعدالة الله: المجرم لا بد أن يجزى، والظالم لا بد أن يهلك.

المحور الرابع: ما الذي يريده الله منا في هذه الآيتين؟

.1يريدنا أن نعتبر بعذاب عاد، فنكون من الشاكرين لا من المستعجلين.

.2يريدنا أن نوقن بأن جنوده لا ترد، وأنه إذا أراد شيئًا فلا مرد له.

.3يريدنا أن نذكر دائمًا أن وراء كل نعمة قد يكون استدراج، فنراقب قلوبنا.

.4يريدنا أن نطمئن بأن كل مجرم سيلقى جزاءه، فلا نستبطئ العقاب.

المحور الخامس: ما الذي تدعونا إليه الآيتان في حياتنا العملية؟

1.دعوة للخوف من سوء الخاتمة: ليس المهم كيف تعيش، بل كيف تموت .هؤلاء عاشوا جبابرة، وماتوا أذلة.

2.دعوة للصبر: إذا تأخر عنك الفرج، فلا تتسخط، ولا تستعجل بلسانك أو بقلبك.

3.دعوة للتأمل في الطبيعة: انظر إلى الريح والسحاب، وتذكر أنهما جندان من جنود الله، يرسلهما للنعمة أو للنقمة.

4.دعوة لتربية الأبناء على عاقبة الظلم: اقصص عليهم قصة عاد، ليكرهوا الظلم منذ الصغر.

المحور السادس: ما الذي نتعلمه من الآيتين في ضوء سياقها التاريخي؟

نزلت هذه الآيات في مكة، والمشركون يعذبون المؤمنين، ويستهزئون بوعيد الله، ويقولون: "متى هذا الوعد إن كنتم صادقين؟" .كانت قصة عاد حية في ذاكرة العرب.

1.تهديد مباشر: الآية تهديد صريح لمشركي مكة: كما أنزلنا العذاب على عاد بعد استعجالهم، فسيأتيكم عذابكم في وقته.

2.تثبيت المؤمنين: في كل مرة كان المؤمنون يسمعون استهزاء الكفار بالوعد، كانت هذه القصة تذكرهم بأن وعد الله حق، وأن العذاب وإن تأخر فلا بد واقع.

3.الاستدلال بالآثار: العرب كانت تمر بديار عاد وترى مساكنهم الخاوية، فكانت هذه الآية تفسيرًا لما يرونه بأعينهم.

المحور السابع: أهم المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية وتحويلها إلى طاقة بناء الإنسان والمجتمع والحضارة الإسلامية

هذا المشهد المهيب، مشهد نزول العذاب على قوم عاد، ليس مجرد عقاب تاريخي، بل هو كنز من القوانين النفسية والا جتماعية والحضارية .لنستخرجها على المستويات الثلاثة:

أولا ً: المفاهيم النفسية: صناعة الإنسان الراشد الحذر

1.التحرر من الغفلة والاستدراج) من "بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ"(:

· المفهوم: أن ترى الخير فيتحول إلى شر، هذا هو الاستدراج .المؤمن الذكي هو الذي لا يغفل عن هذه السنة، فيظل يقظًا حذرًا.

· تحويله لطاقة بناء الإنسان: هذا المفهوم يبني "الإنسان الحذر"، الذي لا تطيش به النعم، ولا تسكره المسرات .إنه يفرح بـ

النعمة ويشكر، ولكنه لا يأمن مكر الله .هذه اليقظة الدائمة هي أعظم وقاية من السقوط .إنسان بهذه الرقابة الذاتية هو إنسان دائم التوبة والتجديد لعهده مع الله، فلا يتراكم عليه الران، ولا تأخذه الغفلة.

.2سيكولوجيا الصبر على الظلم) من "كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ"(:

· المفهوم: رؤية أن الظالمين سيجزون أشد الجزاء، تحرر المظلوم من الحقد والرغبة في الانتقام، وتمنحه سكينة الانتظار لعدالة السماء.

· تحويله لطاقة بناء الإنسان: هذا المفهوم ينتج "الإنسان المطمئن" .هو إنسان لا يحرق أعصابه على ظلم الظالمين، ولا يستنزف طاقته في التفكير في كيفية الرد عليهم .هو يكل أمرهم لله، ويطمئن بأنهم لن يفلتوا .هذه الطاقة التي كانت ستضيع في الحقد والغضب، تتحول الآن إلى بناء وإبداع وإصلاح في المجتمع.

ثانياً: المفاهيم الفكرية: صناعة العقل السنني العميق

.1فقه السنن الكونية) من "بِأَمْرِ رَبِّهَا"(:

· المفهوم: الطبيعة ليست أمًا ولا إلهًا، بل هي جند من جنود الله، مسخرة بأمره .هذا يحول العقل من عقلية "القوانين الطبيعية العمياء" إلى عقلية "السنن الربانية الموجهة".

· تحويله لطاقة بناء المجتمع: تعميم هذا الفقه يبني "مجتمع العلم والإيمان" .مجتمع يدرس الظواهر الطبيعية) الرياح، الزلا زل (لا لمجرد المادة، بل ليفهم كيف تعمل السنن، فيزداد إيمانًا ويقينًا .هذا المجتمع لا يصاب بالإحباط أمام الكوارث، بل يعتبرها مؤشرات ودروسًا، فيتعامل معها بحكمة وإيمان .هذا هو مجتمع التوازن.

.2فقه الخلو والعمار) من "لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ"(:

· المفهوم: العمران المادي وحده لا يغني شيئًا إذا خوى من الإيمان .مساكن عاد كانت من أعظم ما بنت يد الإنسان، ولكنها لما فرغت من ساكنيها المؤمنين بالله، صارت أثرًا بعد عين.

· تحويله لطاقة بناء المجتمع: هذا الفقه يبني "مجتمع العمران المتوازن" .مجتمع يبني المساكن الشاهقة والمدن الجميلة، ولكنه لا يغتر بها، بل يهتم قبل كل شيء ببناء "الإنسان" الذي يسكنها .إنسان بالإيمان، بالأخلاق، بالعدل .فالمدينة بلا ساكن فاجر هي خراب وإن كانت عامرة .والمجتمع العادل الفقير، خير عند الله من المجتمع الفاجر الغني.

ثالثاً: المفاهيم التربوية: صناعة الجيل الذي لا يغتر بالمظاهر

.1التربية على قراءة المآلات) من "هَٰذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا"(:

· المفهوم: تعليم الناشئة ألا يغتروا بالمظاهر، فكم من شيء بدا خيرًا فكان هلاكًا .تعليمهم التفكير النقدي في كل ما يعرض لهم.

· تحويله لطاقة بناء الحضارة: جيل يتربى على هذا، هو جيل الفحص والتمحيص .هو جيل لا ينخدع بالإعلانات التجارية

البراقة، ولا بالشعارات السياسية الرنانة، ولا بالموضات الفكرية المنحرفة .هو جيل يرى ما وراء السطح .هذا الجيل هو الذي يبني حضارة راسخة على الحقائق، لا حضارة زائفة على الأوهام.

.2التربية على عاقبة الظلم) من "الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ"(:

· المفهوم: ربط الظلم بالدمار، في وجدان الناشئة .أن يرى الطفل أن كل ظالم مهما طال ظلمه، فمصيره إلى هلاك محقق.

· تحويله لطاقة بناء الحضارة: هذا يبني جيل العدالة .جيل يكره الظلم، ويسعى للعدل، ليس فقط خوفًا من العقاب الإلهي، بل لأن العدل أصبح جزءًا من تكوينه النفسي .هذا الجيل هو الذي يبني مجتمعًا لا يضطر للثورات المتكررة على الظلمة، لأن الظلم لا يجد له موطئ قدم فيه.

رابعاً: كيف تتكامل هذه المفاهيم لتوليد طاقة البناء الحضاري الشامل؟

انظر إلى هذا الصرح الحضاري الذي تنهض به هاتان الآيتان:

.1قاعدة الصرح: الفرد اليقظ المطمئن:

· الآيتان تنتجان إنسانًا لا يغفل فيستدرج، ولا يحقد فيحترق، بل هو يقظ بالشكر، مطمئن بعدالة الله .هذا هو اللبنة الأولى القوية.

.2هيكل الصرح: المجتمع السنني المتوازن:

· هؤلاء الأفراد حين يجتمعون، ينتجون مجتمعًا يقرأ الطبيعة والتاريخ كسنن إلهية، فيهتم بالعمران المادي وبناء الإنسان الأ خلاقي معًا .هذا مجتمع متقدم علميًا، راقٍ أخلاقيًا.

.3قمة الصرح: حضارة البصيرة والعدل:

· هذا المجتمع، بهذه الخصائص، يبني حتمًا "حضارة البصيرة" .إنها حضارة لا تخدعها المظاهر، ولا تغويها الشهوات، ولا تكسرها الكوارث .حضارة ترى ما وراء السحاب، وتوقن بأن مدبر الكون هو العزيز الحكيم .هذه هي الحضارة التي تستحق أن تسمى "خير أمة أخرجت للناس".

الختام: رسالة إلى قلبك

أيها الإنسان، يا من تمر عليك السحابات كل يوم، قف قليلا ً .انظر إلى تلك السحابة في الأفق .أهي ممطرة حاملة للخير، أم هي ريح فيها عذاب؟ ليس لك أن تعلم، ولكن لك أن تتذكر دائمًا: كما أنزل الله العذاب على عاد في صورة سحابة استبشروا بها، فقد ينزل العذاب على من يشاء في أي صورة كانت.

لا تأمن مكر الله .لا تغتر بإمهاله .لا تظن أن النعمة التي أنت فيها هي أبدًا علامة رضا .قد تكون استدراجًا .فكن عبدًا شكورًا، وكن عبدًا خائفًا .خف من الذنب الذي قد يحول النعمة إلى نقمة، وخف من الذنب الذي يجعل السحابة الممطرة ريحًا صرصرًا عاتية.

وتذكر، كلما رأيت آثار قوم عاد وأخبارهم، تذكر أن هناك "مساكن" خاوية لكثير من الطغاة .ستمر عليها، وستقرأها، فقل: هؤلاء كانوا هنا، وها هم ذهبوا .لم يبق منهم إلا ما نقرأ .فلا تجعل الدنيا أكبر همك، ولا تجعل مبلغ علمك أن تفرح بسحابة .واجعل لنفسك من هذه الآية رادعًا وزاجرًا، ونورًا وهدى .عش بها، مت بها، تكن في أمان الله يوم لا ينفع مال ولا بنون.

المبحث الرابع

وبعد، أيها العقل الذي شهد لتوّه مصرع قوم عاد، ورأى كيف تحولت السحابة التي استبشروا بها إلى ريح دمرتهم، وأيها القلب الذي اهتز لمساكنهم الخاوية التي لا يُرى فيها إلا الجدران الصامتة، قف معي الآن لنسمع التعقيب الإلهي. فبعد أن يسدل القرآن الستار على مشهد الهلاك، يأتي بسؤال كوني عظيم: لماذا هلكوا؟ كيف هلكوا وقد كانوا في قمة التمكين والقوة؟ إنها ا لآية التي تفك شفرة الحضارات، وتكشف عن مكمن الخلل فيها. إنها آية تقول لك بكل وضوح: ليست القوة المادية وحدها هي التي تبقي الأمم، وليست الحواس والأدوات هي التي تهدي. هناك شيء آخر. هناك القلب. هناك الإيمان. استعد، وافتح عقلك وقلبك، ولنستمع إلى هذا التحليل الإلهي العميق لأسباب انهيار الحضارات، في قول الحق جل وعلا: {وَلَقَدْ مَكَّنَاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} (26).

المقدمة: تشريح جثة حضارة ميتة

تأمل معي كم هو عظيم هذا القرآن! فبعد أن عرض علينا فيلماً درامياً عن هلاك عاد، بالريح التي دمرت كل شيء، لم يتركنا القرآن عند هذا الحد. وكأنه يسمع في أذهاننا سؤالا ً: كيف هلك قوم كانوا في منتهى القوة والعظمة؟ كيف هلكوا وكانوا كما قال الله عنهم: "أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (6) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (7) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ"؟ ها هو الجواب يأتي مباشراً، موجهاً الخطاب لقريش، ولمن خلف قريش إلى يوم القيامة. إن الآية تقوم بتشريح لجثة عاد الحضارية، لتكتشف أن سبب الموت لم يكن ضعفاً مادياً، بل كان "جحوداً" قلبياً. لقد امتلكوا كل أسباب القوة، ومُنحوا كل أدوات الإدراك (السمع، الأ بصار، الأفئدة)، ولكنهم عندما جحدوا بآيات الله، أصبحت هذه الأدوات كلها لا قيمة لها. هذا هو الدرس الأكبر: الحضارة لا تحيا بالتكنولوجيا وحدها، بل بالإيمان. والأمة لا تهلك بالقنابل الذرية أولا ً، بل تهلك ب-"الجحود" الذي يعمي البصائر.

بيان تفسير الآية والمعنى العام لها أولا ً

ما هو المعنى الإجمالي الذي تريد هذه الآية الكريمة أن تنقشه في قلبك؟

يخبرنا الله تعالى، مقسماً بالقسم المؤكد بـ"اللام" و"قد": {وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ} أي أعطينا قوم عاد من التمكين والسلطان والقوة، {فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ} أي في أمور وأشياء لم نعطكم مثلها يا أهل مكة. أنتم لم تبلغوا شيئاً مما بلغوه من بسطة في العمران والأجسام. ثم يزيد في تعداد النعم: {وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً}، وهذه هي أمهات أدوات الإدراك والمعرفة، التي لو استُعملت للحق لأوصلت إليه. ولكن، {فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ}. هذه الأدوات الثمينة التي منحهم الله إياها، لم تدفع عنهم من عذاب الله شيئاً، ولم تنفعهم حين جاء أمر الله. لماذا؟ {إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ}. هذا هو بيت القصيد. العلة هي الجحود. لقد استعملوا هذه الحواس في غير ما خلقت له. سمعوا آيات الله فأعرضوا، وأبصروا آياته الكونية فأنكروا، وعقلوا بقلوبهم الحق فرفضوه وجحدوه استكباراً. ثم تأتي الخاتمة المخزية: {وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ}. نزل بهم وأحاط بهم العذاب الذي كانوا يسخرون منه ويستعجلونه. فذلك العذاب الذي ظنوه وهماً وأسطورة، صار واقعهم الأبدي.

أولاً: تحليل الآية الكريمة

الأمر الأول: تحليل التمكين {وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ}

المحور الأول: تأكيد الخبر بالقسم واللام وقد

س1: لماذا أكد الله الخبر بـ "لقد"؟

التأكيد بـ"لقد" (اللام و"قد") يفيد تحقيق الخبر وتقريره. فهذا ليس كلاماً عابراً، بل هو حقيقة ثابتة. إنه تأكيد موجه لقريش خصوصاً، ولكل قارئ عموماً. كأنه يقول: أيقنوا واعلموا علماً لا شك فيه أن عاداً كانوا في نعمة من التمكين لم تبلغوها أنتم.

المحور الثاني: معنى التمكين {مَكَّنَّاهُمْ}

س1: ما هو مدلول "التمكين" هنا؟

"مكناهم" أي أعطيناهم القوة، والبسطة في الأجساد، والمال، والسلطان، وطول العمر، والعمران. "التمكين" هو التثبيت و الرسوخ في الشيء. فقد مكنهم الله في الأرض، جعلهم أثرياء أقوياء. كل أبواب الدنيا كانت مفتوحة أمامهم.

س2: ما دلالة إسناد التمكين إلى الله "مكناهم"؟

فيه تذكير دائم بأن القوة والنعمة ليستا من عند أنفسنا، بل من عند الله. "مكناهم"... وهو الذي سلبهم التمكين. فلا ينبغي لعاقل أن يغتر بقوته، فالله الذي مكنه قادر على أن ينزع منه التمكين في لحظة.

المحور الثالث: مقارنة التمكين {فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ}

س1: لماذا قارن الله حال عاد بحال قريش؟

الخطاب هنا موجه لقريش. "فيما إن مكناكم فيه" أي في أمور لم نعطكم مثلها. هذه مقارنة تهدف إلى تحقير قريش وتصغير شأنهم. كأنه يقول: يا معشر قريش، أنتم تفتخرون بأموالكم وقوتكم، ولكنكم لا تساوون شيئاً أمام ما كنا أعطيناه لعاد. ومع ذلك، لما كفروا، دمرناهم. فكيف بكم أنتم الضعفاء؟ إنه تهديد مبطن، وتذكير بأن القوة المادية ليست معيار النجاة.

الأمر الثاني: تحليل أدوات المعرفة {وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً}

المحور الأول: نعمة أدوات الإدراك

س1: لماذا خص الله السمع والأبصار والأفئدة بالذكر؟

هذه هي أمهات الحواس ووسائل المعرفة. السمع يدرك الأصوات والوحي. والبصر يدرك الصور والآيات الكونية. والفؤاد (القلب والعقل) يدرك المعاني ويعقلها. الله جمع لهم بين أدوات المعرفة السمعية والبصرية والعقلية. هذا هو كمال النعمة. فالإنسان الكامل هو من لديه هذه الأدوات، ولكن الأكمل هو من يستعملها فيما خلقت له. فهم أوتوا كمال الوسائل، ولكنهم حرموا كمال الغايات.

س2: ما هو الترتيب في ذكر هذه الأدوات (سمع، أبصار، أفئدة)؟

غالباً ما يقدم القرآن السمع على البصر، لأن السمع هو أول ما يعمل به الإنسان عند الولادة، وهو طريق تلقي الوحي. ثم البصر وهو أداة المشاهدة والتأمل. ثم الفؤاد وهو أداة التحليل والفهم. هذا الترتيب يعكس مراحل تكون المعرفة: تسمع الوحي، ثم ترى آيات الله في الكون، ثم تعقل وتفقه.

الأمر الثالث: تحليل عجز هذه الأدوات {فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ... مِن شَيْءٍ}

المحور الأول: دلالة "أغنى"

س1: ما معنى "فما أغنى عنهم"؟

"أغنى" أي دفع عنهم ونفع. هذه الأدوات العظيمة التي هي سبب النجاة، لم تدفع عنهم شيئاً من العذاب حين نزل بهم. لماذا؟ الجواب: لأنهم عطلوا وظيفتها الحقيقية. فالأداة إن لم تستعمل في وظيفتها فوجودها كالعدم. سمعوا فلم يطيعوا، وأبصروا فلم يعتبروا، وعقلوا فلم ينتفعوا.

المحور الثاني: علة العجز {إِذْ كانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللهِ}

س1: ما هو "الجحود" ولماذا هو أخص من "الكفر"؟

"الجحود" هو إنكار الحق عن علم ومعرفة. الفرق بينه وبين الكفر: أن الجحود هو إنكار ما تعرفه النفس وتستيقنه. هم لم يجهلوا الحق، بل عرفوه عن طريق هذه السمع والأبصار والأفئدة، ولكنهم جحدوه. إنها جريمة مزدوجة: جريمة معرفة الحق، ثم جريمة إنكاره. ولهذا كانت عقوبتهم شديدة.

س2: كيف كانوا يجحدون بآيات الله؟

بآيات الله الشرعية: أي كذبوا بالرسل والكتب. وبآيات الله الكونية: وهي ما في السموات والأرض من دلائل. رأوا بأعينهم

قدرة الله، وسمعوا بآذانهم وحيه، وعقلوا بقلوبهم صدقه، ولكنهم جحدوا. لقد عطلوا أدوات المعرفة عن الوصول إلى الإيمان.

الأمر الرابع: تحليل العقوبة {وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ}

المحور الأول: معنى "حاق"

س1: لماذا اختير لفظ "حاق" هنا؟

"حاق" أي نزل وأحاط. الفعل "حاق" يدل على الإحاطة التامة. العذاب لم يمسهم فقط، بل أحاط بهم من كل جانب. لا مفر ولا مهرب. وهذا يناسب جريمتهم، فقد أحاط بهم الجحود من كل جانب، فأحاط بهم العذاب.

المحور الثاني: جزاء من جنس العمل

س1: ما هو الشيء الذي كانوا يستهزئون به؟

كانوا يستهزئون بإنذار هود عليه السلام. كانوا يستهزئون بالعذاب الموعود. قالوا له: "فأتنا بما تعدنا". فلما جاءهم العذاب، أحيط بهم. فشتان بين استهزائهم به وهو غيب، وبين إحاطته بهم وهو حقيقة. هذا هو قانون: من استهزأ بآيات الله، حاق به استهزاؤه.

ثانياً: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل والمفاهيم من الآية

المحور الأول: كيف نقرأ الآية القراءة الواعية ونحولها إلى واقع حياة؟

أولاً: التدبر في "مكناهم".

· تأمل نعم الله عليك: قارن بين نعمك ونعمة عاد. كيف تستعمل تمكينك؟ هل هو في طاعة الله أم معصيته؟ اشكر الله على تمكينه، واجعله سبباً في قربه لا بعده.

ثانياً: التدبر في "فما أغنى عنهم".

· جرد نفسك: اسأل نفسك: أنا أملك سمعاً وبصراً وفؤاداً. فهل أغنت عني هذه الأدوات من غضب الله؟ أم أني جاحد بها؟ التيقن من أنك تستعملها في الحق هو رأس المال.

ثالثاً: التدبر في "يحاق بهم ما كانوا به يستهزئون".

· احترس من الاستهزاء: لا تسخر من وعد الله ولا من وعيده، ولا من آية من آياته. أخطر شيء أن يستهزئ الإنسان بشيء، فيكون هو نفسه سبب هلاكه.

المحور الثاني: المفاهيم وكيفية تحويلها إلى واقع حياة

1.مفهوم التمكين مسؤولية.

· المفهوم: القوة والنعمة ليست دليلاً على الرضا، بل هي اختبار.

· في حياتنا العملية: لا تغتر بقوتك أو مالك. اسأل نفسك: ماذا أفعل بهذه القوة؟ أأستعملها في طاعة أم في معصية؟

2.مفهوم الأدوات وسيلة لا غاية.

· المفهوم: السمع والبصر والفؤاد هي أدوات، فإن لم توظف في الإيمان، صارت وبالاً.

· في حياتنا العملية: لا تكن سمعك سبباً في دخولك النار (بسماع الحرام). ولا بصرك (بالنظر للحرام). ولا فؤادك (باستعماله في تدبير المؤامرات). بل استعملها في طاعة الله.

.3مفهوم الجحود هو سبب الخسران.

· المفهوم: ليس مجرد الجهل بالحق هو المهلكة، بل معرفة الحق ثم جحوده هو الأشد.

· في حياتنا العملية: احذر الجحود. إذا عرفت أمراً من دين الله، لا تجحده. لا تبرر خطأك بعد أن تعرف أنه خطأ. هذا هو الجحود.

المحور الثالث: الدروس العملية لتأسيس الشخصية الإيمانية

.1درس شكر النعمة بالعمل: نعمة السمع والبصر والفؤاد تقتضي شكراً عملياً لا لفظياً فقط.

.2درس الخوف من الجحود: خف أن تصل بك الحال إلى أن تجحد حقاً عرفته .جدد إيمانك دائماً.

.3درس نقد الحضارة المادية: تعلم من عاد أن القوة المادية والإعلامية لا تكفي .فلتكن حضارة قوية مادياً وروحياً.

.4درس التواضع لله: لا تستعمل حواسك في الكبر على الخلق، بل في معرفة الله.

المحور الرابع: ما الذي يريده الله منا في هذه الآية؟

.1يريدنا أن نعي أن النعم أدوات اختبار، قد تكون سبباً في سعادتنا أو شقائنا.

.2يريدنا أن نستثمر حواسنا وعقولنا في الوصول إلى الإيمان واليقين.

.3يريدنا أن ننظر إلى آثار الأمم البائدة بعين البصيرة، فنتعظ ولا نكون مثلهم.

.4يريدنا أن نوقن بسنته:} وَحَاقَ بِهِم مَّا كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ.{

المحور الخامس: ما الذي تدعونا إليه الآية في حياتنا العملية؟

.1دعوة لإعادة توظيف الحواس: ماذا تشاهد؟ ماذا تسمع؟ ماذا تفكر؟ هل هذا يرضي الله؟

.2دعوة لمحاربة الجحود العلماني: الذي يعرف دلائل الحق ثم ينكرها.

.3دعوة للتواضع العلمي: لا تجعل معرفتك تدفعك للجحود، بل للإيمان.

.4دعوة للاعتبار بقصص الأولين: لا تقرأها كحكايات، بل كقوانين.

المحور السادس: ما الذي نتعلمه من الآية في ضوء سياقها التاريخي؟

نزلت الآية في مكة، وصناديد قريش يملكون من القوة والمال والسمع والبصر والأفئدة مثل ما وصف الله، ومع ذلك يجحدون بآيات الله ويكذبون رسوله. فجاءت هذه الآية:

.1لنسف غرورهم: أنتم يا معشر قريش، لستم بأقوى من عاد، ولا أكثر تمكيناً .فكيف تأمنون أن ينزل بكم ما نزل بهم؟

.2لإقامة الحجة عليهم: لقد وهبكم الله أسماعاً وأبصاراً وأفئدة، فلماذا لا تعملونها في التفكر في آيات الله؟

.3لتثبيت المؤمنين: كان المؤمنون يرون جبروت الكفار، فجاءتهم هذه الآية لتقول لهم: لا تخافوا من قوتهم، فقوة عاد أعظم ، ولكنها لم تغن عنهم شيئاً حين جحدوا.

المحور السابع: أهم المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية وتحويلها إلى طاقة بناء الإنسان والمجتمع والحضارة الإسلامية

هنا نصل إلى الفائدة العظمى. هذه الآية هي "بيان الأزمة" و"وصفة العلاج" لحضارتنا. إنها تشريح لأسباب الانهيار، وبالتالي خريطة للنهوض. لنستخرج هذه الطاقة على المستويات الثلاثة للإنسان والمجتمع والحضارة:

أولا ً: المفاهيم النفسية: صناعة الإنسان الواعي المسؤول

.1نقد الذات وإعادة توجيه الحواس) من "فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ"(:

· المفهوم: قدرة الإنسان على مراجعة كيفية استخدامه لحواسه. هل أنا ممن يسمعون ليتعظوا، أم ليتلهوا؟ أبصاري هل تقودني للإيمان أم للغفلة؟

· تحويله لطاقة بناء الإنسان: هذا المفهوم يصنع "الإنسان الرقابي على ذاته". هو إنسان دائم المراقبة لمدخلات عقله وقلبه. يختار ما يسمع (القرآن، العلم النافع) وما يرى (الطبيعة، قصص الصالحين) وما يفكر فيه (التدبر في الخلق). هذا الإنسان لا يعيش في غيبوبة استهلاكية، بل في يقظة روحية، مما يجعله قويًا نفسيًا، صافي الذهن، منتجًا فكريًا.

.2قلق المعرفة المسؤول) من "إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ"(:

· المفهوم: الخوف من الوقوع في الجحود بعد المعرفة. أن تصل إلى مرحلة ترى فيها الحق بعينيك ثم ترفضه بلسانك وقلبك، هذه هي أعظم كارثة نفسية.

· تحويله لطاقة بناء الإنسان: هذا القلق الإيجابي يصنع "الإنسان المتواضع معرفيًا". هو إنسان كلما ازداد علمًا، ازداد خوفًا من أن يعرف الحق ثم لا يتبعه. هذه الرقابة الذاتية تحميه من الكبر العلمي، وتجعله دائم السؤال والدعاء: "اللّهم أرني الحق حقًا وارزقني اتباعه". هذا التواضع يفتح له أبواب الفهم، ويجعله طالب علم حقيقيًا لا مدعيًا.

ثانياً: المفاهيم الفكرية: صناعة العقل السنني الناقد

.1نقد الحتمية المادية) من "مَكنّاهُمْ ...فَمَا أَغْنَى"(:

· المفهوم: القوة المادية والتكنولوجيا (التمكين) والأدوات الإدراكية (السمع والأبصار) لا تضمن البقاء ولا النجاة ولا سعادة ا لإنسان، إذا انفصلت عن المنظومة الأخلاقية والإيمانية.

· تحويله لطاقة بناء المجتمع: تعميم هذا المفهوم يبني "مجتمع التوازن الحضاري". مجتمع لا ينبهر بالتقدم المادي المجرد، ولا يفتن بالمدينة الفاضلة القائمة على العلم فقط. إنه يبني قوته المادية، ويطور علمه، لكنه يربط ذلك كله بالإيمان والأخلاق. هذا المجتمع لا يكرر خطأ عاد: بناء عمران شامخ على قلوب خاوية. إنه يبني الإنسان قبل البنيان.

.2فقه السبب والنتيجة في انهيار الأمم) من "وَحَاقَ بِهِم"(:

· المفهوم: إن الهلاك لم يأتِ عشوائيًا، بل هو نتيجة حتمية ل-"الجحود" و"الاستهزاء". هذا قانون تاريخي.

· تحويله لطاقة بناء المجتمع: هذا الفقه يصنع "مجتمع المناعة الذاتية". مجتمع يدرس تاريخه وتاريخ غيره، ليحدد أي الأ مراض (الجحود، الاستهزاء بالمقدسات، الفساد) تؤدي إلى الانهيار، فيعمل على استئصالها. هو مجتمع لا ينتظر العقوبة، بل يبادر بإصلاح نفسه، لأنه يفهم السنن.

ثالثاً: المفاهيم التربوية: صناعة الجيل المستثمر لحواسه

.1التربية على توظيف الحواس في طاعة الله) من "سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً"(:

· المفهوم: تربية الطفل منذ نعومة أظفاره على أن سمعه أمانة، وبصره أمانة، وعقله أمانة. تعليمه كيف يستثمرها في الخير ، وكيف يتجنب بها الشر.

· تحويله لطاقة بناء الحضارة: جيل يتربى على هذا، هو جيل الاستثمار الأمثل للموارد البشرية. شباب يعرفون قيمة ما وهبهم الله، فيوجهون طاقاتهم السمعية والبصرية والعقلية نحو البحث العلمي، والإبداع الأدبي والفني الهادف، وخدمة المجتمع. هذا الجيل لا يهدر طاقاته في اللّهو والاستهلاك، فيكون أكثر الأمم إنتاجًا وإبداعًا.

.2التربية على عاقبة الجحود) من "يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللهِ"(:

· المفهوم: تربية الناشئة على خطورة الجحود. الجحود ليس مجرد كفر، بل هو رؤية الحق ثم التكبر عليه. التحذير من أن يعرف الإنسان الخطأ ويصر عليه، أو يعرف الخير ويتركه.

· تحويله لطاقة بناء الحضارة: هذا يبني جيل الصدق مع الذات. جيل لا يعيش في ازدواجية: يعرف الحق ولا يعمل به.

جيل صريح مع نفسه، إن أخطأ اعترف، وإن عرف اتبع. هذه الصراحة الداخلية هي التي تبني مجتمعًا نزيها، بعيدًا عن النفاق الاجتماعي. وحضارة الصدق هي الحضارة الباقية.

رابعا: كيف تتكامل هذه المفاهيم لتوليد طاقة البناء الحضاري الشامل؟

انظر إلى هذا الصرح الحضاري الذي تقيمه هذه الآية:

.1بناء الإنسان) الفرد المسؤول عن أدواته(:

· الآية تنتج إنسانًا واعيًا بحواسه، مسؤولا ً عن توظيفها، خائفًا من الجحود، متواضعًا في علمه. هذا هو اللبنة الأولى الصالحة.

.2بناء المجتمع) مجتمع التوازن والمناعة(:

· هؤلاء الأفراد يشكلون مجتمعًا لا يغتر بالقوة المادية وحدها، بل يوازن بين الروح والمادة. مجتمع يفهم سنن الانهيار فيتجنبها، ويفهم سنن البقاء فيتمسك بها.

.3بناء الحضارة) حضارة الصدق والإتقان(:

· هذا المجتمع، بهذا الإنسان، يبني حتمًا "حضارة البقاء". إنها الحضارة التي تستحق أن تبقى، لأنها جمعت بين التمكين المادي، وهداية الوحي. إنها حضارة تستعمل سمعها في سماع كلام الله، وبصرها في رؤية خلقه، وأفئدتها في التدبر والتفكر، فلا تجحد، بل تؤمن وتشكر. هذه هي الحضارة التي تنجو من ريح العذاب، وتستقر في أمان الله.

الختام: رسالة إلى قلبك

أيها الإنسان، يا من تسمعني الآن، يا من وهبك الله سمعًا وبصرًا وفؤادًا، قف مع نفسك وقفة صادقة. أنت قد "مُكنت". نعم، لقد مكنك الله في هذه الحياة، أعطاك الصحة، والعقل، والمال، والوقت. وهبك أدوات المعرفة: سمعًا تسمع به القرآن، وبصرًا ترى به آياته في الآفاق وفي أنفسك، وفؤادًا تعقل به الحق. ولكن... هل ضمنت أن هذه النعم ستغني عنك من عذاب الله شيئًا؟ هل ضمنت أن سمعك وبصرك وفؤادك سيكونون حجة لك لا حجة عليك؟

قوم عاد مكنهم الله، فبطروا. جعل لهم سمعًا وأبصارًا وأفئدة، فجحدوا. فما أغنى عنهم كل ذلك حين حاق بهم العذاب. أتحسب أنت أن الأمر يختلف معك؟ لا والله، فالسنن لا تتبدل. كلما منحك الله نعمة، فهي اختبار. فإن شكرت واستعملتها في الحق، نجوت. وإن جحدت واستعملتها في الباطل، فالهلاك مصيرك، عاجلا ً أم آجلا ً.

لا تكن ممن يسمع فلا يتعظ، ويبصر فلا يعتبر، ويعقل فلا يفقه. لا تكن ممن يقرأ قصص القرآن وكأنها أحداث تاريخية بعيدة. بل اجعلها مرآة نفسك. اسأل نفسك الآن: أين أنا من الاستهزاء؟ أستهزئ بوعد الله ووعيده بقولي أو بفعلي؟ أين أنا من الجحود؟ أعرف الحق ثم أخالفه؟ إن كنت كذلك، فبادر بالتوبة قبل أن يحق عليك القول، وقبل أن تقول: "يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي".

استثمر سمعك الآن في سماع الحق، وبصرك في قراءة القرآن والاعتبار، وفؤادك في فهم مراد الله. هذا هو الطريق الوحيد الذي يجعل هذه النعم "تغني عنك" يوم لا ينفع مال ولا بنون. كن عبدًا شكورًا، تستعمل نعم الله في مرضاته، تكن من المفلحين.

المبحث الخامس

وبعد، أيها العقل الذي أبصر مشهد هلاك عاد، وتأمل كيف أهلكهم الله بعد أن مكنهم في الأرض، وأيها القلب الذي وعى الدرس: أن السمع والبصر والفؤاد مسؤوليات لا مجرد هبات، تعال معي لنقف على المشهد الأوسع .فبعد أن قص الله علينا قصة عاد، يفتح الآن نافذة التاريخ كلها .إنه يوجه بصرك إلى "ما حولك" .إلى القرى التي مررتم عليها في أسفاركم، إلى آثارهم الدارسة، وديارهم الخاوية .ألم تروا؟ ألم تعتبروا؟ إنها ليست مجرد قصة واحدة، بل هي سنة ماضية في أمم كثيرة . ثم يأتي السؤال القاصم: أين آلهتهم التي عبدوها؟ لماذا لم تنصرهم؟ لقد ضلوا عنهم! إنها فضيحة كبرى للشرك وأهله .استعد، وافتح عقلك وقلبك، ولنسمع معًا هاتين الآيتين اللتين تكشفان زيف الباطل عبر التاريخ والجغرافيا، في قول الحق جل وعلا: }وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (27) فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً ۖ بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ.{(28)

المقدمة: من قصة عاد إلى قصص كل القرى

تأمل معي هذا الانتقال القرآني البديع .لقد انتهى الحديث عن عاد بقوله:} وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ .{وهنا، يوسع الله الدائرة .لم تكن عاد وحدها .انظر حولك يا محمد، ويا من يقرأ القرآن .إلى الشام، إلى اليمن، إلى مدائن صالح، إلى قرى لوط . كل هذه القرى التي تعرفونها، والتي تمرون عليها في رحلاتكم، قد أهلكها الله .لقد "صرف" الله الآيات، أي نوعها وكررها بأساليب مختلفة، رحمة منه، لعلهم يرجعون عن كفرهم .ولكنهم لم يرجعوا .ثم يأتي التوبيخ الأكبر:} فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً .{أين ذهبت آلهتهم التي كانوا يتقربون بها؟ لماذا لم تنصرهم في ساعة الهلاك؟} بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ{، بل غابوا واختفوا .وما كان عبادتهم تلك إلا} إِفْكُ {وافتراء .وهذا هو مصير كل من يتعلق بغير الله.

بيان تفسير الآيتين والمعنى العام لهما أولا ً

ما هو المعنى الإجمالي الذي تريد هاتان الآيتان أن تزرعانه في وجدانك؟

يقول الله تعالى، مقررًا سنته في المكذبين، وموجهًا الخطاب لأهل مكة ومن حولهم:} وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَىٰ .{أي و الله لقد أهلكنا كثيرًا من القرى المجاورة لكم، يا أهل مكة، كمثل قرى عاد وثمود وقوم لوط ومدين .هذه القرى ترون آثارها بأعينكم، وتسمعون أخبارها} .وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ {أي نوعنا الحجج والبراهين، وكررناها بأساليب متنوعة، من آيات كونية، وآيات في الأنفس، وعبر في التاريخ، ومواعظ في الكتب السماوية .كل هذا كان} لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ{، أي ليرجع هؤلاء المشركون عن كفرهم وشركهم إلى توحيد الله وطاعته.

ثم يأتي السؤال التوبيخي، المقرون بالتعجيب:} فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ .{...أي فهلا نصرتهم تلك الآلهة التي عبدوها من دون الله؟ }الذِينَ اتخَذُوا مِن دُونِ اللهِ قُرْبَانًا آلِهَةً{، أي التي اتخذوها آلهة يتقربون بها إلى الله زلفى، فلماذا لم تنفعهم ولم تدفع عنهم العذاب؟} بَلْ ضَلُوا عَنْهُمْ{، أي بل غابت عنهم آلهتهم وقت الحاجة، وتخلت عنهم، وخسروها} .وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ{، أي وذلك العذاب والخذلان هو نتيجة كذبهم وافترائهم،} وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ {أي وما كانوا يختلقونه من الكذب على الله بأن هؤلاء آلهة.

أولا ً: تحليل الآيتين الكريمتين

الأمر الأول: تحليل الآية السابعة والعشرين:} وَلَقدْ أَهْلَكنَا مَا حَوْلَكم مِّنَ القُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الآيَاتِ لعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ{

المحور الأول: تأكيد الخبر} وَلَقدْ أَهْلَكنَا {ودلالته

س1: لماذا افتتحت الآية بالقسم المؤكد "ولقد"؟

"لقد") اللام و"قد" (تفيد التوكيد القوي .هذا ليس خبرًا يحتمل الشك .إنه حقيقة واقعة، ومشهد ماثل للعيان .والتوكيد هنا موجه للمشركين الذين يشكون في وقوع العذاب، ويستهزئون بالوعيد .فأكد الله الخبر بأقوى المؤكدات ليزعزع يقينهم الباطل .وفيه إشارة إلى أن هذا الهلاك قد جرى به القضاء ونفذ، فلا راد لقضاء الله.

س2: ما دلالة إسناد الإهلاك إلى الله "أهلكنا"؟

في هذا الإسناد تعظيم لشأن الإهلاك، وتذكير بأنه ليس حوادث طبيعية عمياء، بل هو فعل الله القهار .إنه سبحانه هو الذي أهلك، لا الدهر ولا الطبيعة .وهذا يبعث الرهبة في القلب، ويدفع إلى الفرار إلى الله لا منه.

المحور الثاني: مفهوم "ما حولكم من القرى"

س1: لماذا خص الله القرى التي حول مكة بالذكر؟

الخطاب هنا لأهل مكة وللعرب جميعًا ."ما حولكم" أي ما يجاوركم من مدن وحواضر .وهذا فيه تذكير بأن آثار الهالكين قريبة منهم، يرونها في أسفارهم إلى اليمن والشام .فليست قصصًا غابرة في أقاصي الأرض، بل هي حاضرة في ذاكرتهم ومشاهداتهم .هذا القرب الجغرافي يجعل العبرة أبلغ، والحجة ألزم .فهو يقول لهم: انظروا، لستم بحاجة للسفر إلى أقاصي الأ

أرض، فالموعظة أمامكم.

س2: ما هي هذه القرى المقصودة؟

هي قرى عاد) بالأحقاف(، وثمود) بالحجر(، وقوم لوط) سدوم(، ومدين) قوم شعيب(، وقرى أخرى كثيرة حول الجزيرة العربية .كل هذه الأمم كانت قريبة من مكة، وكانت العرب تمر بديارهم وتسمع أخبارهم .فلماذا لم يعتبروا؟!

المحور الثالث: معنى "صَرّفنَا الآيَاتِ"

س1: ما هو المعنى الدقيق لـ "صرفنا"؟

"صرفنا" من التصريف، وهو التنويع والتكرار بأساليب مختلفة .والآيات هي الدلائل والبراهين .فالله تعالى لم يرسل آية واحدة، بل نوع الآيات: آيات كونية) في السموات والأرض(، وآيات تاريخية) قصص الأولين(، وآيات شرعية) في الكتب المنزلة .(كررها بأساليب شتى: ترغيبًا وترهيبًا، قصصًا وأمثالا ً، أوامر ونواهي .هذا التصريف من رحمته، لعل العقول المختلفة والأمزجة المتباينة تجد في أحد هذه الأساليب ما يلامس قلبها فتستجيب.

س2: ما دلالة أن هذا التصريف كان "لعلهم يرجعون"؟

"لعل" للتعليل، وهي تفيد أن الغاية من تصريف الآيات هي أن يرجعوا عن كفرهم وشركهم إلى توحيد الله .وفيه إشارة إلى أن الله لم يخلقهم للعذاب، بل خلقهم للرحمة، وأنه يريد لهم الهداية .ولكنهم هم الذين أبوها .فرحمة الله سعتهم، ولكن كفرهم حال بينهم وبينها.

الأمر الثاني: تحليل الآية الثامنة والعشرين:} فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً ۖ بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ{

المحور الأول: السؤال التوبيخي} فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ{

س1: ما هو المعنى الدقيق لـ "لولا" هنا؟

"لولا" هنا تفيد التحضيض والتوبيخ والتقريع .وهي بمعنى "هلا" .فكأنه يقول لهم: هلا نصرتهم آلهتهم التي عبدوها؟ ألم يكونوا يزعمون أنها تنفع وتضر؟ فأين كان نفعها عند نزول العذاب؟ هذا التوبيخ يفضح عجز الآلهة المزعومة، ويكشف زيف المعتقدات الباطلة .إنه أسلوب قرآني عجيب في إقامة الحجة على المشركين، حيث يلزمهم الحجة من خلال واقعهم الذي لا يقدرون على إنكاره.

س2: لماذا نسب الفعل إلى "الذين" العقلاء مع أن الأصنام جمادات؟

هذا من باب التهكم والمشاكلة .فعندما كانوا يعبدونها، كانوا ينزلونها منزلة العقلاء، ويظنون فيها القدرة .فجاء الرد عليهم بزعمهم: هلا نصرتهم تلك التي ظننتم بها العقل والقدرة؟ وهذا يزيد في توبيخهم إذ لم تنفعهم حتى على مقتضى زعمهم .إنها مفارقة تهدم أسس الشرك من جذوره.

المحور الثاني: وصف المعبودات} الذِينَ اتخَذُوا مِن دُونِ اللهِ قرْبَانًا آلِهَةً{

س1: ما معنى "قربانًا" في هذا السياق؟

"قربانًا" مفعول لأجله، أو حال، والمعنى: أنهم اتخذوها آلهة ليقربوهم إلى الله زلفى .كما قال تعالى عنهم:} مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَىٰ .{فلم يكونوا ينكرون الله، بل كانوا يعبدون هذه الآلهة كوسطاء وشفعاء .وهذا النوع من الشرك هو الذي كان سائدًا في مكة .فجاءت الآية لتكشف سخافة هذا الزعم، وتثبت أن هؤلاء الوسطاء أنفسهم لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا.

المحور الثالث: الخيبة والخذلان} بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ{

س1: ما معنى "ضلوا عنهم"؟

"ضلوا" أي غابوا واختفوا ولم يحضروا .فهي كقوله تعالى:} وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ .{وفي لحظة الشدة، تخلت عنهم آلهتهم، وتركتهم لمصيرهم المحتوم .وهذا هو حال كل من اعتمد على غير الله .فغير الله يضل ويتلاشى عند الحاجة، ولا يبقى إلا الله الواحد القهار .إنها تصوير للخذلان النفسي قبل الجسدي.

المحور الرابع: بيان سبب الخذلان} وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كانُوا يَفْتَرُونَ{

س1: ما معنى "إفكهم"؟

"الإفك" هو الكذب القبيح، أشد الكذب وأفحشه .وإضافة الإفك إلى ضميرهم "إفكهم" تدل على أنهم هم الذين اخترعوه وافتروه .فما كانوا فيه من الشرك هو كذب محض، اختلقوه بأنفسهم، لا حقيقة له ولا أصل .فعبادتهم للأصنام، وزعمهم أنها تشفع، كله إفك وافتراء على الله.

س2: كيف تجمع الآية بين "إفكهم" و"ما كانوا يفترون"؟

"إفكهم" هو الوصف الملازم لعقيدتهم .و"ما كانوا يفترون" هو تفصيل لأعمالهم الافترائية المستمرة .كأنه قيل: وذلك العذاب و الخذلان هو ثمرة إفكهم، ونتيجة افترائهم المستمر على الله .إنها ربط محكم بين الجريمة والعقوبة.

ثانياً: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل والمفاهيم من الآيتين

المحور الأول: كيف نقرأ الآيتين القراءة الواعية ونحولها إلى واقع حياة؟

أولا ً: التدبر في "مَا حَوْلَكم مِّنَ القْرَى".

· سياحة الاعتبار: عندما تسافر في الأرض، لا تكن مجرد سائح يطلب المتعة .بل اعتبر بآثار الهالكين .تأمل في مصارع الظالمين .واسأل نفسك: لماذا هلكوا؟ وكيف أنجو مما هلكوا به؟

ثانياً: التدبر في "صَرَّفْنَا الآيَاتِ".

· تنويع مصادر الهداية: لا تجعل تلقيك للهداية من طريق واحد .اقرأ القرآن، وتأمل الكون، وادرس التاريخ، واسمع المواعظ . نوع مصادر إيمانك، فالله صرف الآيات لتصل إليك من كل باب.

ثالثاً: التدبر العملي في "ضَلُّوا عَنْهُمْ".

· تحرير القلب من التعلق بغير الله: كل ما تتعلق به من دون الله، من مال أو جاه أو شخص، سيضل عنك يوم القيامة .حرر قلبك الآن، وتعلق بالحي الذي لا يموت.

المحور الثاني: المفاهيم وكيفية تحويلها إلى واقع حياة

.1مفهوم الاعتبار بالتاريخ والجغرافيا.

· المفهوم: التاريخ ليس للتسلية، والجغرافيا ليست للسياحة فقط .بل كلاهما كتاب مفتوح لسنن الله.

· في حياتنا العملية: ادرس التاريخ بعين القرآن، واعتبر بمن حولك من الدول والمجتمعات التي انحرفت فهلكت.

.2مفهوم فشل كل معبود من دون الله.

· المفهوم: لا ملجأ من الله إلا إليه .كل وسيط وكل شفيع يعبد من دونه سيتخلى عن عابده.

· في حياتنا العملية: أخلص عبوديتك لله .لا تجعل في قلبك تعلقًا بأحد تظنه ينفعك أو يضرك من دون الله .تذكر قوله: "ضلوا عنهم".

.3مفهوم الافتراء على الله.

· المفهوم: الشرك والقول على الله بغير علم هو إفك عظيم.

· في حياتنا العملية: احذر أن تقول في دين الله ما ليس لك به علم .التزم بما ورد في الكتاب والسنة، ولا تبتدع في الدين ما ليس منه.

المحور الثالث: الدروس العملية لتأسيس الشخصية الإيمانية

.1درس التوحيد الخالص: لا ينفعك إلا إله واحد أحد.

.2درس الصدق في العبودية: لا تعبد الله بالواسطة، بل أخلص له الدين.

.3درس اليقين بعدالة الله: إن الله يمهل ولا يهمل، وسينتقم للمظلومين من الظالمين.

.4درس الزهد في الدنيا: آثار القرى الهالكة تذكرك بفناء الدنيا، فزهد فيها.

المحور الرابع: ما الذي يريده الله منا في هذه الآيتين؟

.1يريدنا أن نسير في الأرض ونتأمل في آثار الأمم البائدة، لنعتبر.

.2يريدنا أن نوقن بأن كل معبود من دونه لا يغني شيئًا عن عابديه.

.3يريدنا أن نرجع إليه، فهو الذي صرف الآيات لعلنا نرجع.

.4يريدنا أن نحذر الافتراء عليه، وأعظمه الشرك.

المحور الخامس: ما الذي تدعونا إليه الآيتان في حياتنا العملية؟

.1دعوة للاعتبار بالتاريخ: اجعل قراءة التاريخ فرضًا عليك، لتستخلص منه سنن الهداية والضلال.

.2دعوة لمراجعة معتقداتك: هل في قلبك شيء من الشرك الخفي؟ من تعلق أو خوف أو رجاء لغير الله؟

.3دعوة للإنابة إلى الله: "لعلهم يرجعون" هي دعوة مفتوحة لك كل يوم.

.4دعوة للدعوة: حذر الناس من حولك من المصير الذي لقيه المشركون.

المحور السادس: ما الذي نتعلمه من الآيتين في ضوء سياقها التاريخي؟

نزلت الآيتان في مكة، وقريش تحيط بها آثار القرى الهالكة، في اليمن والشام والحجر .وكانوا يعبدون الأصنام ويزعمونها شفعاء.

.1إقامة الحجة على قريش: أنتم ترون آثار الهلاك بأعينكم، وتسمعون الأخبار .أفلا تعتبرون؟

.2هدم عقيدة الشفاعة الباطلة: كانت قريش تقول: "هؤلاء شفعاؤنا عند الله" .فجاءت الآية لتبين أن هذه الآلهة لم تشفع لأ هلها السابقين، فكيف تشفع لكم؟ بل ضلت عنهم.

.3تثبيت المؤمنين: في تلك البيئة الشركية، كان المؤمنون يشعرون بالغربة .فجاءتهم هذه الآيات لتثبت أن ما هم عليه هو الحق، وأن الباطل إلى زوال.

المحور السابع: أهم المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية وتحويلها إلى طاقة بناء الإنسان والمجتمع والحضارة الإسلامية

الآن، نصل إلى استخراج الشيفرات الحضارية من هاتين الآيتين، التي تنتقل من درس عاد إلى دستور شامل لصناعة الإنسان والمجتمع والحضارة .لنستخرج هذه الطاقة على المستويات الثلاثة معًا، دون إغفال أي مستوى:

أولا ً: المفاهيم النفسية: صناعة الإنسان الحر المتيقن

.1التحرر من الوهم) من "بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ"(:

· المفهوم: إدراك أن كل ما يُعتمد عليه من دون الله هو وهم زائل، يمنح الإنسان تحررًا نفسيًا هائلا ً .لا خوف من فوات شيء، ولا رجاء في غير القادر.

· تحويله لطاقة بناء الإنسان: هذا الإدراك يصنع "الإنسان الحر" .هو حر من الخوف، حر من التعلق، حر من العبودية للبشر و الأشياء .طاقته التي كانت مبعثرة في إرضاء المعبودات الوهمية) رؤساء، أصنام، أموال (تتجمع الآن وتتوجه بكليتها إلى الله، وإلى العمل الصالح .هذا الإنسان هو النواة الصلبة لأي مجتمع قوي.

.2دافع الرجوع المستمر) من "لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ"(:

· المفهوم: الحياة رحلة رجوع إلى الله .وتصريف الآيات هو علامات الطريق .هذا الفهم يجعل الإنسان دائم التوبة والإنابة، لا يقنط من رحمة الله.

· تحويله لطاقة بناء الإنسان: هذا يصنع "الإنسان التوّاب" .إنسان لا يصر على خطأ، بل كلما تعثر نهض، وكلما أذنب تاب . نفسه متجددة، وهمته عالية، لأنه يوقن أن الله ينتظر رجوعه .هذا الإنسان لا يعاني من الإحباط المزمن، بل هو في حالة ترقّ دائم.

ثانياً: المفاهيم الفكرية: صناعة العقل الناقد المستنير

.1العقلية التاريخية الناقدة) من "أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم"(:

· المفهوم: التاريخ ليس سردًا للأحداث، بل هو مختبر للسنن الإلهية .والنظر في آثار الهالكين ليس للسياحة، بل للاعتبار واستخلاص القوانين التي تحكم صعود الأمم وسقوطها.

· تحويله لطاقة بناء المجتمع: هذا المفهوم يبني "مجتمع العبرة" .مجتمع يقرأ التاريخ بعين فاحصة، فيعرف أسباب هلاك الأ

أمم) كالجحود والظلم والترف والفسق (فيتجنبها، ويعرف أسباب تمكينها) كالإيمان والعدل والشكر (فيتمسك بها .هذا المجتمع لا يعيد أخطاء الماضي، بل يبني مستقبله على دروسه.

.2تفنيد منطق الشفاعة الوهمية) من "اتخَذُوا مِن دُونِ اللهِ قرْبَانًا"(:

· المفهوم: كشف زيف فكرة "الوساطة" بين العبد وربه بدون إذن الله .العبادة لله مباشرة، بلا وسطاء من الأموات أو الأ ولياء .هذه هي عقيدة التوحيد الصافية.

· تحويله لطاقة بناء المجتمع: هذا المفهوم يبني "مجتمع التوحيد" .مجتمع يتحرر من سلطة الكهنة والمشعوذين ومدّعي الولاية .العلاقة فيه بين العبد وربه مباشرة، مما يحرر العقول من الخرافة، ويوجه الطاقات للعلم والعمل، لا لإرضاء الوسطاء . هذا المجتمع قوي بعقيدته، متحرر من الاستغلال الديني.

ثالثاً: المفاهيم التربوية: صناعة الجيل القوي باليقين

.1التربية على طلب الحق من مصادره) من "صَرّفْنَا الآيَاتِ"(:

· المفهوم: تعليم الناشئة أن الحق ليس محصورًا في كتاب واحد أو أسلوب واحد .القرآن يعلمهم أن ينظروا في القرآن، وفي الكون، وفي التاريخ، وفي أنفسهم، ليجدوا آيات الله في كل مكان.

· تحويله لطاقة بناء الحضارة: جيل يتربى على تعدد مصادر المعرفة) الوحي والكون والتاريخ(، هو جيل البحث العلمي وا لإبداع .إنه لا يكتفي بالتلقين، بل يبحث عن آيات الله في الآفاق والأنفس .هذا الجيل هو الذي يبني حضارة العلم والإيمان معًا.

.2التربية على عاقبة الافتراء) من "إفْكُهُمْ وَمَا كانُوا يَفْتَرُونَ"(:

· المفهوم: غرس كراهية الكذب والافتراء، وخاصة على الله والدين .وربط ذلك بالخذلان والعذاب.

· تحويله لطاقة بناء الحضارة: هذا يبني جيل الصدق والنزاهة .جيل يكره الزيف، ويقدس الحقيقة .في العلم، لا يكذب .في الإعلام، لا يزيف .في القضاء، لا يجور .هذا الجيل هو الذي يبني حضارة الثقة والمصداقية، التي هي أساس كل تقدم.

رابعاً: كيف تتكامل هذه المفاهيم لتوليد طاقة البناء الحضاري الشامل؟

انظر إلى هذا الصرح الحضاري الذي تقيمه هاتان الآيتان:

.1بناء الإنسان) الفرد الحر التوّاب(:

· الآيتان تنتجان إنسانًا محررًا من كل عبودية لغير الله) ضلوا عنهم(، توابًا دائم الرجوع إلى ربه) لعلهم يرجعون(، متفحصًا للآيات بعقله وقلبه .هذا هو المواطن الصالح، القوي بإيمانه، الحي بضميره.

.2بناء المجتمع) مجتمع العبرة والتوحيد(:

· هؤلاء الأفراد حين يجتمعون، ينتجون مجتمعًا يقرأ التاريخ ليتعلم) ما حولكم من القرى(، ويحطم أوهام الوساطة و الشفاعة الباطلة) قربانًا آلهة(، ويعلي من شأن العقل والعلم) صرفنا الآيات .(هذا مجتمع واعٍ، متعلم، متحرر.

.3بناء الحضارة) حضارة الصدق واليقين(:

· هذا المجتمع، بهذا الإنسان، يبني حتمًا "حضارة التوحيد والصدق" .إنها حضارة لا تقوم على الأوهام والخرافات، بل على الحقائق واليقينيات .حضارة تتعامل مع السنن الإلهية بوعي، فتستحق البقاء والتمكين .حضارة ترى أن الله واحد أحد، صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، فتتجه إليه وحده، فيفيض عليها من بركات السماء والأرض .هذه هي الحضارة التي ننشدها.

الختام: رسالة إلى قلبك

أيها السائر في دروب الحياة، يا من ترى من حولك آثار الهالكين، وتمر على ديارهم، اسمع النداء جيدًا .إن الله لم يهلك تلك القرى عبثًا، ولم يقصص عليك أخبارها للتسلية .إنما أهلكهم ليوقظك، وقص أخبارهم ليعتبر بها من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

انظر حولك .كم من حضارات قامت وشامخت، ثم هوت وتلاشت .كم من جبابرة قهروا العباد، فأهلكهم رب العباد .أين آلهتهم التي عبدوها؟ أين أربابهم التي طاعتهم؟ لقد ضلوا عنهم .فيا من تتعلق بغير الله، توقن أن كل من سواه سيتخلى عنك في أشد لحظات حاجتك إليه .لن ينفعك يوم القيامة إلا عمل صالح قدمته، وقلب سليم جئت به.

لا تجعل حياتك إفكًا وافتراءً .لا تبنِ مجدك على وهم .ابنِ على صخرة التوحيد، واملأ سمعك وبصرك وفؤادك بآيات الله التي صرفها لك .ارجع إليه، قبل أن يأتي يوم لا ينفع فيه الندم .تأمل في من حولك، فيمن سبقوك، وخذ العبرة، تكن من الفائزين.

بسم الله الرحمن الرحيم
المقطع الرابع
المبحث الأول
بعد أن طافت بنا الايات فى أرجاء التاريخ ومصارع الامم السابقه تأخذنا الايات فى رحله لنشهد مشهداً مختلفاً تماماً .مشهداً يفيض بالأمل، وينبض بالحياة، ويثبت أن الهداية ليست حكراً على أحد، وأن كلمة الله تسري في العوالم كما تسري الروح في الجسد .بعد أن قص الله علينا قصة عاد، وكيف جحدوا بآياته، وكيف أهلكهم، ثم وسع الدائرة لتشمل القرى المحيطة بمكة التي هلكت بكفرها، يفاجئنا القرآن بحديث عن "نفر من الجن" .إنها نقلة من الظلام إلى النور، ومن الجحود إلى الإيمان، ومن قصة الإنس المعرضين إلى قصة الجن المقبلين .إنه تأنيب ضمني لقريش: ها هم الجن، الذين هم أبعد عنكم في الخلقة والطبيعة، قد آمنوا بالقرآن لما سمعوه، فصاروا منذرين لأقوامهم .فكيف بكم أنتم، معشر الإنس، وأنتم أهل اللسان الذي نزل به؟ استعد، وافتح عقلك وقلبك، ولنسافر إلى وادي نخلة، حيث كان النبي ﷺ يصلي الفجر، وحيث تسلل نفر من الجن ليسمعوا القرآن، فانقلبت حياتهم رأساً على عقب .قال الله الحق:} وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا ۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ (29) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ.{(30)

المقدمة: من عناد الإنس إلى إيمان الجن

تأمل معي هذا التحول العجيب في سياق سورة الأحقاف .كنا في جو من التهديد والوعيد، جو من سرد قصص الهالكين من الإنس: عاد، ثمود، قرى لوط، وغيرهم .جو يصور كيف أن الإنسان، مع كل ما أوتي من سمع وبصر وفؤاد، قد يجحد ويعاند حتى يحق عليه العذاب .وفجأة، ينقلنا الله إلى مشهد من وادي نخلة .هناك، في ظلام الليل، كان النبي محمد ﷺ يصلي بأصحابه صلاة الفجر، ويتلو القرآن . فسمعه نفر من جن نصيبين) أو من جن الجزيرة .(فماذا فعلوا؟ لم يقولوا: هذا سحر، هذا شعر، هذه أساطير الأولين .بل} قَالُوا أَنصِتُوا .{آدبوا أنفسهم، وألقوا أسماعهم، فلما سمعوا القرآن آمنوا به فوراً، ثم عادوا إلى قومهم منذرين .يا للفارق! الإنس في مكة، قوم النبي ﷺ وعشيرته الأقربون، كذبوا وسخروا .والجن، وهم من عالم آخر، آمنوا وانطلقوا دعاة .إن هذا المشهد هو تثبيت للنبي ﷺ، وتسلية له، وتقريع لقريش .وهو أيضاً درس خالد لكل داعية ومدعو: الهداية ليست بالقرابة ولا بالعرق، بل هي بفتح القلب واستقبال الوحي بالإنصات والإذعان.

بيان تفسير الآيتين والمعنى العام لهما أولا ً

ما هو المعنى الإجمالي الذي تريد هاتان الآيتان أن تزرعانه في روحك؟
يخاطب الله تعالى نبيه محمداً ﷺ بقوله:} وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ .{أي واذكر يا محمد تلك الحادثة العظيمة، حين وجهنا إليك ويسرنا لك جماعة من الجن، عددهم بين الثلاثة والعشرة .هؤلاء كانوا} يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ{، أي يصغون إليه بكل جوارحهم} .فَلَمَّا حَضَرُوهُ {أي حضروا مجلس قراءتك، }قَالُوا أَنصِتُوا {أي قال بعضهم لبعض: اسكتوا واصغوا بأسماعكم ولا تتكلموا، لكي تفقهوا ما يتلى} .فَلَمَّا قُضِيَ {أي فلما فرغ النبي ﷺ من صلاته وتلاوته،} وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ {أي رجعوا مسرعين إلى قومهم من الجن، محذرين إياهم من عذاب الله إن لم يؤمنوا، وداعين لهم إلى الإيمان.
ثم يسجل القرآن شهادتهم وما قالوه لقومهم:} قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ .{لا حظ أنهم وصفوه بأنه "كتاب" لا شعر ولا سحر ولا كهانة .وأنه "أنزل" من عند الله .وخصوا موسى بالذكر لأنه كان هو الرسول الذي تدين له اليهود، وكان الجن على علم به .ثم وصفوا هذا الكتاب بأنه }مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ {أي مصدقاً للكتب السماوية السابقة من التوراة والإنجيل .ثم بينوا وظيفته: }يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ {المطلق في العقائد والأخلاق،} وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ {وهو شريعة الإسلام الواضحة التي لا اعوجاج فيها .إنها خلاصة الدعوة، ساقها نفر من الجن بأبلغ بيان.

أولا ً: تحليل الآيتين الكريمتين

الأمر الأول: تحليل الآية التاسعة والعشرين:} وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا ۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ{

المحور الأول: تحليل الإشارة الزمنية} وَإِذْ صَرَفْنَا{

س1: ما دلالة استخدام "إذ" في بداية الآية؟

"إذ" ظرف لما مضى من الزمان .والأمر هنا "واذكر" مقدر .فكأن الله يقول لنبيه: تذكر تلك الحادثة العظيمة .وهذا الاستحضار فيه تسلية للنبي ﷺ وتثبيت له .ففي الوقت الذي كان يلقى فيه العناد من قومه، يذكره الله بأن هناك من أقبل على الحق واستمع له، وهم الجن .وهذا يعلمنا أن الداعية لا ينبغي أن يضيق صدره بإعراض قومه، فالله قد يفتح أبواباً أخرى للخير من حيث لا يحتسب.

س2: ما معنى "صرفنا" وما دلالة نسبته إلى الله؟

"صرفنا" أي وجهنا وأملنا ويسرنا .فهؤلاء الجن لم يأتوا صدفة، بل بتوجيه إلهي .الله هو الذي صرفهم إلى نبيه ليستمعوا القرآن .وهذا يريك أن قلوب العباد بيد الله، يصرفها كيف يشاء .فاطلب منه أن يصرف إليك وإلى الناس الخير، فهو المصرف وحده.

المحور الثاني: تحليل المستمعين} نفرًا مِّنَ الجنِّ{

س1: لماذا قال "نفرًا" دون "جماعة" أو "فريق"؟

"النفر" هم الجماعة من الرجال، ما بين ثلاثة إلى عشرة .هذه الكلمة توحي بأنهم كانوا قلة، وهذا يبين أن العبرة ليست بالكثرة، بل بصدق التوجه .فهم نفر قليل، ولكنهم آمنوا وحملوا هم الدعوة .فلا تستقل قلة السالكين درب الحق .وفيه إشارة إلى أنهم كانوا "رجالا ً" من الجن، لهم مهابة وهمة.

س2: ما دلالة ذكر "من الجن" في هذا السياق؟

فيه التصريح بأنهم من عالم غير عالمنا، عالم الجن .هذا يؤكد حقيقة وجود الجن، ويكذب من ينكرهم .وفيه تعريض بقريش: الجن على بعدهم عنكم، لم يكونوا يعرفون محمداً ولا اصطفوه، لكن لما سمعوا القرآن آمنوا به .وأنتم، مع طول صحبتكم له ومعرفتكم بصدقه وأمانته، تكذبون! ألا إنها للحجة البالغة.

المحور الثالث: أدب الاستماع} فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا{

س1: ما هو سر هذا الأدب العجيب من الجن؟

"أنصتوا" أي اسكتوا مستمعين .إنه أول فعل قاموا به .لقد أمروا بعضهم البعض بالإنصات قبل أن يسمعوا القرآن .هذا أدب رفيع، وهو شرط الفهم والانتفاع .وقد كان العرب يتعمدون اللغط عند سماع القرآن ليصرفوا الناس عنه، كما قال تعالى:} وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ .{فشتان بين الفريقين! هؤلاء الجن أدبوا أنفسهم بأنفسهم، فانتفعوا.

س2: كيف يكون هذا درساً عملياً لنا في التعامل مع كلام الله ومع العلم النافع؟

أنت أيها المؤمن، مأمور بأن تنصت للقرآن، كما قال تعالى:} وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ .{وكذلك في مجلس العلم، وفي كل خير .الإنصات ليس مجرد سكوت، بل هو إصغاء بـ القلب والعقل .فالجن بهذا الإنصات تمكنوا من فهم القرآن والانتفاع به .تعلم من الجن أدب الاستماع! توقف عن الحديث الجانبي، وعن شرود الذهن، وتفاعل قلبك مع ما تسمع.

المحور الرابع: سرعة الاستجابة والعمل} فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ{

س1: ما دلالة "فَلَمَّا قُضِيَ"؟

"قضي" أي فرغ النبي ﷺ من التلاوة .والمثير أنهم لم ينتظروا ليسألوا عن تفاصيل، أو ليروا معجزات أخرى .لقد سمعوا القرآن فآمنوا به، وكفى بالقرآن معجزاً لهم .فور انتهاء التلاوة، تحولوا من مستمعين إلى داعين.

س2: لماذا "ولوا" إلى قومهم مسرعين؟

"ولوا" أي انصرفوا ورجعوا .وفيه إشارة إلى عجلة أمرهم .لقد حملتهم شعلة الإيمان أن يسرعوا إلى قومهم لإنقاذهم .فالإيمان الحق متحرك لا ساكن، ودود لا منعزل .وحالهم هذا يعلمنا أن فور حصولك على الهداية، أو تعلمك لشيء من الحق، عليك أن تبلغه لغيرك، لا أن تحتكره لنفسك.

س3: ما الفرق بين "النذير" و"المبشر" في هذا السياق؟

لم يذكروا التبشير هنا، بل خصوا الإنذار بالذكر:} مُنذِرِينَ .{لماذا؟ لأنهم ذهبوا إلى قوم كافرين، فكانت الأولوية لتخويفهم من عذاب الله .ولهذا قالوا بعدها:} يَهْدِي إِلَى الحَقِّ{، ولم يقولوا: يبشر بالجنة ونحوها .فالموقف يقتضي الإنذار أولا ً .وهذا فقه دعوي: خاطب الناس بما يناسب حالهم .للمقبلين التبشير، وللمعرضين الإنذار.

الأمر الثاني: تحليل الآية الثلاثين:} قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ{

المحور الأول: تحليل النداء} يَا قَوْمَنَا{

س1: ما دلالة هذا النداء الحاني؟

إنهم يخاطبونهم بـ "يا قومنا" .هذه هي عاطفة الأخوة والشفقة التي رأيناها في هود عليه السلام . هم لم يتعالوا عليهم بالإيمان، ولم يحتقروهم .بل قالوا: يا قومنا .هذه الألفة هي التي تفتح القلوب . ففي دعوتك للناس، اشعرهم أنك منهم، وأنك تحب لهم الخير.

المحور الثاني: الإخبار عن القرآن} إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ{

س1: لماذا وصفوا القرآن بأنه "كتاب"؟

هم لم يقولوا: سمعنا كلاماً، أو شعراً، أو قرآنًا .بل قالوا: "كتاباً" .لأنهم فهموا أن هذا الكلام مكتوب محفوظ، وهو ذو شأن عظيم، وقد صار لهم عقيدة ومنهج حياة .فهو ليس مجرد تلاوة تسمع وتنسى.

س2: ما سر تخصيص موسى بالذكر} أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ{؟

لم يذكروا عيسى عليه السلام، مع أنه بعد موسى وقبل محمد .السر والله أعلم أن الجن) أو بعضهم (كانوا على دين موسى) يهوداً(، أو أن التوراة كانت أشهر الكتب عندهم .فذكروا موسى ليقولوا لقومهم: إن هذا الكتاب مصدق لما جاء به موسى، ومكمل له .وفيه إشارة إلى أن الفترة التي تلت موسى كانت طويلة، ثم جاء هذا الكتاب .وهذا يبين أهمية القرآن وعظمته.

المحور الثالث: وصف القرآن بأنه} مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ{

س1: ما معنى "مصدقاً لما بين يديه"؟

أي يصدق الكتب السماوية التي سبقته) كالتوراة والإنجيل (في أصول العقيدة والتوحيد والنبوات والأ خلاق، ويشهد لها بأنها من عند الله .وفي هذا ربط بين الرسالات السماوية، وقطع للخصام بينها .ف القرآن ليس كتاباً منقطعاً عن الركب، بل هو الحلقة الأخيرة المصححة .فهم بهذا يدعون قومهم إلى ا لإيمان بكل الكتب، لا إلى نبذ القديم كله.

المحور الرابع: غاية القرآن} يَهْدِي إِلَى الحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ{

س1: ما الفرق بين "الحق" و"الطريق المستقيم"؟

· الحق: هو ضد الباطل .وهو الغاية والهدف .فالقرآن يهدي إلى العقيدة الحق، إلى اليقين الحق، إلى معرفة الله الحق.
· الطريق المستقيم: هو الصراط، المنهج، الشريعة التي توصل إلى ذلك الحق .فالقرآن لا يدلك على الحق فقط، بل يرسم لك الطريق الموصل إليه .وهذا فيه وضوح وبيان عظيم: غاية) الحق (ووسيلة)الطريق المستقيم.(

ثانياً: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل والمفاهيم من الآيتين

المحور الأول: كيف نقرأ الآيتين القراءة الواعية ونحولها إلى واقع حياة؟

أولاً: التدبر النفسي في "صَرَفْنَا إِلَيْكَ".

· افتقاد التوفيق الإلهي: أنت لا تستمع للحق ولا تنتفع به إلا بتصريف الله لك .فادعُ الله أن يصرف إليك الخير، ويصرف قلبك للإنصات لكتابه .لا تعتمد على جهدك الخاص.

ثانياً: التدبر العملي في "أَنصِتُوا".

· رياضة الإنصات: في كل مجلس قرآن أو علم، طبق درس "أنصتوا" .جاهد نفسك على السكوت وترك الشرود واللغو .ستجد فرقاً عظيماً في تدبرك وفهمك.

ثالثاً: التدبر الدعوي في "وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ".

· واجب البلاغ الفوري: بمجرد أن تتعلم فائدة، أو تفهم آية، اذهب فوراً وبلغها لغيرك .لا تكن كمن يكنز العلم ولا ينفقه .كن مثل الجن: آمنوا ودعوا.

المحور الثاني: المفاهيم وكيفية تحويلها إلى واقع حياة

.1مفهوم الهداية فضل من الله.

· المفهوم: الله هو الذي صرف الجن .الهداية ليست بالذكاء ولا بالجهد البشري وحده، بل هي فضل وتوفيق من الله قبل كل شيء.
· في حياتنا العملية: لا تتعالى على أحد من الضالين، ولا تيأس من هداية أحد .فالقلوب بيد من "صرف" الجن .أكثر من الدعاء: "يا مصرف القلوب، صرف قلبي إلى طاعتك، وقلب فلان إلى الخير".

.2مفهوم أدب الاستماع.

· المفهوم: الإنصات هو الطريق الوحيد للانتفاع بالوحي .بدونه، تمر الآيات على القلوب ولا تترك أثراً.
· في حياتنا العملية: في صلاتك، في حلقات الذكر، في دروس العلم، عش لحظة "أنصتوا" .امنع كل المشتتات، وأصغ بقلبك.

.3مفهوم المسؤولية بعد الهداية.

· المفهوم: الإيمان أمانة، وليس امتيازاً للاسترخاء .الجن ما إن آمنوا حتى تحولوا إلى "منذرين" يحملون هم إنقاذ أقوامهم.
· في حياتنا العملية: أنت مؤمن؟ عظيم .لكن هذه نعمة ستُسأل عنها .ماذا قدمت لدينك؟ بمن تنذر من أهلك وأصدقائك وزملائك؟

المحور الثالث: الدروس العملية لتأسيس الشخصية الإيمانية

.1درس الأولويات: الإنصات قبل الكلام، والفهم قبل الحكم، والعمل بعد العلم.
.2درس موضوعية الحق: القرآن دين الحق، يشهد لمن سبق من الأنبياء والكتب، فهو دين الإنصاف.
.3درس الفورية في الخير: لا تؤجل العمل الصالح، سارع به كما سارع الجن.
.4درس الجماعية: هم ذهبوا إلى "قومهم" .الإيمان الصادق يدفعك للاهتمام بجماعتك ومجتمعك، لا الا نعزال عنهم.

المحور الرابع: ما الذي يريده الله منا في هذه الآيتين؟

.1يريدنا أن نوقن بعظمة القرآن، وأنه كتاب يهدي للتي هي أقوم.
.2يريدنا أن نتعلم أدب الاستماع والإنصات، فهو مفتاح الانتفاع بالوحي.
.3يريدنا أن نتحول بعد الهداية إلى دعاة منذرين، لا متفرجين.
.4يريدنا أن نتيقن بأن الله قادر على هداية من يشاء، حتى من عالم الجن البعيد.

المحور الخامس: ما الذي تدعونا إليه الآيتان في حياتنا العملية؟

.1دعوة للإنصات للقرآن بخشوع وتدبر يومياً.
.2دعوة لشكر نعمة الإسلام، بأن نكون دعاة صامتين وصائحين.
.3دعوة لعدم اليأس من إعراض الناس، فالله قد يفتح أبواباً أخرى.
.4دعوة للتحلي بصفات الداعية الناجح: الحكمة، الموضوعية، الشفقة.

المحور السادس: ما الذي نتعلمه من الآيتين في ضوء سياقها التاريخي؟

نزلت هذه الآيات بعد رجوع النبي ﷺ من الطائف، وقد لقي من قومه ما لقي من الأذى والإعراض . فكانت هذه القصة بمثابة البلسم الشافي لقلبه الشريف.

.1تثبيت النبي ﷺ: إخباره بأن دعوته لم تقف عند الإنس، بل تعدتهم إلى عالم الجن .وأن هناك من يستمع ويستجيب، فلا يحزن على من أعرض.
.2إقامة الحجة على قريش: الجن سمعوا فآمنوا فدعوا .وأنتم يا معشر قريش، الرسل منكم، واللسان بلسانكم، والقرآن يتلى عليكم، فلماذا لا تستجيبون؟
.3بيان عالمية الدعوة: الرسالة المحمدية ليست للعرب وحدهم، بل للإنس والجن أجمعين .وهذا يفتح أفقاً واسعاً للمؤمنين.

المحور السابع: أهم المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية وتحويلها إلى طاقة بناء الإنسان والمجتمع و الحضارة الإسلامية

هنا نصل إلى الفائدة الكبرى .قصة الجن هذه ليست حكاية، بل هي معادلة لصناعة النهضة .لنستخرج هذه الطاقة على المستويات الثلاثة:

أولا ً: المفاهيم النفسية: صناعة الإنسان المنصت الفعّال

.1الشفاء من ضجيج الداخل) من "أنصِتُوا"(:
· المفهوم: الإنصات للقرآن ليس مجرد سكوت، بل هو حالة نفسية من التفرغ التام للوحي، يصمت فيها اللغط الداخلي) الهموم، الأفكار، الشهوات (ليفسح المجال لنور القرآن.
· تحويله لطاقة بناء الإنسان: هذا ينتج "الإنسان المتوازن" .في عصر الضوضاء، القدرة على الإ نصات العميق هي قوة نفسية عظمى .من يتعلم الإنصات للقرآن يتعلم التحكم في تدفق أفكاره ومشاعره، فيحصل على سكينة نفسية وصفاء ذهني يمكّنه من التفكير السليم واتخاذ القرارات الصائبة . طاقاته لا تبدد في الضوضاء، بل تتركز في البناء.
.2التغلب على الأنانية بالدعوة) من "مُنذِرِينَ"(:
· المفهوم: تحول الجن مباشرة من متلقين إلى مرسلين .هذا يكسر حاجز الأنانية: لقد نلنا الخير، فيجب أن نشاركه .هذا يعالج أمراض الكنز والاحتكار الروحي.
· تحويله لطاقة بناء الإنسان: هذا يبني "الإنسان الرسالي" .هو إنسان تجاوز ذاته، وأصبح يحمل هم الآخرين .طاقته لم تعد محصورة في احتياجاته الشخصية، بل اتسعت لتشمل مجتمعه وأمته .هذا الإنسان هو خلية النحل العاملة في مجتمعه، لا يهدأ له بال حتى يرى غيره مشاركاً له في الخير الذي ناله.

ثانياً: المفاهيم الفكرية: صناعة العقل المنفتح المتيقن

.1عالمية الحق وانفتاح العقل) من "نَفَرًا مِّنَ الجِنِّ"(:
· المفهوم: الإسلام ليس ديناً عرقياً أو بشرياً فقط، بل هو دين الثقلين .هذا الانفتاح على عالم آخر) الجن (يعلمنا أن الحق أوسع من دائرتنا الضيقة، وأن علينا أن نكون منفتحين على كل من يبحث عن الحق أياً كان.
· تحويله لطاقة بناء المجتمع: هذا يبني "مجتمع التسامح والتعددية" .مجتمع منفتح على الثقافات الأخرى، يحاورها، يأخذ منها ما يوافق الحق، وينبذ ما يخالفه .لا يعيش في عزلة ولا يصاب بصدمة حضارية، بل هو واثق من حقيقته ومتصالح مع الكون.
.2منهجية التصديق والتراكم المعرفي) من "مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ"(:
· المفهوم: القرآن لا يلغي ما سبقه من حق، بل يصدقه ويبني عليه .هذه عقلية البناء على الموروث الصالح، وعدم هدم كل شيء بحجة التجديد.
· تحويله لطاقة بناء المجتمع: هذا يبني "مجتمع التراكم الحضاري" .مجتمع يقدر إرثه، ويحترم إسهامات السابقين، ويبني عليها لا أن يهدمها .هذا المجتمع ينمو بشكل تراكمي، فيتقدم بسرعة لأنه لا يبدأ من الصفر في كل جيل .كما صدق القرآن التوراة، نصدق نحن العلوم النافعة ونبني عليها.

ثالثاً: المفاهيم التربوية: صناعة الجيل السامع العامل

1.التربية على أولوية السماع على الكلام) من "أنصِتُوا"(:
· المفهوم: تربية الناشئة على ثقافة "أنصتوا" .أن يستمع المتعلم أكثر مما يتكلم، ليفهم أولا ً ثم يعبر .هذا عكس ثقافة "اسمعني" السائدة.
· تحويله لطاقة بناء الحضارة: جيل يتربى على هذا، هو جيل الفهم العميق .جيل لا يثرثر، بل يستمع ويفهم ثم يبدع .هذا الجيل ينتج علماء ومفكرين حقيقيين، لا مجرد نسخ مكررة تحفظ دون فهم .حضارة العلم تقوم على "الإنصات" للكون وللوحي وللتجارب الإنسانية.
2.التربية على المسؤولية الجماعية) من "يَا قَوْمَنَا"(:
· المفهوم: غرس روح "يا قومنا" في الناشئة .الشعور بالانتماء للمجموع، وحمل همهم، لا مجرد السعي وراء المصالح الفردية.
· تحويله لطاقة بناء الحضارة: هذا يبني جيل الأمة الواحدة .جيل يعرف أن نجاته مرتبطة بنجاة أمته، فيعمل لإصلاحها .لا يهاجر بعلمه وموهبته، بل يبقى ليبني .هذا الجيل هو الذي يبني حضارة متماسكة، لا تمزقها النزعات الفردية والأنانية.

رابعاً: كيف تتكامل هذه المفاهيم لتوليد طاقة البناء الحضاري الشامل؟

انظر إلى هذا الصرح الحضاري الذي تقيمه الآيتان:

1.بناء الإنسان) الفرد المنصت الرسالي(:
· الآيتان تنتجان إنساناً عرف كيف ينصت للحق) فانتفع(، وأسرع في تبليغه) فأثر .(هو متوازن نفسياً، رسالي الهمة، منفتح العقل.
2.بناء المجتمع) مجتمع التراكم والمسؤولية(:
· هؤلاء الأفراد يشكلون مجتمعاً يبني على الموروث الصالح) مصدقاً لما بين يديه(، ويهتم بأمر جماعته) يا قومنا(، ويستثمر في الاستماع والفهم قبل العمل .هذا مجتمع متعلم، متراكم الخبرات، متكافل.
3.بناء الحضارة) حضارة القرآن والإنصات(:
· هذا المجتمع، بهذا الإنسان، يبني حتمًا "حضارة القرآن" .إنها حضارة تقوم على الإنصات للوحي، فتهتدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم .إنها حضارة لا تضيع في ضوضاء الباطل، ولا تنهار بالجهل، و لا تتفسخ بالأنانية .إنها الحضارة التي تحمل مشعل الهداية للعالمين، إنسهم وجنهم.

الختام: رسالة إلى قلبك

أيها الإنسان، يا من وهبك الله سمعاً وبصراً وفؤاداً، ها قد سمعت قصة نفر من الجن .هم "أنصتوا" فاهتدوا .فهل أنصتَ أنتَ للقرآن كما أنصتوا؟ هم سمعوه مرة واحدة فانقلبت حياتهم .وأنت تسمعه كل يوم، فكيف بقي قلبك؟ هم ما إن سمعوا حتى "ولوا إلى قومهم منذرين" .وأنت، كم مضى عليك من سنين في الإسلام، فماذا بلغت عنه؟
لا تجعل قصتهم تمر عليك كحكاية .بل اجعلها مرآة لنفسك .تدرب على "أنصتوا" في كل صلاة، في كل تلاوة .واجعل شعارك بعد كل هداية: أن أذهب إلى من حولي وأنذرهم وأبشرهم .كن مثل جن نصيبين، الذين صرفهم الله إليك ليكونوا لك درساً .آمن، وبلغ، ولا تخف، فإن الله معك كما كان معهم
المبحث الثاني
بعد أن أبصرت مشهد إيمان الجن، و أدبهم في الإنصات، وسرعة استجابتهم، وهمتهم في الدعوة، لقد آن لنا أن نقف على "محتوى" تلك الدعوة التي حملوها إلى قومهم. لقد سمعنا في الآية السابقة وصفهم للقرآن بأنه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم. وهنا، في هاتين الآيتين، نستمع إلى "الخطاب المباشر" الذي وجهوه إلى قومهم، بعد أن هيؤوهم بتلك المقدمة. إنه خطاب يجمع بين أحضان الرحمة وسياط الترهيب، بين فتح باب الأمل على مصراعيه، وإغلاق كل منافذ العذر. إنهم يدعون قومهم إلى "إجابة داعي الله". إنها الكلمة الفصل. إنها الخلاصة التي قامت عليها دعوة كل نبي. فاستمع بقلبك، وتأمل بعقلك، واعقد العزم على أن تكون من "المجيبين"، في قول الحق جل وع لا على لسان أوليائه من الجن: {يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (31) وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (32)}.

المقدمة: من الإخبار إلى الخطاب المباشر

تأمل معي هذا التدرج البديع في دعوة الجن. هم لم يقتحموا على قومهم الأمر منذ البداية. بل بدأوا بتقرير حقيقة: "إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا..."، ثم وصفوا الكتاب بأوصاف تبعث على الاطمئنان والثقة: إنه منزل من عند الله، مصدق لما بين يديه، هادٍ إلى الحق. وبعد أن هيؤوا النفوس، انتقلوا إلى الأمر المباشر و الدعوة الصريحة: {يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ}. هذا هو فقه الأولويات في الدعوة: التعريف ثم التكليف، وبناء الثقة ثم طلب الاستجابة. ويا للروعة! إنهم يجمعون في آية واحدة بين أعظم ترغيب: المغفرة والإجارة من العذاب، وبين أرهب ترهيب: العجز المطلق والضلال المبين. إنهم يخاطبون الفطرة الإ نسانية والجنية على حد سواء، لأن الفطرة تبحث عن الأمان، وتخشى الهلاك. فدعوتهم تقوم على ركنين: ركن الحب والرحمة (ترغيب)، وركن الخوف والعدالة (ترهيب). وهكذا يجب أن تكون دعوتنا.

بيان تفسير الآيتين والمعنى العام لهما أولا ً

ما هو المعنى الإجمالي الذي تحمله هاتان الآيتان الكريمتان؟
بعد أن وصف نفر الجن القرآن لقومهم، انتقلوا إلى توجيه الدعوة المباشرة. قالوا: {يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ}. أي يا قومنا، استجيبوا لهذا الرسول الكريم، محمد ﷺ، الذي يدعوكم إلى الله وإلى توحيده وطاعته. {وَآمِنُوا بِهِ} أي صدقوا به وبرسالته. ثم بينوا الثمرة العاجلة والآجلة لهذه الاستجابة: {يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ} أي يسترها الله عليكم ويتجاوز عنها، {وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} أي يحميكم وينقذكم من عذاب موجع.
ثم في الآية الثانية، يأتي التحذير الصارم: {وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ} أي من يعرض عن دعوته ولا يستجب له. فما هو مصيره؟ {فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ} أي ليس بناج، وليس بقادر على أن يفلت من عقاب الله أو يعجزه بالهرب في أقطار الأرض. فمهما ركض في هذه الدنيا، فلن يهرب من قضاء الله. {وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ} أي ليس له من دون الله أنصار ولا أعوان يدفعون عنه العذاب، فكل ما يعبده من أصنام أو بشر لا يغني عنه شيئًا. ثم تأتي الخاتمة المخزية: {أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}. أولئك المعرضون عن داعي الله واقعون في ضلال واضح لا خفاء فيه، ضلال بيّن لا يحتاج لدليل، قد انحرفوا عن طريق الهدى والرشاد.

أولا ً: تحليل الآيتين الكريمتين

الأمر الأول: تحليل الآية الحادية والثلاثين: {يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ}

المحور الأول: تحليل النداء والأمر {يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا}

س1: ما دلالة تكرار النداء بـ "يا قومنا"؟

تأمل هذا الحنان المتدفق. لقد قالوها في الآية السابقة، ويكررونها هنا. هذا التكرار ليس مجرد توكيد، بل هو استجداء للرحمة، وإظهار لشدة الشفقة. إنهم يشعرونهم أنهم منهم، لحمتهم ومصيرهم واحد. هذه هي روح الداعية الحقيقي: لا يمل من النداء، ولا يكل من التذكير. أنت، عندما تنصح أحدًا، كم مرة تكرر له "يا أخي"، "يا حبيبي"؟ هذا هو الأسلوب القرآني في الحوار.

س2: لماذا استخدموا فعل الأمر "أجيبوا" دون غيره؟

"الإجابة" هي الاستجابة للدعوة بعد سماعها .فهم لم يقولوا "اتبعوا" فقط، بل "أجيبوا" .لأن سيدنا محمدًا ﷺ هو "داعي الله" .قد ناداهم، وعرض عليهم دعوته .فلم يبقَ لهم إلا أن "يجيبوا" هذا النداء . إنها كلمة تحمل معنى التلبي والتفاعل الحي .فالدين ليس مجرد أفعال، بل هو تلبية لنداء الله.

المحور الثاني: تحليل وصف النبي ﷺ بـ {دَاعِيَ اللَّهِ}

س1: لماذا وصفوا النبي بهذا الوصف العظيم "داعي الله"؟

في هذا الوصف تكريم عظيم للنبي ﷺ، وتفخيم لشأن دعوته. إنه ليس داعيًا إلى نفسه، ولا إلى ملكه ، ولا إلى حزبه. إنه "داعي الله". إنه سفير الله إلى خلقه. ومن يدعو إلى الله، فبابه مفتوح للجميع. وهذا الوصف يضع المسؤولية على المدعوين: أنتم لم تدعوا إلى بشر، بل إلى الله. فرفض الداعي هو

رفض لله. ألا يجعلنا هذا نرتجف إذا تخاذلنا عن تلبية أوامر الله ورسوله؟

س2: كيف نستشعر اليوم أن النبي ﷺ هو "داعي الله" إلينا؟

كل آية تتلوها، وكل حديث تقرؤه، هو نداء من "داعي الله" إليك أنت شخصيًا. "يَا أَيُّهَا النَّاسُ"، "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا"... هذه كلها نداءات مباشرة. فحياتك ينبغي أن تكون "إجابة" مستمرة لهذا الداعي. عندما تسمع "أقيموا الصلاة"، تجيب. وعندما تسمع "ولا تقربوا الزنا"، تجيب. كن دائم الإجابة.

المحور الثالث: تحليل ركني الاستجابة {وَآمِنُوا بِهِ}

س1: لماذا عطف الإيمان بالرسول على إجابة دعوته؟

لأنك قد تجيب الدعوة بلسانك، أو ببعض جوارحك، ولكن لا بد من الإيمان القلبي. "وآمنوا به" أي صدقوا به وبرسالته. الإيمان هو الجذر، والأعمال هي الثمرة. فلا يكفي أن تعمل بعض الصالحات بلا إيمان، ولا يكفي أن تدعي الإيمان بلا عمل. هما جناحان: إجابة ظاهرة، وإيمان باطن.

المحور الرابع: تحليل الثمرة الأولى: المغفرة {يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ}

س1: ما هو أثر كلمة "يغفر لكم" في نفس المذنب؟

"يغفر" أي يستر ويتجاوز عن الذنب .والمغفرة هي أول ثمرة يذكرونها .لأن الإنسان مثقل بالذنوب، وهذا هو همه الأول .فبدأوا بالمغفرة قبل الإجارة من العذاب .إنهم يقولون لهم: لا تنظروا إلى ماضيكم المثقل، فقط "أجيبوا"، وكل تلك الذنوب ستُمحى .إنه فتح لباب الأمل على مصراعيه .ألا يجعلك هذا تطمع في رحمة الله، مهما كانت ذنوبك؟

س2: ما دلالة "مِن" في قوله {مِّن ذُنُوبِكُمْ}؟

"من" هنا قيل إنها للتبعيض، أي يغفر لكم بعض ذنوبكم وهي الصغائر أو ما يتعلق بحق الله، وأما المظالم فلا بد فيها من رد الحقوق .وقيل إنها زائدة للاستغراق والتوكيد، أي يغفر لكم ذنوبكم جميعًا . والراجح أنها للاستغراق هنا، فالإسلام يجب ما قبله والتوبة تمحو الذنب كله .ولكن بقاءها في النص يذكرك بأن رحمة الله واسعة، وأنه يغفر الذنوب جميعًا لمن يشاء.

المحور الخامس: تحليل الثمرة الثانية: الإجارة {وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ}

س1: ما الفرق بين "المغفرة" و"الإجارة"؟

"المغفرة" تتعلق بالماضي) ستر الذنوب السابقة .(أما "الإجارة" فتتعلق بالمستقبل) الحماية من العذاب القادم .(فجمع لهم بين أمرين: تصفية الماضي بالعفو عنه، وتأمين المستقبل بالنجاة من النار .هذا هو الفوز الكامل .فبالإيمان، تمحى سيئات الماضي، وتؤمن من عذاب المستقبل .أية تجارة أربح من هذه؟

س2: لماذا وصف العذاب بأنه "أليم"؟

"أليم" أي شديد الإيجاع .هذا الوصف يهز الفطرة، ويجعلها تنفر من العذاب .وهو في الوقت نفسه يظهر عظم نعمة "الإجارة" منه .فلو كان العذاب يسيرًا لكانت الإجارة قليلة النفع .ولكن لما كان العذاب "أليمًا" لا يحتمل، كانت الإجارة منه أعظم منة .وهذا يزيد في تحبيب الإيمان، ويجعل الفرار منه إلى الله هو الخيار الوحيد.

الأمر الثاني: تحليل الآية الثانية والثلاثين: {وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}

المحور الأول: تحليل الانتقال من الترغيب إلى الترهيب

س1: لماذا انتقل الجن من الترغيب إلى الترهيب؟

لأن النفوس تُقاد بالترغيب تارة، وبالترهيب تارة أخرى. فالنفس البشرية والجنية فيها استعداد للخير و

الشر. فالترغيب يخاطب محبة الخير، والترهيب يخاطب كراهية الشر. إنهم لم يتركوا بابًا للعذر: من استجاب فله المغفرة والإجارة. ومن لم يستجب، فليسمع مصيره المخزي. هذه هي الحكمة في الدعوة: لا تكن دائمًا مبشرًا فيطغى الناس، ولا تكن دائمًا منذرًا فييأس الناس. كن جامعًا بينهما كما فعل الجن.

المحور الثاني: تحليل الجزاء الأول: العجز المطلق {فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ}

س1: ما معنى "ليس بمعجز"؟

أي ليس بناجٍ ولا فائت. "أعجزه" أي فاته وسبقه وهرب منه. فالمعنى: أن من لا يستجب لله، فلا يمكنه أن يهرب من عقابه أو يفوته. إنه تحت قبضة الله أينما ذهب. هذه الكلمة تنسف الأمان الكاذب الذي يعيش فيه الكافر، إذ يظن أنه إذا ضاقت به السبل في أرض، هرب إلى أخرى. لكنه من الله لا مهرب. أين تفر من ملك الملوك وملكه أوسع من الأرض كلها؟

س2: كيف يكون هذا ردعًا عمليًا في حياتنا؟

عندما تفكر في الهروب من طاعة الله، أو الاحتيال على شرعه، تذكر أنك "لست بمعجز". إن هربت من عين المخلوقين، فأنت تحت عين الخالق. إن تملصت من قانون البشر، فأنت واقع تحت قانون الله. هذا الشعور يزرع فيك رقابة ذاتية قوية، ويجعلك تسير في الحياة باستقامة، لأنك توقن أنه لا مفر.

المحور الثالث: تحليل الجزاء الثاني: الخذلان {وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ}

س1: ما معنى "أولياء" هنا؟

الأولياء جمع ولي، وهو الناصر والمعين والمنقذ. والمعنى: من لا يجب داعي الله، لن يجد له من دون الله من ينصره أو يدفع عنه العذاب. لقد رأينا في الآيات السابقة كيف أن آلهتهم "ضَلُّوا عَنْهُمْ". وهذا هو عين الخذلان. كل ما ظنه الكافر سندًا له، سيتبخر يوم القيامة.

س2: ما علاقة هذا بقوله "من دونه"؟

"من دونه" أي من غيره .إنها تعميم بعد تعميم .ليس هناك ولي، ولا ناصر، ولا شفيع، ولا منقذ، إلا الله .فإن لم ينصرك الله، فلا ناصر لك .وإن لم يجبك الله، فلا مجيب لك .هذه هي عقيدة التوحيد الخالصة .فكيف تصرف العبادة أو التعلق لغير الله بعد هذا؟!

المحور الرابع: تحليل الخاتمة {أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}

س1: لماذا وصف حالهم بأنهم "في ضلال مبين"؟

"الضلال" هو التيه والانحراف عن الطريق الصحيح .و"مبين" أي واضح لا خفاء فيه .فهم ليسوا في ضلال خفي، بل في ضلال واضح لكل عاقل، لأنهم عطلوا أدوات الإدراك) السمع والبصر والفؤاد(، ورفضوا نداء الفطرة .إن من يدعوه داعي الله إلى النجاة فيرفض، ويفر هاربًا، إنه لفي أعمق دركات الضلال.

س2: ما الفرق بين هذا الضلال المبين وضلال من لم تبلغه الدعوة؟

هذا الضلال خاص بمن بلغته الدعوة، وعرف الحق، وسمع داعي الله، ثم أعرض. هنا يكون الضلال "مبينًا" أي مكشوفًا فاضحًا لصاحبه وللناس. أما من لم تبلغه الدعوة فله حكم آخر. لكن نحن، يا من تسمع القرآن، وبلغتك دعوة محمد ﷺ، أين نحن من هذا؟ إنها لمسؤولية عظيمة.

ثانيا: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل والمفاهيم من الآيتين

المحور الأول: كيف نقرأ الآيتين القراءة الواعية ونحولها إلى واقع حياة؟

أولا ً: التدبر القلبي في "أجِيبُوا".

· تلبية يومية: في كل صلاة، عندما تسمع "حي على الصلاة، حي على الفلاح"، تذكر أن هذا هو نداء "داعي الله" .أجب بقلبك قبل جسدك .اجعل حياتك كلها إجابة لله.

ثانياً: التدبر العملي في "يَغْفِرْ لَكُم".

· التعامل مع المذنبين: إذا كان الله يعد بالمغفرة لمن أجاب، فكيف بك أنت؟ كن واسع المغفرة لمن أساء إليك إذا جاء تائبًا .افتح باب الأمل للناس، ولا تكن جبارًا متكبرًا.

ثالثاً: التدبر النفسي في "لَيْسَ بِمُعْجِزٍ".

· الراحة النفسية: لا تخف من الظالمين والمتجبرين، فهم ليسوا بمعجزين في الأرض .لا تقلق من أن يفوتوك بخير أو يضروك بشر، فالله محيط بهم .طمئن قلبك بهذه الحقيقة.

المحور الثاني: المفاهيم وكيفية تحويلها إلى واقع حياة

.1مفهوم "داعي الله" في حياتنا.

· المفهوم: النبي ﷺ هو داعي الله، ودعوته مستمرة عبر الكتاب والسنة.
· في حياتنا العملية: استمع للقرآن والحديث وكأن الرسول ﷺ يخاطبك بهما مباشرة .استجب لكل أمر ، وانتهِ عن كل نهي.

.2مفهوم الأمان المطلق في الإيمان.

· المفهوم: الإيمان يعطي أمانين: أمان من الماضي) بالمغفرة(، وأمان من المستقبل) بالإجارة من العذاب.(
· في حياتنا العملية: لا داعي للقلق على ما فات، ولا على ما هو آت .أجب داعي الله وآمن به، تكن في أمان الله.

.3مفهوم المسؤولية الفردية.

· المفهوم: "وَمَن لَّا يُجِبْ..." كل فرد مسؤول عن قراره .لا ينفعه أولياء ولا يضره أعداء.
· في حياتنا العملية: لا تعلق فشلك في الاستقامة على شماعة المجتمع أو الأصدقاء .أنت وحدك من ستُسأل.

المحور الثالث: الدروس العملية لتأسيس الشخصية الإيمانية

.1درس المبادرة: لا تؤجل إجابتك لله .بادر الآن، فالموت يأتي بغتة.
.2درس الشمولية: كن داعيًا إلى الله مثل الجن، ترغب وترهب، تبشر وتنذر.
.3درس الثقة بالله: ثق أن الله يغفر ويجير، فلا تقنط من رحمته.
.4درس الهيبة من الله: ثق أن الله لا يعجزه أحد، فخف من عقابه واجتنب معاصيه.

المحور الرابع: ما الذي يريده الله منا في هذه الآيتين؟

.1يريدنا أن نستجيب لدعوة النبي ﷺ استجابة كاملة، ظاهرًا وباطنًا.
.2يريدنا أن نطمئن إلى سعة رحمته ومغفرته، فنقبل عليه تائبين.
.3يريدنا أن نوقن بعدله وقهره، فلا نخدع أنفسنا بالهروب من طاعته.
.4يريدنا أن نتعلم أسلوب الدعوة الجامع بين الترغيب والترهيب.

المحور الخامس: ما الذي تدعونا إليه الآيتان في حياتنا العملية؟

.1دعوة لفتح صفحة جديدة مع الله: مهما كانت ذنوبك، "أجب داعي الله" تمحُ ذنوبك.
.2دعوة للإخلاص في النية: أن تكون إجابتك لله لا لشيء آخر.
.3دعوة للتفكر في العواقب: تأمل فيمن لم يجب داعي الله عبر التاريخ، كيف كانت نهايتهم؟
.4دعوة للدعوة: انقل هذه الرسالة لغيرك .كن مثل جن نصيبين.

المحور السادس: ما الذي نتعلمه من الآيتين في ضوء سياقها التاريخي؟

نزلت الآيتان والنبي ﷺ يدعو قريشًا فلا يستجيبون. فجاءت قصة الجن لتقول لقريش: انظروا، هؤلاء الجن قد "أجابوا"، وأنتم تعرضون.

.1تقريع قريش: الجن أتوا من عالم بعيد، فآمنوا وبلغوا وخوفوا ورغبوا .وأنتم يا أهل اللسان، يا جيران النبي، تعرضون .أفلا يدلكم هذا على أن المشكلة في قلوبكم لا في الدعوة؟
.2تثبيت النبي ﷺ: كأن الله يقول لنبيه: لا تحزن، فإن لم يستجب لك قومك، فقد استجاب لك نفر من الجن، فصاروا جنودًا يدعون معك.
.3فتح أفق عالمي: الدعوة ليست محصورة في مكة .المستقبل واعد، والإيمان سينتشر في الآفاق.

المحور السابع: أهم المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية وتحويلها إلى طاقة بناء الإنسان والمجتمع و الحضارة الإسلامية

هنا نصل إلى الجوهر الحضاري لهاتين الآيتين. إنهما يرسمان ملامح "مجتمع المستجيبين" و"حضارة الإ جابة". لنستخرج هذه الطاقة على المستويات الثلاثة:

أولا ً: المفاهيم النفسية: صناعة الإنسان المستجيب المطمئن

.1التحرر من ثقل الماضي وقلق المستقبل) من "يَغْفِرْ لَكُم" و"وَيُجِرْكُم"(:
· المفهوم: الإيمان الحقيقي يمنح الإنسان برمجية نفسية جديدة: ماضيه مغفور) فلا اكتئاب ولا جلد ذات(، ومستقبله مؤمّن) فلا قلق ولا خوف .(هذا هو قمة السلام النفسي.
· تحويله لطاقة بناء الإنسان: هذا المفهوم ينتج "الإنسان المطمئن" الذي تتوفر له كل أسباب الصحة النفسية .طاقاته لم تعد تستهلك في الندم على الماضي أو الخوف من المستقبل، بل تتحرر للعمل والإبداع في الحاضر .هذا الإنسان هو وحدة الطاقة الإيجابية في المجتمع.
.2حافز الإرادة الحرة) من "أَجِيبُوا"(:
· المفهوم: الدعوة موجهة للإنسان ليختار ويستجيب .هذا يقدّر الإرادة الإنسانية ويحفزها .أنت لست مجبرًا، بل أنت من "يجيب" .هذا الشعور بالاختيار يمنحك قوة داخلية للالتزام.
· تحويله لطاقة بناء الإنسان: هذا يصنع "الإنسان المسؤول" .هو لا يشعر بأنه عبد مكره، بل عبد مختار أجاب نداء ربه عن حب واقتناع .هذا الحب هو المحرك الذي لا يفتر، والطاقة التي تنمو ب العطاء .إنسان بهذه النفسية يكون قائدًا ومبادرًا.

ثانياً: المفاهيم الفكرية: صناعة العقل المستجيب للحجة

.1منطق الربح والخسارة الإيماني) من تقديم الترغيب وتأخير الترهيب(:
· المفهوم: الآيتان تقدمان صفقة تجارية واضحة: استثمر إيمانك، واربح المغفرة والأمان .وإن لم تستثمر، فأنت الخاسر .هذا خطاب مباشر للعقل العملي النفعي.
· تحويله لطاقة بناء المجتمع: تعميم هذا الفقه الاقتصادي الإيماني يبني "مجتمع الاستثمار الأمثل" . أفراده لا يقيسون الربح والخسارة بالمال فقط، بل بالنفع في الآخرة .هذا ينتج مجتمعًا عادلا ً في معاملاته، زاهدًا في سفاسف الدنيا، مستثمرًا في العلم والعمل الصالح.
.2نقد نظرية "الهروب") من "فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ"(:
· المفهوم: الفكرة القائلة بأن الإنسان يستطيع الهروب من نتائج أفعاله، أو الإفلات من النظام الكوني العام، هي فكرة ساذجة .الآية تفندها فكريًا.
· تحويله لطاقة بناء المجتمع: هذا يبني "مجتمع المسؤولية" .مجتمع يؤمن بأن الجريمة لا تفيد صاحبها، وأن الظلم مردود، وأن العاقبة للتقوى .فلا أحد يظن أنه فوق القانون الأخلاقي والديني، مما يقلل الفساد ويعزز الأمان المجتمعي.

ثالثاً: المفاهيم التربوية: صناعة الجيل المجيب لله

.1التربية على "الإجابة" سمعًا وطاعة) من "أَجِيبُوا"(:
· المفهوم: تعويد الناشئة على الامتثال السريع لأوامر الله وأوامر الوالدين والمعلمين .ثقافة "سمعنا وأطعنا" بدل "سمعنا وعصينا".
· تحويله لطاقة بناء الحضارة: جيل يتربى على "الإجابة"، هو جيل الانضباط والإتقان .جيل لا يسوّف، ولا يماطل، ولا يجادل بالباطل .في الجيش، في المصانع، في المختبرات، في الإدارة، هم الأ كثر انضباطًا وإتقانًا، لأنهم تعلموا أن يجيبوا نداء الواجب من صغرهم.

.2التربية على الاهتمام بمصير الآخرين) من قصة الجن كاملة(:
· المفهوم: أن تعيش "للآخرين"، تحمل هم إيمانهم ونجاتهم .أن تكون منذرًا ومبشرًا في أهلك ومجتمعك.
· تحويله لطاقة بناء الحضارة: هذا يبني جيل الحركة والدعوة .جيل لا يكتفي بإيمانه الفردي، بل يحترق ليضيء الطريق للآخرين .هذا الجيل هو الذي ينشر القيم والأخلاق، ويحارب الفساد والانحراف، ويبني حضارة متماسكة بالقيم لا بالقوة المادية فحسب.

رابعاً: كيف تتكامل هذه المفاهيم لتوليد طاقة البناء الحضاري الشامل؟

انظر إلى هذا الصرح الحضاري الذي تقيمه دعوة الجن:

.1بناء الإنسان) الفرد المجيب المطمئن(:
· الآيتان تصنعان فردًا آمن فأجاب، فمُحي ماضيه وأمّن مستقبله، فأصبح حرًا قويًا مطمئنًا .هذا هو النواة الصالحة.
.2بناء المجتمع) مجتمع التجارة الرابحة والمسؤولية(:
· هؤلاء الأفراد يشكلون مجتمعًا يحسب ربحه وخسارته بميزان الآخرة، ويؤمن بأنه لا مهرب من عواقب الأفعال .مجتمع مسؤول، مستثمر، عادل.
.3بناء الحضارة) حضارة الإجابة والانضباط(:
· هذا المجتمع، بهذا الإنسان، يبني حتمًا "حضارة الإجابة" .إنها حضارة تستجيب للنداء الإلهي في كل مجال من مجالات الحياة، فتسير على هدى ونور .إنها حضارة ليست فوضوية، بل منضبطة بشرع الله .حضارة يأمن فيها الناس على أرواحهم وأعراضهم وأموالهم، لأن أفرادها "أجابوا" نداء الأمان .هذه هي الحضارة التي بدأها نفر من الجن، ويكملها المؤمنون إلى يوم الدين.

الختام: رسالة إلى قلبك

أيها الإنسان، يا من تسمع الآن نداء القرآن، توقف واسأل نفسك: هل "أجبت"؟ إن "داعي الله" يناديك، يناديك كل يوم، خمس مرات في الصلاة: "حي على الصلاة، حي على الفلاح". يناديك من خلال آيات القرآن، ومن خلال المواعظ والنصائح. فهل أجبت؟
لا تقل: غدًا. لا تقل: حتى أكبر، حتى أتوب. فالموت لا يمهل. واعلم أنك "لست بمعجز". لا يمكنك أن تهرب من الله. عذابه أليم، ولن تجد لك من دونه وليًا ولا نصيرًا. كل ما تتعلق به من دونه، سيضل عنك كما ضلت أصنام عاد عنهم.
ولكن، في الوقت نفسه، اسمع النداء الرحيم: "يَغفِرْ لكم مِّن ذُنوبِكمْ وَيُجِرْكم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ". إنها دعوة مفتوحة. اغسل ذنوبك بالإجابة. حصن مستقبلك بالإيمان. كن من "أولئك" الذين استجابوا ففازوا بـ المغفرة والأمان. ولا تكن من "أولئك" الذين أعرضوا فكانوا في ضلال مبين.
اخرج من هذه الآيات وأنت قد عقدت العزم على أن تكون "مجيبًا". مجيبًا لله، مجيبًا لرسوله، مجيبًا لكل نداء خير. وكن كأولئك النفر من الجن، الذين ما إن سمعوا حتى "ولوا إلى قومهم منذرين". بلغ، وادع، ورغب ورهب، تفز برضا الله وجنته.

المبحث الثالث

ينتقل الخطاب من سرد القصص وأخبار الجن إلى مواجهة عقلية عارية، إلى استدلال كوني باهر، وإلى مشهد أخروي مهيب. إنهما الآيتان اللتان تخلعان عنك كل رداء شك، وتغرسان في قلبك يقين البعث، وتدفعان بك إلى حافة السؤال: أأنت ممن أيقن فآمن، أم ممن أعرض فجحد؟ إنها لحظة الحصاد لكل ما سبق من آيات السورة. استعد، واجمع شتات عقلك وقلبك، ولنقف معًا على جلال هذا الاستدلال ورهبة هذا المصير، في قول الحق جل وعلا: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (33) وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (34)}.

المقدمة: من قصص التاريخ إلى برهان الكون إلى مشهد الحساب

تأمل معي هذا التسلسل المنطقي العجيب في سورة الأحقاف. لقد بدأت السورة بتقرير المصدر: "تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ". ثم عرضت أدلة الحق: من خلق السماوات والأرض، إلى تحديات المشركين وردودها. ثم ساقت قصص عاد، ثم قصة الجن، وكلها دروس في الاستجابة والإعراض. والآن، وبعد أن أقام الله الحجة بالوحي المنزل، أقامها بالخلق المشاهد. إنه ينتقل بك من "السمع" إلى

"البصر"، ومن "القرآن" إلى "الكون". إنه يخاطب عقلك مباشرة: ألم ترَ؟ كيف تنكر البعث والله قد خلق هذا الكون العظيم الذي أنت فيه؟ إنها الحجة العقلية الكبرى، التي لا تحتاج إلى مختبر ولا إلى تجربة، بل إلى قلب واعٍ وبصيرة مفتوحة.
ثم، لكي يتم البيان، ينقلك فجأة إلى ما وراء الحجاج العقلي، إلى اليوم الذي تنكشف فيه كل الحقائق ، حيث يقف الكافر على حافة النار، فيُسأل سؤال تقريع: أليس هذا بالحق؟ فيعترف اعترافًا لا ينفعه: بلى وربنا. فيكون الرد الماحق: فذوقوا. إنها رحلة من عقل إلى عقل، ومن دنيا إلى آخرة، لترسخ الحقيقة في قلبك رسوخ الجبال.

بيان تفسير الآيتين والمعنى العام لهما أولا ً

ما هو المعنى الإجمالي الذي تريد هاتان الآيتان الكريمتان أن تزرعانه في أعماق روحك؟
يبدأ الله عز وجل بخطاب مباشر، مستفهمًا استفهامًا إنكاريًا تقريريًا: {أَوَلَمْ يَرَوْا}، أي أغفلوا ولم ينظروا بأعينهم وعقولهم إلى هذه الحقيقة البديهية؟ {أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ} على عظمهما واتساعهما، {وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ} أي لم يتعبه ولم ينصبه خلقهن، ولم يعجزه. أليس هذا الإله العظيم القادر على هذا الخلق البديع بلا تعب ولا نصب، {بِقَادِرٍ} أي لقادر بكل تأكيد، {عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ} ؟! هذا هو القياس المنطقي القرآني (القياس بالأولى): إعادة الخلق أهون من ابتدائه. ثم يأتي الجواب القاطع من قبل أن ينطقوا: {بَلَىٰ}، أي نعم، إنه لقادر. {إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}. فقدرته مطلقة غير مقيدة، تشمل كل شيء.
ثم ينتقل المشهد فجأة إلى الآخرة: {وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ}. في ذلك اليوم العصيب، وهم يُساقون إلى جهنم، يُقال لهم تقريعًا وتوبيخًا: {أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ}؟ أليس هذا العذاب الذي ترونه بأعينكم هو الحق الذي كنتم تكذبون به في الدنيا؟ وهنا، في هذا الموقف الذي لا ينفع فيه كذب ولا مراوغة، {قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا}. أخيرًا، وبعد طول جحود، يعترفون. ولكن هيهات! إنه اعتراف بعد فوات الأوان. فيأتي الرد الإلهي الحاسم: {قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ}. ذوقوا طعمه الأليم جزاء كفركم.

أولا ً: تحليل الآيتين الكريمتين

الأمر الأول: تحليل الآية الثالثة والثلاثين: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}

المحور الأول: تحليل الاستفهام التقريري {أَوَلَمْ يَرَوْا}

س1: ما سر افتتاح الآية بهذا الاستفهام؟

"أولم يروا" هو استفهام إنكاري تقريري. الهمزة للاستفهام، والواو للعطف على محذوف، و"لم" للنفي. كأنه يقول: أغفلوا عن هذه الأدلة الواضحة؟! أعميت أبصارهم وقلوبهم فلم يروا هذه الحقيقة الباهرة؟ إنه توبيخ للعقول المعطلة، وحثٌ لها على التدبر والنظر. فالرؤية هنا ليست بصرية فقط، بل هي رؤية القلب والعقل. ألم يتفكروا؟ ألم يتأملوا؟ إن النداء موجع للعقول الراقدة، لكي تتيقظ وترى.

س2: ما الفرق بين "ألم يروا" و"أولم يروا"؟

الواو هنا عطفت الجملة على جملة مقدرة أو على ما سبق من الآيات. فكأنه يقول: أعموا عن كل ما مضى من الآيات، وعن كل ما حولهم من البراهين، فلم يروا؟ إنها تفيد أن هذا الدليل هو جزء من سلسلة أدلة كثيرة معروضة أمامهم، وهم معرضون عن الجميع.

المحور الثاني: تحليل الدليل العقلي (القياس بالأولى)

س1: كيف يثبت القرآن البعث من خلال خلق السموات والأرض؟

هذا هو المنطق القرآني الفذ. {أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ} هذا هو المقدمة. {بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ} وهذا هو النتيجة. إنه قياس: من قدر على العظيم، فهو على ما دونه أقدر. فالذي خلق السموات والأرض على عظمهما واتساعهما، أيعجز عن إعادة خلق الإنسان من نطفة أو من عظام رميم ؟! إنها حجة دامغة لا يردها إلا معاند. فالخلق الأول دليل على إمكانية الإعادة، لأن الإعادة أهون.

س2: لماذا كان هذا الاستدلال هو الأكثر ورودًا في القرآن لإثبات البعث؟

لأنه الأقرب إلى العقول، والأوضح للفطرة. كل إنسان يرى السماء والأرض والجبال والبحار. فإذا تأمل في هذا الصنع المتقن، أدرك عظمة الصانع وقدرته. فإذا أدرك قدرته، زال إنكاره للبعث. لهذا كان هذا الدليل هو النداء المتكرر للفطرة الإنسانية.

المحور الثالث: تحليل معنى {وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ}

س1: ما هو المعنى العميق لكلمة "يعي"؟

"يعي" أي يتعب وينصب ويعجز. يقال: عيي بالأمر، إذا تعب فيه ولم يقو على إتمامه. فنفى الله عن نفسه التعب والإعياء في خلق هذا الكون العظيم. هو سبحانه خلقه بقدرته، بكلمة "كن". لم يمسه إعياء ولا لغوب. فإذا كان هذا شأنه، فكيف يستبعدون قدرته على البعث الذي هو أهون وأيسر؟ هذه الكلمة "ولم يعي" تنسف أي تصور بشري يظن أن الله "تعِب" من الخلق، كما في بعض الأساطير المحرفة.

س2: ما هي ثمرة هذا النفي في بناء العقيدة؟

ثمرته أن يطمئن قلبك إلى كمال قدرة الله. إلهك لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء. لا يثقله دعاء، ولا يرهقه إنشاء. هو دائم القدرة، كامل القوة. وهذا يقودك إلى صدق التوكل عليه، وإلى انتظار الفرج منه بلا يأس، فمن لا يعي بالعظيم، أيعي بصغيرك؟

المحور الرابع: تحليل الجواب القاطع {بَلَىٰ}

س1: ما هي دلالة كلمة "بلى" هنا؟

"بلى" حرف جواب، يأتي لإبطال النفي. وهو هنا إبطال لنفي مقدر. كأن سائلا ً سأل: "أليس بقادر؟" فجاء الجواب: "بلى" أي نعم إنه لقادر. واللطيف أن الله هو الذي تولى الإجابة بنفسه قبل أن يجيبوا. لأنه الحق الذي لا يحتاج لإقرارهم. إنه إعلان إلهي مباشر.

المحور الخامس: تحليل الخاتمة {إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}

س1: لماذا ختمت الآية بهذا التعميم؟

بعد أن أثبت القدرة على البعث بالدليل، ختم بتعميم القدرة على كل شيء. "إنه على كل شيء قدير". هذا هو الاعتقاد الذي يريده الله منا. ليس فقط الإيمان بقدرته على البعث، بل الإيمان بأن قدرته مطلقة، شاملة لكل ما يشاء. وهذا يريك أن قضية البعث هي فرد من أفراد هذه القدرة المطلقة. فآمن بالقدرة المطلقة، تسهل عليك كل جزئيات الإيمان.

الأمر الثاني: تحليل الآية الرابعة والثلاثين: {وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ}

المحور الأول: تحليل الانتقال الزمني {وَيَوْمَ}

س1: ما أثر حرف العطف "الواو" هنا؟

هذه الواو تنقلك من مشهد الحجة العقلية إلى مشهد وقوعها فعلا ً. كأنه يقول: الآن أنتم تجادلون وتنكرون. ولكن سيأتي "يوم" ترون فيه الحقيقة عيانًا. إنها نقلة رهيبة من عالم الشهادة إلى عالم الغيب. وهي تثبت في قلبك أن هذا اليوم آتٍ لا ريب فيه.

المحور الثاني: تحليل مشهد العرض {يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ}

س1: لماذا كرر القرآن هذا المشهد في السورة نفسها؟

لقد ورد هذا المشهد في الآية (20) من السورة. وهنا يتكرر. التكرار للتوكيد والتقرير، ولزيادة الرهبة في القلوب. في المرة الأولى كان السياق في توبيخهم على إذهاب طيباتهم. أما هنا فالسياق في إثبات أن ما كذبوا به هو الحق. فالمشهد واحد، ولكن زاوية التوبيخ مختلفة. هذا يعلمك أن العذاب ليس جسديًا فقط، بل هو ألوان من التوبيخ النفسي.

س2: ما هي دلالة بناء الفعل للمجهول "يُعرض"؟

كما قلنا من قبل، التركيز على المهانة. هم يُساقون سوقًا، ويُعرضون عرضًا، وهم أذلاء. لا يُذكر لهم فاعل العرض، لأن الفاعل هو الله، ولكن ليظل التركيز على حالهم المهينة لا على عظمة الفاعل.

المحور الثالث: تحليل سؤال التقريع {أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ}

س1: من هو القائل؟ وما غرضه؟

القائل هم الملائكة بأمر الله، أو الله عز وجل. والغرض هو التوبيخ والتقريع وزيادة العذاب النفسي. فليس هو سؤال استعلام، بل هو سؤال إهانة. {أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ}؟ أليس هذا العذاب الذي ترونه الآن هو الحق عينه؟ أين إنكاركم؟ أين قولكم: "أساطير الأولين"؟ أين استهزاؤكم؟

س2: ما دلالة الإشارة بـ "هذا"؟

"هذا" إشارة إلى العذاب المشاهد أمامهم. إنهم يرونه بأعينهم، يسمعون لهيبه، يشعرون بوهجه. فلا مجال للإنكار. لقد صار ما كان غيبًا شهادة. وصار ما كان موعودًا واقعًا.

المحور الرابع: تحليل الاعتراف المرير {قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا}

س1: لماذا حلفوا بالله في هذا الموقف؟

لأنه موقف الحقيقة المطلقة. زال كل كبر، وذهب كل عناد. لم يعد هناك مجال للمراوغة. فاعترفوا، بل وأقسموا بالله ربهم. إنهم يعترفون الآن بربوبيته التي أنكروها، ويقرون بحقية العذاب الذي كذبوا به. يا لها من حسرة! لقد أقروا في وقت لا ينفع فيه الإقرار.

س2: ما سر جمعهم بين "بلى" و"وربنا"؟

إنه لأمر موجع. "بلى" إقرار بالحق. "وربنا" قسم لتأكيد هذا الإقرار. إنهم يقرون بألسنتهم قبل أن يعذبوا بأبدانهم. وهذا منتهى الإذلال. لقد جحدوا الحق طوال حياتهم، والآن هم يشهدون عليه ويحلفون عليه. اعتراف الخاسرين!

المحور الخامس: تحليل الحكم النهائي {قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ}

س1: ما دلالة الأمر "فذوقوا"؟

"ذوقوا" أمر إهانة. وكلمة "الذوق" تستعمل للإحساس الشديد، سواء كان في الخير أو الشر. فهنا تؤذن بأنهم سيحسون العذاب إحساسًا عميقًا، ليس مجرد مسٍ خارجي. إنه طعم في الفم والجسد والروح.

س2: ما العلاقة بين العذاب والكفر في "بما كنتم تكفرون"؟

الباء للسببية. العذاب هو ثمرة كفرهم. إنه عدل محض. لمظلوموا؟ كلا! بل {بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ}. هذه الكلمة تقطع كل شكوى، وتثبت أنهم جَنَوا على أنفسهم. وهذا يعلمك أن كل ذنب تذنبه هو بذرة عذاب تزرعها لنفسك. فاحصد اليوم خيرًا بالتقوى، فقد تحصد غدًا شرًا بالكفر.

ثانيا: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل والمفاهيم من الآيتين

المحور الأول: كيف نقرأ الآيتين القراءة الواعية ونحولها إلى واقع حياة؟

أولا ً: التدبر الكوني في "أَوَلَمْ يَرَوْا".

· تأمل الخلق يوميًا: انظر إلى السماء، إلى الجبال، إلى نفسك أنت. كيف خلقت من نطفة؟ انظر إلى قدرة الله في كل شيء. هذه النظرة تحول حياتك إلى عبادة، وتزيدك إيمانًا ويقينًا بالبعث. لا تمر على آيات الله في الكون مرور الكرام.

ثانياً: التدبر العملي في "بَلَى".

· استجابة الإيمان: عندما تقرأ في القرآن استفهامًا إنكاريًا مثل "أليس الله بقادر؟" أو "أليس الله بأحكم الحاكمين؟"، قف وقل بقلبك ولسانك: "بلى". هذه الاستجابة الشعورية تزيد من تفاعلك الحي مع القرآن.

ثالثاً: التدبر النفسي في "فَذُوقُوا".

· استحضار الندم: تصور نفسك واقفًا في هذا الموقف، تسمع هذا السؤال وهذا الجواب وهذا الأمر. هذا الخيال المؤلم يزرع فيك الخوف من الكفر والمعاصي، ويدفعك لتجديد التوبة كل يوم.

المحور الثاني: المفاهيم وكيفية تحويلها إلى واقع حياة

.1مفهوم العقلانية في الإيمان.

· المفهوم: الإسلام لا يقوم على الخرافة، بل على الأدلة العقلية والكونية. الإيمان بالبعث له برهانه المنطقي: القادر على العظيم قادر على ما دونه.
· في حياتنا العملية: ثق في عقلك الذي وهبك الله، واستعمله في الوصول إلى الإيمان. لا تترك عقلك عاطلا ً، بل فكر وتدبر. الإيمان ليس قفزة في الظلام، بل هو خطوة في نور البرهان.

.2مفهوم الجمع بين الخوف والرجاء.

· المفهوم: في الآية الأولى (33) رجاء: فالله قادر على أن يحييك ويبعثك للجنة. وفي الآية الثانية (34) خوف: فالله قادر على أن يعذبك في النار. هما جناحا المؤمن.
· في حياتنا العملية: عش بين الرجاء في رحمة الله وقدرته، والخوف من عذابه. هذا التوازن يمنعك من اليأس ومن الأمن من مكر الله، ويجعلك تسير إلى الله سوياً.

.3مفهوم شهادة العدو على نفسه.

· المفهوم: في القيامة، ينطق الكافر بالحق على نفسه "بلى وربنا". هذا يريك أن الحق سيظهر ولو بعد حين، وسيشهد به الأعداء.
· في حياتنا العملية: لا تحمل همًا كبيرًا إذا جحد الناس حقًا تعرفه. ثق أن الله سيظهره، ولو شهد به الخصوم يوم القيامة. طمئن قلبك بعدالة الله.

المحور الثالث: الدروس العملية لتأسيس الشخصية الإيمانية

.1درس قدرة الله: قدرة الله فوق كل تصور ."لم يعي" .لا تيأس من روح الله، ولا تستبعد إجابة دعاء أو تحقيق معجزة .فالله قدير.
.2درس الحق: الحق ثابت لا يتغير .قد يُجحد في الدنيا، لكنه سيسطع في الآخرة .كن مع الحق تكن ناجيًا.
.3درس العاقبة: "بما كنتم تكفرون" تذكرك أن عاقبة الكفر وخيمة .ازهد في الكفر وأهله، ولو كانوا في قمة الدنيا.
.4درس الشهادة: لا تنتظر يوم القيامة لتعترف بالحق .اعترف به الآن، وانطق بكلمة التوحيد والإخلا ص تعش بها وتختم لك.

المحور الرابع: ما الذي يريده الله منا في هذه الآيتين؟

.1يريدنا أن نتفكر في خلقه، ونتخذ ذلك دليلا ً على صدق وعده بالبعث.
.2يريدنا أن نوقن بأن قدرته مطلقة، فلا نيأس ولا نضعف.
.3يريدنا أن نستحضر مشهد القيامة، لنراقب أنفسنا ونتوب من ذنوبنا.
.4يريدنا أن نتعلم أن الكفر هو أصل البلاء، فنجتنبه ونجتنب أسبابه.

المحور الخامس: ما الذي تدعونا إليه الآيتان في حياتنا العملية؟

.1دعوة للتأمل الكوني: خصص جزءًا من وقتك للتأمل في الطبيعة وفي خلق الله .هذا ليس ترفًا، بل عبادة وتثبيت للإيمان.
.2دعوة للإيمان باليوم الآخر إيمانًا حيًا: ليس مجرد تصديق نظري، بل إيمان يغير سلوكك .عامل الناس وكأنك ستحاسب غدًا، واعمل الخير وكأنك ستجزي به غدًا.
.3دعوة للحذر من الكفر العملي: ليس فقط الكفر التصديقي، بل الكفر العملي بالنعم، وعدم الشكر، وا لاستهانة بأوامر الله .كل هذا مما قد يوردك النار.

المحور السادس: ما الذي نتعلمه من الآيتين في ضوء سياقها التاريخي؟

نزلت هذه الآيات في مكة، حيث كان المشركون ينكرون البعث أشد الإنكار، ويسخرون من وعيد النبي ﷺ بالنار.

.1إفحام المشركين: هذه الآيات تنسف شبهتهم بالأدلة العقلية التي لا تقبل الجدل ."أَوَلَمْ يَرَوْا" هو توبيخ لهم على تجاهل ما هو واضح أمام أعينهم.
.2تثبيت المؤمنين: كان المؤمنون يتعرضون للتعذيب، ويرون الظلم يطحنهم .فجاءتهم هذه الآيات لترسم لهم نهاية المطاف، وتبين لهم أن الظالمين سيعترفون بالحق يوم لا ينفعهم الاعتراف .هذا يغرس الصبر والطمأنينة.
.3إنذار قريش: "فَذُوقُوا العَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ" هو تحذير مباشر لقريش بأنهم إن استمروا في طريقهم فهم صائرون إلى هذا المصير.

المحور السابع: أهم المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية وتحويلها إلى طاقة بناء الإنسان والمجتمع و الحضارة الإسلامية

هنا نصل إلى الذروة. هاتان الآيتان لا تقومان الحجة العلمية فحسب، بل تقدمان معادلات كاملة لصناعة النهضة. لنستخرج هذه الطاقة على المستويات الثلاثة للإنسان والمجتمع والحضارة دون حذف:

أولا ً: المفاهيم النفسية: صناعة الإنسان المتيقن المطمئن

.1اليقين العقلي كأساس للصحة النفسية) من "أَوَلَمْ يَرَوْا"(:
· المفهوم: الإيمان المبني على البرهان العقلي والنظر في الكون، لا على التلقين الأعمى، يمنح الإ نسان صلابة نفسية ويقينًا لا تزلزله الشكوك.
· تحويله لطاقة بناء الإنسان: هذا المفهوم يبني "الإنسان الراسخ". إنه إنسان لا يعيش في ازدواجية بين عقله وإيمانه. عقله موصول بالوحي، وقلبه ساكن باليقين. طاقاته النفسية متزنة، لا يعتريها القلق الوجودي، ولا يؤرقه سؤال: من أين؟ ولماذا؟ وإلى أين؟ هذا الاستقرار هو أساس الإبداع والإنتاج.
.2التحرر من وهم الفناء المطلق) من "بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ المَوْتَى"(:
· المفهوم: اليقين بالبعث يحول الموت من فناء مرعب إلى بوابة عبور. هذا التصور يعالج الخوف العميق من الموت، ويمنح الحياة معنى.
· تحويله لطاقة بناء الإنسان: هذا يصنع "الإنسان المندفع للعمل". هو لا يعمل لخلود دنيوي مستحيل، بل يعمل لآخرة باقية. وكما أن الدنيا مزرعة الآخرة، فإنه يبذل فيها أقصى طاقته، دون خوف من الموت الذي ينهي كل شيء، بل رجاء في أن يُبعث ليجد ما قدم. هذا هو الإنسان الإيجابي الذي لا يعرف اليأس.

ثانياً: المفاهيم الفكرية: صناعة العقل البرهاني الشجاع

.1تأسيس العقلية البرهانية القرآنية) من دليل "خلق السموات"(:
· المفهوم: القرآن يعلمنا أن ننظر في الكون لا كمجرد مادة، بل كبرهان على الله واليوم الآخر. هذا

يحول العلم التجريبي إلى رحلة إيمانية.
· تحويله لطاقة بناء المجتمع: تعميم هذه العقلية يبني "مجتمع العلم والإيمان". مجتمع لا يرى تعارضًا بين الفيزياء والفقه، وبين علم الفلك وعلم التوحيد. بل كلما ازداد علمه بالكون، ازداد إيمانًا بخالقه. هذا المجتمع ينتج علماء موسوعيين، وباحثين يقودون الإنسانية لا فقط يستهلكون.
.2منطق المسؤولية المطلقة) من "بِمَا كُنتُمْ تكْفُرُونَ"(:
· المفهوم: ربط العذاب بالكفر، والجزاء بالعمل، يؤسس لعقلية قانونية عادلة: كل فعل له نتيجة، و لا أحد يعلو على القانون الإلهي.
· تحويله لطاقة بناء المجتمع: هذا يبني "مجتمع الحوكمة والمساءلة". مجتمع يؤمن بأن الأفعال تُحصى، وأن القرارات تُسأل عنها. هذا يقلل من الفساد، ويعزز الشفافية، ويجعل كل فرد مسؤولا ً عن موقعه، لأنه يعلم أن هناك يوم حساب لا محاباة فيه.

ثالثاً: المفاهيم التربوية: صناعة الجيل المستعد للقاء الله

.1التربية على التفكر والاستدلال) من "أَوَلَمْ يَرَوْا"(:
· المفهوم: بدلا ً من تلقين الأطفال الإيمان فقط، يجب تعويدهم على النظر في خلق الله، ليكون إيمانهم عن يقين لا عن تقليد.
· تحويله لطاقة بناء الحضارة: جيل يتربى على هذا، هو جيل المفكرين والمبدعين. إنه لا يقول: سمعنا وأطعنا دون فهم. بل يفهم ويقتنع ثم يطيع. هذا الجيل هو الذي سيحل مشكلات العالم، لأنه تعلم كيف ينظر ويحلل ويستنتج.
.2التربية على عاقبة الجحود) من "فَذُوقُوا العَذَابَ" وقولهم "بَلَى"(:
· المفهوم: تربية الناشئة على أن الاعتراف بالحق بعد فوات الأوان لا ينفع. تعويدهم على سرعة ا لاعتراف بالخطأ والتوبة منه الآن.
· تحويله لطاقة بناء الحضارة: هذا يبني جيل الصدق والتواضع. جيل لا يصر على الخطأ، ولا يتعالى عن الحق إذا سمعه. هذا الجيل يبني مجتمعًا متماسكًا، قابلا ً للنقد والتطوير، متحررًا من عناد الكبار وجحودهم.

رابعاً: كيف تتكامل هذه المفاهيم لتوليد طاقة البناء الحضاري الشامل؟

انظر إلى هذه المنظومة المتكاملة:

.1بناء الإنسان) الفرد الراسخ المندفع(:
· الآيتان تنتجان إنسانًا رسخ يقينه بالبرهان العقلي، فاطمأنت نفسه. واندفع للعمل لأنه يرجو لقاء الله. هذا هو اللبنة الأولى الصحيحة.
.2بناء المجتمع) مجتمع العلم والمسؤولية(:
· هؤلاء الأفراد يشكلون مجتمعًا يبني علومه على الإيمان، ويحاسب أفراده على تقصيرهم. مجتمع علمي، عادل، منتج.
.3بناء الحضارة) حضارة اليقين والصدق(:
· هذا المجتمع يبني حتمًا "حضارة اليقين". إنها حضارة لا تقوم على التخمينات الفكرية، بل على الحقائق الإيمانية والعلمية معًا. حضارة ترى أن الكون كتاب مفتوح، وأن الوحي كتاب هداية، فيجمع بينهما في بناء الإنسان والأرض. هذه هي حضارة "بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ".

الختام: رسالة إلى قلبك

أيها الإنسان، يا من تسمعني الآن، لقد أقيمت عليك الحجة. أرأيت السموات والأرض؟ أرأيت كيف خلقهما الله ولم يعيَ بهما؟ أتشك بعد هذا في قدرته على أن يحييك بعد موتك؟ "بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ". هذه هي الكلمة التي يجب أن تملأ قلبك، وتريح عقلك، وتسكن روحك.
وتذكر، أنك ستُعرض على النار. ستُسأل: {أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ}. فماذا ستجيب؟ لا تنتظر ذلك اليوم لتعترف. اعترف اليوم، "بلى"! بلى يا رب، إن هذا الحق من عندك. آمنا بك وبرسلك وباليوم الآخر. واجعل هذا الاعتراف يقودك إلى العمل، قبل أن تسمع: {فَذُوقُوا العَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تكْفُرُونَ}.
لا تكن ممن ينطق بالحق يوم لا ينفع النطق. كن ممن ينطق به اليوم، ويعمل له، ويموت عليه. استيقظ من غفلتك، وانظر إلى كتاب الكون المفتوح أمامك، وإلى كتاب الوحي بين يديك. كلاهما يناديك: آمن، أطع، اعمل، تنج. واجعل هذه الآية الأخيرة زادك وسلاحك ونورك، حتى تلقى الله وهو راضٍ عنك، فتدخل في زمرة "أولئك أصحاب الجنة"، لا في زمرة "أولئك في ضلال مبين".

المبحث الاخير
أيها المؤمن المتدبر الذي جال في رحاب سورة الأحقاف، فرأى تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم، وسمع حجج المكذبين وردودها، ووقف على مصارع عاد، وذرف الدموع على آباء مؤمنين وأبناء عقوا، ثم تنفس الصعداء بإيمان نفر الجن، وعاش مع البراهين الكونية والحجج العقلية، ها نحن نقف الآن على "كلمة الختام". إنها الآية الأخيرة من هذه السورة العظيمة، التي نزلت لتكون دستورًا للداعية، وبلسمًا للمصلح، وزادًا للسائرين على طريق الأنبياء. إنها وصية الله لنبيه الخاتم ﷺ، ومن بعده لكل من حمل لواء هذه الدعوة. وصية تجمع بين الصبر والتأسي، والنهي عن الاستعجال، وبيان حقيقة الدنيا، وإقامة الحجة، وتقرير سنة إلهية ماضية. استعد، وافتح قلبك، واجعل هذه الآية خاتمة رحلتنا، ونورًا لحياتنا، في قول الحق جل وعلا: {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ بَلَاغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ} (35).

المقدمة: وصية الختام

تأمل معي جمال الختام في سورة الأحقاف. بعد أن ساق الله كل تلك الأدلة، وضرب كل تلك الأمثال، وقص كل تلك القصص، لم يبق إلا أن يتوجه إلى نبيه ﷺ وإلى كل داعية من بعده بهذه الوصية الجامعة المانعة. لقد رأى النبي ﷺ من قومه ما رأى: تكذيبًا، وإعراضًا، واستهزاءً، واستعجالا ً للعذاب. فجاءه الأمر الإلهي المباشر: {فَاصْبِرْ}. اصبر على أذاهم، اصبر على تكذيبهم، اصبر على طول الطريق. ولكن ليس أي صبر. بل صبر له قدوة وأسوة: {كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ}. تأسّ بإخوانك من الأ نبياء الذين حملوا راية الحق قبلك، فصبروا وصابروا ورابطوا حتى أتاهم نصر الله. هذا التأسي يخفف وطأة الحزن، ويملأ القلب قوة.
ثم يأتي النهي عن الاستعجال: {وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ}. لا تتعجل لهم العذاب، ولا تستبطئ النصر. فما وعدهم الله به آتٍ لا محالة. وإذا جاء، فسيبدو لهم حينها أن حياتهم الدنيا كلها لم تكن إلا لحظة عابرة: {كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ}. هذه هي حقيقة الدنيا، مهما طالت فهي قصيرة. ثم تختم الآية، وتختم السورة، بكلمتين عظيمتين: {بَلَاغٌ}. هذا الذي جئتكم به هو بلاغ. وقد بلغت. ثم يأتي الختام المسكت: {فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ}. إنها ليست تهديدًا، بل تقرير سنة: الهلاك ليس عشوائيًا، بل هو للفاسقين وحدهم.

بيان تفسير الآية والمعنى العام لها أولا ً

ما هو المعنى الإجمالي الذي أراد الله أن تختم به سورة الأحقاف؟
يأمر الله تعالى نبيه محمدًا ﷺ في هذه الآية الخاتمة قائلا ً: {فَاصْبِرْ} أي الزم الصبر، وداوم عليه، وليكن صبرك متلبسًا بصفة الجمال والقوة. {كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ}. "أولو العزم" هم الأنبياء الذين صبروا على أذى أقوامهم، وجاهدوا في الله حق جهاده، وثبتوا على الحق في وجه الطغيان. وأشهرهم خمسة: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد عليهم الصلاة والسلام. فهؤلاء هم أصحاب العزائم والشرائع الكبرى. فاصبر يا محمد كما صبروا، ولا تكن أقل منهم صبرًا.
ثم ينهاه عن استعجال العذاب لهم: {وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ}، أي لا تطلب من الله أن يستعجل لهم العذاب، فهم إن تأخر عنهم فإنه واقع لا محالة. ولا تظن أنهم إن طالت أعمارهم أن ذلك يفوتهم. فالدنيا قليلة ، ويوم القيامة {كَأَنَّهُمْ} أي كأن هؤلاء الكفار، {يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ} من العذاب وأهوال القيامة، {لَمْ يَلْبَثُوا} أي لم يمكثوا في الدنيا أو في قبورهم، {إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ}. فما الدنيا كلها إلا كلحظة عابرة. ثم يختم الله السورة بقوله: {بَلَاغٌ}. أي هذا القرآن بلاغ من الله لخلقه، وكفى به بلاغًا. {فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ}. أي لا يهلك الله بعذابه إلا القوم الخارجين عن طاعته، المصرين على فسقهم. وأما المؤمنون المطيعون، فهم ناجون.

أولا ً: تحليل الآية الكريمة

الأمر الأول: تحليل الأمر بالصبر والتأسي {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ}

المحور الأول: دلالة الفاء في "فاصبر"

س1: لماذا افتتحت الآية بالفاء؟

الفاء هنا فاء الفصيحة، وتسمى أيضًا "الفاء السببية". وهي تدل على أن ما بعدها نتيجة وخلاصة لما قبلها. فكأنه يقول: بعد كل ما أوحينا إليك من قصص الأولين، وما أقمنا من حجج على المكذبين، وما رأيت من إعراض قومك، فالنتيجة الطبيعية، والوصية الواجبة، هي: {فَاصْبِرْ}. هذه الفاء تربط الصبر بما سبق من أحداث ومعان، وتجعله الثمرة العملية للعلم واليقين. فمن علم ما علمت، وأيقن بما أيقنت، فعليه أن يصبر. إنها فاء الحصاد.

المحور الثاني: تحليل الأمر "اصبر"

س1: ما هي أبعاد الصبر المأمور به هنا؟

"اصبر" أمر من الله لنبيه ولمن اتبعه .وهو صبر على عدة أمور: صبر على أذى المشركين وسبهم واستهزائهم .صبر على تكذيبهم وإعراضهم .صبر على البلاء والجهد .صبر على طول الطريق وبطء النصر .صبر على مشاق الدعوة .إنه صبر شامل، ليس صبرًا مؤقتًا، بل صبر متصل حتى الممات .ولهذا قيل: الصبر ثلاثة أنواع: صبر على طاعة الله، وصبر عن معصية الله، وصبر على أقدار الله .والداعية يحتاجها كلها.

س2: كيف يكون الصبر "كما صبر أولو العزم"؟

التشبيه هنا بقوله {كَمَا صَبَرَ} لا يعني التساوي في كمية الصبر، بل في كيفيته ونوعيته. أي لتكن صفتك في الصبر مشابهة لصفتهم. صبرهم كان صبر واثق، صبر راض، صبر لا شكوى فيه إلى الخلق، صبر مصحوب بالدعوة والجهاد، صبر لا استعجال معه. فهكذا فليكن صبرك. لا يكن صبرك صبر استسلام، بل صبر ثبات ومصابرة ومرابطة.

المحور الثالث: تحليل "أُولُو العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ"

س1: من هم أولو العزم؟ ولماذا سموا بهذا الاسم؟

"أولو العزم" أي أصحاب العزيمة والقوة والثبات والصبر .وقد اشتهر أنهم خمسة: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد عليهم الصلاة والسلام .وقد جمعهم الله في آية:} وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ .{سموا أولي العزم لعظيم ما تحملوه في سبيل الله .نوح صبر على قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا .وإبراهيم صبر على النار وعلى ذبح ابنه وعلى هجرته .وموسى صبر على فرعون وبني إسرائيل .وعيسى صبر على الفقر والأذى وكاد بنو إسرائيل أن يقتلوه .ومحمد ﷺ صبر على كل ألوان الأذى من قومه .هؤلاء هم القادة، فبهم يقتدى.

س2: ما فائدة ذكرهم في هذا المقام؟

فيه تسلية عظيمة للنبي ﷺ. كأن الله يقول له: لست وحدك يا محمد في هذا الطريق. هؤلاء إخوانك الأنبياء قد ساروا فيه قبلك، وصبروا على أشد مما صبرت عليه. فتأسَّ بهم. فالاقتداء بالنماذج العظيمة يعطي النفس طاقة هائلة. أنت أيضًا، عندما تقرأ سيرهم، تهون عليك مصاعبك، وتزداد همتك.

الأمر الثاني: تحليل النهي عن الاستعجال {وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ}

المحور الأول: معنى النهي عن الاستعجال

س1: لماذا نهاه عن الاستعجال وقد كانوا يستحقون العذاب؟

النهي هنا يحمل عدة معان:

.1منع من استعجال العقاب الذي هو مقتضى الطبيعة البشرية عند شدة الأذى .فالنفس قد تضجر فتدعو بالعذاب، فجاء النهي لضبط هذه العاطفة.
.2بيان لحقيقة أن تأخير العذاب ليس عجزًا، بل هو إمهال واستدراج، أو لعل فيهم من سيؤمن أو يلد من يؤمن.

.3تعليم للأمة ألا تستبطئ وعد الله، فالله لا يخلف الميعاد، ولكن لكل أجل كتاب.

الأمر الثالث: تحليل قصر الدنيا {كأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ}

المحور الأول: أداة التشبيه "كأنهم"

س1: ما سر استخدام "كأنهم" هنا؟

"كأنهم" تفيد التشبيه والتخييل .فهي تدعو السامع أن يتخيل المشهد: هؤلاء الكفار الذين طالت أعمارهم في الدنيا، وتعاظمت أيامهم، حين يرون العذاب رأي العين، سَتُمْحَى من ذاكرتهم تلك السنين الطوال، حتى لكأنهم يحسبون أنهم ما عاشوا إلا ساعة من نهار .هذه هي حقيقة الدنيا في ميزان الآ خرة .إنها لمسة وجدانية عميقة، تجعلك أنت أيضًا تستصغر الدنيا، وتستعظم الآخرة.

الأمر الرابع: تحليل خاتمة السورة {بَلَاغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ}

المحور الأول: معنى "بلاغ"

س1: ما هو إعراب "بلاغ" وما دلالتها؟

"بلاغ" خبر لمبتدأ محذوف، أي هذا القرآن أو هذا الذي جئتكم به "بلاغ" .أي تبليغ من الله، وإعلام، وإنذار، وإقامة حجة .كفى بهذا بلاغًا! لقد قامت الحجة، وانقطع العذر .فليس على الرسول إلا البلاغ المبين .هذه الكلمة تشعرك بأن المهمة قد أنجزت، ولم يبقَ إلا الجزاء .إنها خاتمة جامعة، تريح قلب الداعية، فيقول: قد بلغت.

المحور الثاني: تحليل الاستفهام الإثباتي {فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ}

س1: ما دلالة الاستفهام هنا؟

هو استفهام إثباتي بمعنى النفي العام مع استثناء خاص. والمعنى: لا يهلك بعذاب الله إلا القوم الخارجون عن طاعته، المتمردون على شرعه. أما الأبرار والمؤمنون فليسوا من الهالكين. هذه قاعدة كلية: هلاك الأمم ليس عشوائيًا، بل هو مرتبط بالفسق. فما دامت الأمة على طاعة، فهي في أمان من الهلاك العام. إنه تحذير للفاسقين، وبشرى للمؤمنين.

ثانيا: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل والمفاهيم من الآية

المحور الأول: كيف نقرأ الآية القراءة الواعية ونحولها إلى واقع حياة؟

أولا ً: التدبر العملي في "فَاصْبِرْ".

· مشروع الصبر اليومي: خذ قرارًا بأن يكون شعارك في كل موقف صعب هو: "فَاصْبِرْ" .عند الغضب، عند المصيبة، عند الفتنة، تذكر هذه الآية .الصبر ليس ضعفًا، بل هو قوة الثبات على الحق.

ثانيا: التدبر القلبي في "كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ".

· قراءة سير الأنبياء: خصص وقتًا تقرأ فيه قصص نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الس لام .تأمل معاناتهم، واستلهم من ثباتهم .عش معهم، واستمد من عزيمتهم .ستجد أن مشاكلك تهون، وأن همتك تعلو.

ثالثا: التدبر النفسي في "لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً".

· تذكير يومي بقصر الدنيا: في كل صباح، قل لنفسك: أنا هنا ضيف، وسأمكث ساعة .هذا الشعور

يمنعك من التعلق بالدنيا، ويدفعك للعمل للآخرة .يريحك من الهموم، لأن هموم ساعة لا تستحق.

المحور الثاني: المفاهيم وكيفية تحويلها إلى واقع حياة

.1مفهوم الصبر الجماعي.

· المفهوم: الصبر ليس فقط فرديًا، بل هو صفة الأمة ."فاصبر" خطاب للرسول ولأمته .نحن مأمورون بـ الصبر كجماعة على طريق الدعوة.
· في حياتنا العملية: تعاون مع إخوانك على الصبر .ذكر بعضكم بعضًا .اصبروا على أذى المفسدين، واصبروا على بطء ثمرة الإصلاح.

.2مفهوم التأسي بالنماذج.

· المفهوم: التربية تحتاج إلى قدوات .والقرآن يقدم لنا أعظم القدوات: الأنبياء.
· في حياتنا العملية: لا تجعل قدوتك في الحياة ممثلا ً أو لاعبًا .اجعل قدوتك أولي العزم .تأسّ بهم في صبرهم، في عبادتهم، في جهادهم.

.3مفهوم سنة الهلاك.

· المفهوم: الهلاك ليس عشوائيًا} .فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ .{هذه سنة الله.
· في حياتنا العملية: لا تأمن الفسق في نفسك أو في مجتمعك .حارب الفسق بكل صوره، وكن من الصالحين المصلحين.

المحور الثالث: الدروس العملية لتأسيس الشخصية الإيمانية

.1درس الصبر: الصبر مفتاح الفرج، وعدة الداعية، وسبيل النصر.
.2درس التأني: لا تستعجل النتائج .ثق في حكمة الله وتوقيته.
.3درس الزهد: الدنيا ساعة .لا تغتر بها، ولا تجعلها غايتك.
.4درس البلاغ: أنت مبلغ، لا مسيطر .بلغ ما استطعت، ولا تحزن على من أعرض.

المحور الرابع: ما الذي يريده الله منا في هذه الآية؟

.1يريدنا أن نتحلى بالصبر الجميل، وأن نتأسى في ذلك بالأنبياء.
.2يريدنا ألا نتعجل العقاب لأحد، وأن نفوض الأمر إليه.
.3يريدنا أن نستصغر الدنيا، ونستعظم الآخرة.
.4يريدنا أن نوقن بسنته: أن الهلاك للفاسقين، والنجاة للمؤمنين.

المحور الخامس: ما الذي تدعونا إليه الآية في حياتنا العملية؟

.1دعوة لصناعة جيل صابر: ربِّ أبناءك على الصبر، بالقدوة وبالقصة.
.2دعوة للإصلاح المجتمعي: حارب الفسق في مجتمعك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لئلا يقع الهلاك.
.3دعوة للثبات: مهما اشتدت الفتن، تذكر أمر الله: "فَاصْبِرْ" .لا تتنازل عن مبادئك.
.4دعوة للعمل: اجعل حياتك بلاغًا .كن داعيًا إلى الله بكل أفعالك وأقوالك.

المحور السادس: ما الذي نتعلمه من الآية في ضوء سياقها التاريخي؟

نزلت هذه الآية خاتمة لسورة الأحقاف في مكة، بعد سنوات من الأذى والصدود. النبي ﷺ والمسلمون كانوا في أشد الحاجة إلى التثبيت.

.1تثبيت القيادة: النبي ﷺ تلقى هذه الوصية مباشرة من ربه، فأعطته قوة هائلة .نحتاج لقادة ربانيين يأخذون توجيههم من القرآن.
.2ترسيخ سنة التدافع: هذه الآية علمت الجماعة المسلمة أن الصراع ليس يومًا أو شهرًا، بل هو سنة ممتدة حتى قيام الساعة، فلا بد لها من صبر أولي العزم.
.3إنذار أخير لقريش: ختم السورة بتذكيرهم أن الهلاك لن يقع إلا بالفاسقين .فليحذروا الفسق.

المحور السابع: أهم المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية وتحويلها إلى طاقة بناء الإنسان والمجتمع و الحضارة الإسلامية

هنا نصل إلى الفائدة العظمى من خاتمة سورة الأحقاف. هذه الآية بكل كلماتها هي "وقود النهضة". إنها تصنع الإنسان، وتبني المجتمع، وتطلق الحضارة. لنستخرج هذه الطاقة على المستويات الثلاثة كاملة:

أولا ً: المفاهيم النفسية: صناعة الإنسان الصابر المنتصر

.1تفعيل طاقة الصبر الداخلية) من "فَاصْبِرْ"(:
· المفهوم: الصبر ليس مجرد تحمل، بل هو طاقة نفسية عظمى تمنع الإنسان من الانهيار، وتحوله من وضع رد الفعل إلى وضع الفعل .الصبر يعني أن تمسك بزمام نفسك في أحلك الظروف.
· تحويله لطاقة بناء الإنسان: هذا المفهوم يبني "الإنسان الصلب" الذي لا تكسره رياح الحياة .هو إنسان مرن قوي، يستوعب الصدمات، ويحول الإحباط إلى إصرار، والفشل إلى درس .طاقاته النفسية لا تنضب، لأنه تعلم كيف يستمد من صبر أولي العزم .هذا الإنسان هو عماد كل أسرة وكل مشروع.
.2السكينة ضد استعجال النتائج) من "وَلَا تَسْتَعْجِل"(:
· المفهوم: القلق والتوتر سببهما استعجال النتائج .والنهي عن الاستعجال يعيد الإنسان إلى منطقة ا لأمان النفسي: التوكل على الله والثقة في توقيته.
· تحويله لطاقة بناء الإنسان: هذا المفهوم ينتج "الإنسان المطمئن" الذي لا يعيش في قلق مستمر على المستقبل .هو يعمل ويجتهد، ثم ينام قرير العين، لأنه يوقن أن النتائج بيد الله، وليست بيده . هذا التحرر من القلق يمنحه صفاء ذهن، وقدرة على العمل المتقن.
.3تعديل المقياس الزمني) من "كَأَنَّهُمْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً"(:
· المفهوم: إدراك أن الدنيا مجرد ساعة، يعيد تشكيل وعي الإنسان .الألم الذي تعيشه سيبدو صغيرًا في ميزان الأبدية .الهموم الثقيلة تصبح خفيفة.
· تحويله لطاقة بناء الإنسان: هذا يصنع "الإنسان المتوازن" .هو لا يستهين بالدنيا فيترك العمل، ولا يعشقها فيغرق في الهم .بل يعمل لدنياه كأنه يعيش أبدًا، ويعمل لآخرته كأنه يموت غدًا .هذا التوازن هو قمة الذكاء العاطفي والروحي.

ثانياً: المفاهيم الفكرية: صناعة العقل السنني الاستراتيجي

.1العقلية القدوية) من "كَمَا صَبَرَ أُولُو العَزْمِ"(:
· المفهوم: التقدم لا يبدأ من الصفر .هناك "أولو عزم" في التاريخ، ندرس نماذجهم، ونستلهم أساليبهم .هذا هو منهج الاستفادة من الخبرات.
· تحويله لطاقة بناء المجتمع: هذا يبني "مجتمع التعلم من التاريخ" .مجتمع لا يحرق مراحل، ولا يكرر أخطاء الماضي .مجتمع يدرس سير العظماء من الأنبياء والمصلحين، ويستخرج منها قوانين الصبر والنصر والتغيير .هذا المجتمع يتطور بسرعة لأنه يقف على أكتاف العمالقة.
.2فقه الأولويات والنتائج) من "بَلَاغٌ ... فَهَلْ يُهْلَكُ"(:
· المفهوم: التفريق بين "البلاغ") الوظيفة (و"الهلاك") النتيجة عند الله .(المؤمن وظيفته البلاغ، وليس عليه أن يهلك أحدًا أو يهدي أحدًا .هذا فقه دقيق.
· تحويله لطاقة بناء المجتمع: هذا يبني "مجتمع التخصص وتقسيم الأدوار" .كل فرد يعرف مهمته)البلاغ (ولا يتدخل في صلاحيات غيره) الهداية والعقاب .(هذا يقلل من التشنج والصراع، ويركز الطاقات في الإنتاج والإصلاح.

ثالثاً: المفاهيم التربوية: صناعة الجيل القيادي الصبور

.1التربية على الصبر الجميل) من "فَاصْبِرْ"(:
· المفهوم: تعليم الناشئة أن الصبر هو مهارة الحياة الكبرى .إنه ليس ضعفًا، بل هو قوة .غرس هذه القيمة في المدرسة وفي البيت.
· تحويله لطاقة بناء الحضارة: جيل يتربى على الصبر، هو جيل الإنجازات طويلة المدى .إنه جيل لا يطلب كل شيء فوريًا .هو يصبر على التعلم لسنوات، يصبر على البحث لعقود، يصبر على الإصلاح لأجيال .هذا الجيل هو الذي يبني حضارة راسخة لا تنهار عند أول عقبة .الحضارة كلها نتاج صبر.
.2التربية على استحضار الآخرة) من "لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً"(:
· المفهوم: غرس مفهوم أن الدنيا ممر .تربية الناشئة على أن النجاح الحقيقي هو في الآخرة، وفناء الدنيا يجعل مشكلاتهم صغيرة.
· تحويله لطاقة بناء الحضارة: هذا يبني جيل الزهد الإيجابي .جيل لا تهزمه مصاعب الحياة، ولا

يفتن بزخارفها .جيل قوي القلب، متوازن النفس، مندفع للعمل الصالح .هذا الجيل هو الذي يبني حضارة بلا طغيان مادي، حضارة أخلاقية روحية.

رابعاً: كيف تتكامل هذه المفاهيم لتوليد طاقة البناء الحضاري الشامل؟

انظر إلى صرح الحضارة الذي تقيمه هذه الآية الأخيرة:

.1بناء الإنسان) الفرد الصابر المطمئن(:
· الآية تنتج إنسانًا جلدًا صبورًا، ساكنًا غير مستعجل، متوازنًا بمقياسه الزمني .هذا هو الرجل القوي الذي تقوم عليه البيوت.
.2بناء المجتمع) مجتمع الأسوة والبلاغ(:
· هؤلاء الأفراد يشكلون مجتمعًا يقتدي بأفضل النماذج، ويعرف كل فرد فيه حدوده) البلاغ(، فلا يتجاوزها .مجتمع متعلم، منتج، واضح الأدوار.
.3بناء الحضارة) حضارة الصبر واليقين(:
· هذا المجتمع يبني "حضارة الصبر" .إنها ليست حضارة الرفاهية الفورية، بل حضارة الزرع الطويل والحصاد الدائم .حضارة يفهم أبناؤها أن ما عندهم ينفد، وما عند الله باق .إنها الحضارة التي كتب الله لها البقاء والتمكين، لأنها سارت على سنة أولي العزم من رسله.

الختام: رسالة إلى قلبك، في ختام رحلتنا مع سورة الأحقاف

أيها السائر في درب الحياة، يا من سمعت كلمة الله الأخيرة في هذه السورة العظيمة، اسمعها جيدًا: "فَاصْبِرْ". إنها الكلمة التي يخاطبك بها الله في نهاية المطاف. بعد أن عرّفك بنفسه، وأسمعك قصص ا لأولين، وحدّثك عن الجن، وبرهن على البعث، لم يبقَ إلا أن يوصيك بهذه الوصية: اصبر. اصبر على طاعة الله، واصبر عن معصيته، واصبر على أقداره.
وانظر إلى قدوتك: أولو العزم من الرسل. تأمل في نوح، كيف صبر ألف سنة. تأمل في إبراهيم، كيف صبر على النار والغربة والذبح. تأمل في موسى، كيف صبر على فرعون وقومه. تأمل في عيسى، كيف صبر على الفقر والأذى. تأمل في حبيبك محمد ﷺ، كيف صبر على قومه وأذاهم. ثم اعلم أنك كلما كنت على طريقهم، فأنت محتاج أن تصبر بصبرهم.
لا تستعجل. لا تقل: أين النصر؟ أين الفرج؟ فالله لا يعجزه شيء، ووعده آتٍ. وما هذه الدنيا إلا ساعة. كل ألم فيها، كل انتظار، كل جهد، سيبدو يوم القيامة صغيرًا. {كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ}.
وأنت، أيها المؤمن، قد بُلّغك الله. هذا القرآن بلاغ. فاعمل به، وبلغه، واصبر. واعلم أن الهلاك ليس لك ولا لأمثالك من الصالحين. {فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ}. أنت، إن شاء الله، من الناجين، من الصابرين، من المتقين. فاختم هذه السورة وقد عقدت العزم على أن تجعل "فَاصْبِرْ" شعار حياتك، و "أُولُو الْعَزْمِ" قدوتك، و"بَلَاغٌ" رسالتك، حتى تلقى الله في زمرة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقًا.